إمارة الموصل

في عهد بدر الدين لؤلؤ

٦٠٦ - ٦٦٠هـ/١٢٠٩ - ١٢٦١م

الاحوال السياسية والعسكرية · الادارة
الاحوال الثقافية · الاحتلال المغولي

تأليف

سوادي عبد محمد الرويشدي

ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره

الطبعة الأولى

مطبعة الارشاد - بغداد

١٩٧١

رسالة نالت درجة

الماجستير من جامعة بغداد

بتقدير جيد جـداً

مقدمة

نطاق البحث(*) ـ نقد المصادر وتحليلها :

لقد كانت سلطة الخلفاء العباسيين تتعرض باستمرار الى تدخل قوى اخرى تؤثر عليها وتسلب منها نفوذها وتسيرها حسبما يروق لها فعندما قرب الخلفاء الأتراك اليهم وسمحوا لهم بالتدخل في شؤونهم الداخلية راح هؤلاء يعملون على عزل الخلفاء عن المسرح السياسي الأمر الذي لم تعد هناك سيطرة سياسية للخلافة بل لم يبق الخليفة سوى ممثل روحي ومعنوي لسيادة العالم الأسلامي ثم ان استفحال أمر هؤلاء الأتراك في الدولة العباسية جعل الخلفاء يستعينون عليهم بالبويهيين غير ان هؤلاء ايضا لم ينقذوا الخليفة من مأزقه بل عمدوا الى تجريده من كل سلطاته ونفوذه وابقائه آلة صماء بأيديهم واكتسح السلاجقة البويهيين وقضوا عليهم بحجة انقاذ الخليفة من غطرستهم ولكن مع ذلك لم يكن حال الخلافة بأحسن من السابق • مما جعل بعض الخلفاء ممن لا يحبذون الذلة والأستكانة يثورون لكرامتهم ويحاولون القضاء على سلطة السلاجقة[1] •

ومما يلفت الأنتباه في العصر السلجوقي هو ظهور نظام الآتابكة[2]

(*) ان هذا البحث في الاصل ، رسالة جامعية تقدم بها المؤلف للحصول على درجة الماجستير في جامعة بغداد •

(١) لقد استعان الخليفة الناصر لدين الله ٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ (١١٧٩ ـ ١٢٢٥ م) بالخوارزميين للقضاء على السلاجقة فاستطاع هؤلاء هزيمتهم في العراق سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م • انظر ابو الحسن علي ابن ابي الكرم المعروف بابن الأثير ، الكامل في التاريخ (مطبعة السعادة) ج١٢ ص ٥٠ •

(٢) اتابك ، لفظ تركي ، وهو مكون من مقطعين (اتا) بمعنى اب و (بك) بمعنى امير ، وقد كانوا يطلقونها على من يربي اولاد السلاجقة من الأتراك ، انظر : شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الاعيان

الذين اصبحوا فيما بعد اصحاب النفوذ الفعلي في البلاد التي كانوا يحكمونها مستغلين بذلك فرصة ضعف النظام السلجوقي وتفككه وانحلال اسـرة السلاجقة وتدهورها • وقد تمثل النظام الاتابكي بظهور الاتابكيات[1] على المسرح السياسي في المشرق الاسلامي ، وراح الخلفاء يشجعون الاتابكيين الذين كانوا في الاصل مربين لأولاد السلاجقة[2] ، علـى الاستقلال كل بما تحت يده توهينا لسلطان السلاجقة واضعافا لهيمنتهم عليهم ، وكان الخليفة الناصر لدين الله قد اقر حكم اتابكية الموصل التي كانت تعتبر من كبريات الإمارات الاسلامية في منطقة الجزيرة للملك نور الدين ارسلان شـاه ابن عز الدين مسعود الذي انتهت مدة حكمه سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠م • وقد اتخذ له بدر الدين لؤلؤ بن عبدالله الرومي الاتابكي مدبراً لدولته وقائمـا

(نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م) ج١ ص١١٤ ، ابو العباس احمـد القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا (المطبعة الأميرية ، القاهـرة ١٩١٧) ج١ ص ١٦٧ ، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، تاريخ الخلفاء ط ٢ (مطبعة السعادة ١٣٧٨ هـ) ص٢٧٩ •

(١) وهي اتابكيات ، الموصل ، اربل ، سنجار ، الجزيرة (اي جزيرة ابن عمر) ، ديار بكر ، دمشـق ، حلب ، ارمينيا ، فارس ، لورستان ، اذربيجان وكرمان •

(٢) ان آخر من وقع عليه اختيار الخليفة العباسي المسترشد بالله ٥١٢ ـ ٥٢٩ هـ / ١١١٨ ـ ١١٣٤م ليكون واليا على الموصل ، هو عماد الدين زنكي بن آق ـ سنقر بن عبدالله التركي ، فقد استدعى الخليفـة رسولين من اهل الموصل وقرر معهما ان يكون امر الموصل له ، وبذل الخليفة من ماله مائة الف دينار وتوجه عماد الدين زنكي ، الى الموصل في ١٠ رمضان سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م • ولما تسلمها وجه اليه السلطان السـلجوقي محمود ولديه (الب ارسلان وفروخ) ليربيهما ولهذا قيل لزنكي اتابك • ولما اقتل زنكي استولى ولده سيف الدين غازي على الموصل • ومن الجدير بالذكر ، ان الخليفة المسترشد بالله كان اول الخلفاء الذين حاولوا التصدى للسلاجقة ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج١ ص١١٤ ، صلاح الدين ايبك

بشؤونها[٣] •

وتسنى لبدر الدين لؤلؤ الحصول على تشريف الخليفة المستنصر بالله العباسي له بالاستمرار على توليه حكم امارة الموصل خلفاً للملوك الاتابكة سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣[١] •

والعصر الذي حكم فيه بدر الدين لؤلؤ الموصل من الفترات المهمة في التاريخ الاسلامي وذلك لمعاصرته حدثين مهمين في تاريخ الشرق الاسلامي وهما الحروب الصليبية التي اججها الغرب المسيحي لغرض الاستيلاء على بيت المقدس وتنظيم حملات صليبية مستمرة لتهديد مصر وسورية لتحقيق ذلك وقيام دويلات صليبية في سورية وفلسطين تحاول التوسع على حساب الدول والامارات الاسلامية المجاورة لها، اما الحدث الثاني فهو الغزو المغولي الذي استهدف في بادىء الأمر اقامة امبراطورية مغولية عالمية تضم اواسط آسيا وايران وروسيا وبعض اجزاء من اوربا ثم ضم دول المشرق الاسلامي ومغربه اليها بالقوة بعد ذلك • وقد رافق حركة الغزو المغولية هذه اشاعة الرعب والهلع في نفوس المسلمين وبث البلبلة بين صفوفهم ونشر الدمار والخراب في بلادهم فغلبت على اكثر المسلمين وحكامهم روحية الاستسلام

الصفدي ، الوافي بالوفيات (النشريات الاسلامية ، مطبعة وزارة المعارف في الهند) ج٨ ص٨٨ •

(١) ابن الأثير ، الكامل ج١٢ ص١٢٢ ، كمال الدين ابي الفضل عبدالرزاق بن الفوطي تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب (تحقيق الدكتور مصطفى جواد) ج٤ قسم ١ ص٣٥٨ •

(٢) غريغوريوس ابو الفرج ابن العبرى ، تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق اللبنانية مجلد ٤٩)ص٧٣٩ ، تاريخ مختصر الدول (الطبعة الثانية) ص٢٤٩ ، شمس الدين احمد بن عثمان الذهبي ، دول الاسلام ج٢ (الطبعة الثانية) ص٩٤ ، ابو الحسن علي بن الحسن المعروف بالخزرجي، العسجد المسبوك (مخطوطة مصورة في المجمع العلمي العراقي) الورقة١٤٨ •

لهؤلاء الغزاة الفاتحين • لذلك فأن دراسة هذا العصر تكتسب اهمية خاصة لأنها تكشف جانبا مهماً من جوانب النشاط السياسي والعسكري الذي كانت تقوم به بلدان هذه المنطقة في مثل هذه الازمة المميتة التي كان يجتازها العالم الاسلامي بأسره •

بالأضافة الى ذلك فقد بلغ الازدهار الفكري والثقافي والعلمي في هذا العصر شأوا عظيما واصبحت الموصل لا تقل اهمية عن اكبر مراكز الثقافة الفكرية في البلاد الاسلامية ، هذا فضلا عن ظهور اساليب جديدة في الادارة المدنية والعسكرية ووظائفهما •

ففي الحياة الفكرية ، قامت امارة بدر الدين لؤلؤ بدور هام في حركة العلوم والفلسفة والآداب وشتى صنوف المعرفة الاخرى ، مثل العلـــوم الاسلامية وعلوم الرياضيات والكيمياء والعلوم الطبيعية وعلم الفلك والطب ، ونبغ في هذه العلوم كثير من العلماء الموصليين مثل كمال الدين بن يونس المتوفى سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م وهو عالم كبير اشتهر في كل انحاء البلاد الاسلامية وحتى في الغرب ، ولعب دوراً بارزاً في الحركة العلمية التـــي سادت الموصل[(١)] ، وغيره جمهرة من فضلاء المدرسين والعلماء والفقهـاء الآخرين من الموصليين أو غيرهم اغنوا حركة العلم والادب في الموصل في هذه الفترة وفي طليعتهم علي بن ابي الكرم ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٠ م وكان من اعلام التاريخ وقد كتب مؤلفه الشهير (الكامل في التاريخ) بوحي من بدر الدين لؤلؤ ومســاعداته ولهذا الكتاب منزلـة عظيمة لدى المؤرخين ، فقد كان ولا يزال تراثا اسلاميا خالدا في التاريخ ، وكذلك اخوه ضياء الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م وكان من اعلام اللغة والادب وقدم نتاجات ضخمة في هذا الشأن وقد احتضنه بدر الدين لؤلؤ

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج٤ ص ٣٦٩ ـ ٤٠٠ •

وكتب رسائل بلاطه الى الخلفاء وحكام البلاد الاسلامية بلغة الاديب المتمكن، والمبارك بن احمد بن المستوفي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ/١٢٣٩م وكان مؤرخا مشهورا التجأ الى بدر الدين لؤلؤ بعد غزو المغول لاربل وقد بقي في الموصل في حرمة وافرة يشتغل في علوم اللغة والتاريخ ، وشمس الدين بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ/١٢٨٢م الذي تلقى علومه الفقهية في مدرسة بدرالدين لؤلؤ (المدرسة البدرية) وهو من اعلام التاريخ وصاحب كتاب « وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان » •

ثم ان بدر الدين لؤلؤ كان يأخذ بأيدى علماء وشعراء آخرين ويبذل لهم الاموال ويسد نفقاتهم ، فقرب اقدر الشعراء الى بلاطه واجزل لهم العطاء ، كما انشئت المدارس ونشطت حركتها في عهده ، لذلك يمكن القول ان الموصل اصبحت في هذه الفترة واحدة من المراكز الفكرية والثقافية التي انتشرت منها العلوم والمعارف الى البلاد الاسلامية الاخرى ، وهذا يؤكد بطبيعة الحال اهمية عصر بدر الدين لؤلؤ في الموصل ، لذلك حاولت في دراستي هذه ان اقدم تفصيلات مفيدة عن حركة العلوم وطبيعتها ونتائجها في هذه الفترة •

اما على النطاق السياسي والعسكري ، فقد تهيأ لأمارة بدر الدين لؤلؤ ان تلعب دورا مهما وحاسما فيه ، وقد نشطت نشاطاً ملحوظاً في هذا الميدان ونتيجة لمعاصرتها لأربع من الخلفاء العباسيين المتأخرين كان على بدر الدين لؤلؤ ان ينشيء مع كل من هؤلاء علاقات سياسية كان لها اهمية بالغة لأنها كشفت عن جهوده في المحافظة على امارته وتأمين حدودها بالسعي الى تقوية التحالف مع الخليفة والتودد اليه والاعتراف له بالسلطة الروحية والمعنوية الى جانب السلطة السياسية • كما ان ذلك كان يفيده في مكافحة الذين كانوا ينازعونه على السلطة أيضا ، وقد تناولت في رسالتي بشيء من التفصيل هذه العلاقات وعينت اسبابها ونتائجها •

كما حاولت ايضا ان تضم دراستي علاقات بدر الدين لؤلؤ مع حكام بعض الامارات والدويلات الاسلامية وامارات المدن الصغيرة ، وقد تبين ان سعيه لأنماء هذه العلاقات وتوطيدها كان عظيما بحيث استنزف معظم نشاطه السياسي ، وكان يستهدف من وراء ذلك بالدرجة الاولى محاولة ايجاد الحلفاء وكسبهم الى جانبه بغية عزل مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل الذي راح يدفع عماد الدين زنكي بن نور الدين ارسلان شاه صاحب قلعتي العقر وشوش بالوقوف ضد بدر الدين لؤلؤ ، وبغية تفويت الفرصة للحيلولة دون قيام الآخرين بأي عمل يستهدف احتلال الموصل أو احداث مناوشات ضدها ايضاً •

وكان عليه ايضا ان ينفّذ سياسة التوسع التي كان قد اختطها لنفسه ويدخل في المنازعات الدائرة في المنطقة نظراً للظروف السياسية المضطربة التي كانت تمر بها الامارات والمدن المحلية ، والحقيقة انه لم يستطع تنفيذ هذه السياسة الا بعد ان تهيأ له جيش قوي منظم ، وبما ان هناك صلة وثيقة بين علاقاته السياسية والعسكرية وبين تنظيمه للجيش ، فقد عقدت فصلاً لبحث ما استند اليه في تحقيق الاهداف السياسية التي كان يسعى لتحقيقها تناول هذا البحث تنظيم الجيش وعناصره وفرقه وموظفيه وقادته وكيفية استدعاء الجند عند اعلان الحرب وأساليب القتال واسلحتَهُ •

ولهذا اوليت الاحوال السياسية والنظم العسكرية التي شاعت في الجيش اهتماما كبيراً وبينت النتائج التي تمخضت عنها سياسته التوسعية ومحالفاته ومعاهداته مع الملك الاشرف موسى صاحب ديار الجزيرة وخلاط وغيره من حكام الامارات واصحاب الاطراف الآخرين •

ثم تطرقت الى النتائج التي حصل عليها من جراء تطبيق سياسته التوسعية آنفة الذكر وهي فتح العمادية وسنجار وتل اعفر ونصيبين وجزيرة ابن عمر حيث قدمت المصادر تفاصيل عن فتحها والظروف التي

رافقت ذلك والنتائج التي اعقبت الاستيلاء عليها وموقف السكان منها . واوضحنا كذلك الدوافع من فتحها ، كما ان بدر الدين لؤلؤ استطاع دفع الاخطار التي كانت تأتي عن تهديدات مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل وحليفه عماد الدين زنكي صاحب العقروشوش ، وقد اوردت في هذا الصدد تفصيلات كافية القت اضواء على كثير من الحقائق التاريخية المهمة التي تتعلق بالحروب والمعارك التي خاضها والمعاهدات والاحلاف العسكرية التي سعى الى الدخول فيها .

كما خصصت فصلاً فيما يتعلق بموقف بدر الدين لؤلؤ من المغول واحداث غزوهم وعلاقاته معهم في الفترة الواقعة من ٦١٦ - ٦٥٧ هـ / ١٢١٩ - ١٢٥٨ م وهي فترة استغرقت كل عهده تقريبا ، ويمكن تقسيمها الى قسمين : الاول ينتهي في ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م وكان خلالها يتبع سياسة معينة اهم قواعدها يمكن ايجازها بعبارة (ضد المغول ولكن معهم) اي انه لم يشأ ان يصطدم بهم حيث كان حذرا منهم . اما الثانية فتبدأ بعد هذه السنة حتى وفاتهفي ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م وكانت تتميز بمهادنتهم ومجاراتهم وعدم استفزازهم ثم الدخول في طاعتهم ، ولذا فأن هذه السياسة تسترعي الاهتمام، مما جعلني اقدمها بشيء من التفصيل في هذه الرسالة .

وتتضمن رسالتي ايضا محاولة لدراسة التنظيمات الادارية والقضائية في امارة بدر الدين لؤلؤ فقد تناولت بالبحث ، الدواوين والوزارة وما يتبعها من وظائف اخرى ، وطبيعة هذه الوظائف وصلاحيات واعمال الموظفين والاداريين الذين كانوا يساعدونه لحل كثير من القضايا والمشكلات والامور المتعلقة بادارة الامارة، وكذلك تناولتوظيفة القضاة واختصاصاتها واهتممت بتقديم ذلك اعتمادا على الحقائق الواضحة والمعلومات الثابتة ؛ وكان بدر الدين لؤلؤ يشدد في ادارة امارته على اساليب المركزية وكان لهذا تأثيره الواضح في اخماد الفتن والثورات التي تقوم ضده في بعض القلاع والمدن

التابعة له ، وهذا بدوره ادى الى هيمنته السياسية والعسكرية بمرور الزمن على ممتلكاته خارج الموصل ، المقر الرسمي له .

يتضح مما تقدم ان هذا البحث يهتم اهتماما متكافئا بالجوانب السياسية والعسكرية من جهة وبالجوانب الفكرية والادارية من جهة اخرى ولا يتناول الاحوال الاجتماعية والاقتصادية . ومع اننا لا يمكن ان نهيأ بحثاً تاريخياً متكاملاً بدراستنا للاحوال السياسية والعسكرية لانها تركز على جانب واحد فقط ولكن اهمية هذه الفترة ، وهي احدى مراحل الصراع السياسي والعسكري التي اجتازتها منطقة الشرق الاوسط تجعل للعوامل السياسية والعسكرية اهمية كبيرة في البحث حيث انها تصف ظروف هذه الفترة واحداثها ، وتبين دور الافراد الذين كانوا يوجهون الاحداث وتكشف عن جهودهم في توجيه ذلك الصراع ، بالرغم من تركيزها على دور الفرد في توجيه التاريخ .
واستكمالا لهذا البحث عرضنا الى وصف الحركة الفكرية والعلمية والادبية وقدمنا تفصيلات عن الاحوال الادارية ، ولذلك يمكن القول ان موضوع الرسالة يشكل وحدة قائمة تقدم صورة لعلها تكون قريبة من الواقع لأمارة الموصل خلال النصف الاول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) تلك الامارة التي كانت تعتبر من اهم الوحدات السياسية والاجتماعية في قلب الدولة الاسلامية .

ان هذه الدراسة تعترضها صعوبات نظرا لقلة المصادر المعاصرة ، ولكن امكن الى حد ما التغلب عليها وذلك بعد محاولة الاعتماد على اشتات المعلومات والحقائق المتفرقة والقليلة وتنسيقها ومقارنتها واستخلاص الصورة المقاربة لواقع الحياة السياسية والعسكرية والثقافية والادارية لأمارة بدرالدين لؤلؤ وخليفته ابنه الملك الصالح ركن الدين اسماعيل .

ويأتي في مقدمة هذه الصعوبات : عدم استيعابي للمصادر السريانية

واللاتينية والعبرية وغيرها التي ربما يكون فيها بعض المعلومات المفيدة • إن ذلك في الواقع هو نقص في هذه الدراسة يجب الاعتراف به • ولكن علينا ان لا نبالغ فيه الى الحد الذي يجعلنا ننظر الى ما اوردته المصادر العربية نظرة ثانوية ، ففي الاخيرة تتوفر معلومات وحقائق مهمة تشكل المادة الاساسية والهيكل العام لحوادث تاريخ امارة الموصل في هذه الفترة •

وبصورة عامة فقد لزمت المصادر العربية الصمت ازاء بعض القضايا التي كان لها علاقة مهمة لسياسة بدر الدين لؤلؤ الداخلية ، وخاصة فيما يتعلق بموقفه من النصارى واليهود الذين كانوا يؤلفون نسبة غير قليلة من سكان الموصل ، مما جعلنا نفتش في المصادر السريانية واللاتينية للحصول على معلومات وحقائق تاريخية في هذا الصدد • وقد وجدت ان هناك تفاصيل قليلة ومهمة تلقي ضوءا حسناً على علاقة صاحب الموصل بهذه الطوائف في بعض هذه المصادر كالتاريخ الكنسي الذي يعرف « بالتاريخ البيعي وهو النص السرياني مع ترجمته اللاتينية » لابن العبري ، وتاريخ الرهاوي (بالسريانية) لمؤلف مجهول من اهل القرن السابع الهجري •

واهتمت المصادر الاخرى المعاصرة التي توفرت لدينا بتسجيل اخبار الصراع العسكري والمنازعات السياسية ، وفي مقدمتها ما كتبه ابن الأثير وابن العبري وسبط بن الجوزي وابن واصل ، وكان للأول اهمية خاصة في دراستنا نظرا لانه موصلي المنشأ وممن تردد على بلاط بدر الدين لؤلؤ واطلع على احوال الامارة اطلاعا كافيا ، ولذلك قدم لنا نصوصا هامة فيها تفاصيل عن الحروب التي خاضها بدر الدين لؤلؤ وفتوحاته لأمارات المدن وعن المحالفات والمعاهدات العسكرية التي سعى للأنضمام اليها فأوضح بذلك دوره السياسي والعسكري ايضاحا كافياً ، ويعتبر في هذه الموضوعات الأساس الذي اعتمد عليه عدد كبير من المؤرخين الذين نقلوا عنه ، وخاصة ابن العبرى وابو شامة وابو الفدا والذهبي وابن كثير وغيرهم ، لأنه عاصر

معظم الأحداث وعاش خلالها ، وبالرغم من ان القسم الاخير من كتابه (الكامل في التاريخ) ضمنه تقريبا كل ما يتعلق بتاريخ امارة الموصل وخاصة في النواحي السياسية والعسكرية وفي عهد بدر الدين لؤلؤ ، غير ان الأخير لم يكن يحظى بالذكر الا شيئاً قليلاً في كتابه الآخر (التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل) الذي سجل فيه كلما يتعلق باحوال اتابكية الموصل ومناقبهم ومآثرهم ، ولعل اسباب ذلك ترجع الى وفاة المؤرخ في ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ م .

وان التزامه بايراد الحوادث بحسب التسلسل التاريخي الزمني لم يعطينا المزيد من اخبار امارة بدر الدين لؤلؤ حيث ينتهي في حوادث سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م .

اما ابن العبري فينفرد ببعض المعلومات التي يذكرها في كتابيه (تاريخ الدول السرياني) الذي نشرته مجزءاً (مجلة المشرق اللبنانية) وتاريخ مختصر الدول وخاصة ما يتصل منها باواخر عهد بدر الدين لؤلؤ وخليفته ابنه الملك الصالح ، ركن الدين اسماعيل ، وعلاقاتهما بالمغول ؛ ومع انه يردد ما يذكره ابن الاثير في معظم اخباره عن امارة الموصل في بداية عهد بدر الدين لؤلؤ ، يمكن الاعتماد على اكثر اخباره في فترة السنين الاخيرة لعهد صاحب الموصل ، والواقع ان اغلب المعلومات التي اوردها هذا المؤرخ وبخاصة في الفترة الواقعة من ٦٢٨ - ٦٦٠هـ / ١٢٣٠ - ١٢٦١ م كانت ذات اهمية كبيرة لدراستي وذلك لمعاصرته الاحداث التاريخية التي وقعت في الموصل في هذه الفترة ، حيث كان يعيش آنذاك في بلاد سلاجقة الروم وهي منطقة قريبة من الموصل مما يجعل وصول الاخبار اليه بواسطة التجار والمسافرين امرا ميسورا فينصرف الى وضعها ، ولعل من المفيد ان نشير هنا الى ان بعض ما جاءبه ابن العبرى من اخبار بدر الدين لؤلؤ تعتبر اخبارا فريدة ، حيث لم تذكرها المصادر المعاصرة الاخرى المتوفرة لدينا .

وعزز المؤرخ سبط ابن الجوزي معلوماتنا عن امارة الموصل بعد وفاة ابن الأثير ، وتتميز هذه المعلومات بتنوعها وشمولها بالأضافة الى دقتها ووثوقها . فقد اودعت في كتابه (مرآة الزمان) معلومات جيدة عن بدرالدين لؤلؤ وعلاقاته مع الخلفاء العباسيين وحكام المدن والامارات الاخرى ، كما كشف جانبا مهما من نشاط بدر الدين لؤلؤ في انماء الحركة الادبية والعلمية في الموصل بتشجيعه الشعراء والادباء والعلماء والفقهاء ، وقد ذيل المؤرخ قطب الدين اليونيني عليها في كتابه (ذيل مرآة الزمان) مما يؤلف استمرارا للحوادث التاريخية المتعلقة بهذه الفترة .

وهناك بعض المصادر المعاصرة لمؤرخين في بلاد اخرى « كمفرج الكروب في اخبار بني ايوب » لأبن واصل وكتاب « الروضتين في اخبار الدولتين الصلاحية والنورية » والذيل عليه المسمى (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) للمؤرخ الدمشقي ابي شامة (وتاريخ الحكماء) للقفطي (والمختصر في اخبار البشر) لعماد الدين ابي الفداء صاحب حماة (وعيون الانباء في طبقات الاطباء) لأبن ابي اصيبعة ، أوردت اخبارا كان لها اعظم الفائدة لموضوع دراستي وذلك بالرغم من ان بعض هؤلاء كان ينقل عن مصادر اخرى ، فقد امكن بواسطتها وضع المادة الاساسية لعلاقات بدرالدين لؤلؤ السياسية ومعاهداته واتفاقياته العسكرية كما افادتنا في الحصول على معلومات يدور اكثرها عن الحركة العلمية والادبية فيالموصل ودور بدالدين لؤلؤ فيها .

واغنت كتب التراجم التي وضعها بعض المؤرخين المعاصرين دراستنا هذه بفيض من الحقائق التاريخية المهمة ، (فوفيات الاعيان) لأبن خلكان (وتلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب) لأبن الفوطي (والوافي بالوفيات) لصلاح الدين الصفدي (وفوات الوفيات) لابن شاكر الكتبي .

قدمت بعض التراجم للرجال الموصليين الذين لعبوا دورا هاما في

الحياة السياسية والعسكرية والفكرية والادارية أو الذين كانت لهم اتصالات مستمرة مع بدر الدين لؤلؤ ، كما ان بعض هذه المصادر كان معاصرا فقد استقى اغلب معلوماته عن طريق معايشته للأحداث ، فالمؤرخ الاول كان قد تردد على الموصل عدة مرات في عهد بدر الدين لؤلؤ وتلقى علومه الفقهية في مدارسها ، وجاءتنا عنه معلومات موثوقة تتعلق بالحركة العلمية والمدرسية ونشاط العلماء والفقهاء والدور الذي قام به بدر الدين لؤلؤ في هذه الحركة • اما الثاني فقد كتب لنا من خلال بعض التراجم التي اوردها معلومات مفيدة عن الاحوال الادارية لأمارة الموصل ، فأضاف بذلك الى معلوماتنا تفسيرات جيدة عن منزلة وزير بدر الدين لؤلؤ وتحديد سلطته الادارية وعن دور القاضي ومكانته في حسم كثير من القضايا والمشكلات الناشئة عن ذلك وعن تعيين بدر الدين لؤلؤ للوزراء والقضاة ، مما رسم لنا صورة تكاد تكون متكاملة لمؤسستي الوزارة والقضاء وصلاحيات الموظفين والأداريين الذين كانوا يشغلون المناصب فيها •

اما المؤرخون الآخرون فقد شددوا على اعمال الاشخاص الذين قاموا بدور مهم في النواحي السياسية والعسكرية بصورة خاصة ، وكذلك احتوت معلوماتهم تفصيلات عن الأمور الثقافية والعلمية والفكرية •

ووضع بعض المؤرخين كتبا في خلال القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وهي فترة مقاربة لموضوع دراستنا ، (كتاريخ الاسلام) « وكتاب دول الاسلام » لشمس الدين احمد بن عثمان الذهبي « وطبقات الشافعية الكبرى » لتاج الدين السبكي « والبداية والنهاية » في التاريخ لعماد الدين بن كثير « والسلوك لمعرفة دول الملوك » للمقريزي « وتاريخ الدول الإسلامية » المعروف بالفخري في الآداب السلطانية لمحمد بن علي بن الطقطقى و « الذيل على طبقات الحنابلة » لزين الدين عبدالرحمن بن رجب « والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لجمال بن تغرى بردى « وتاج

التراجم » في طبقات الحنفية لزين الدين بن قطلوبغا « وصبح الاعشى في صناعة الانشا لأحمد القلقشندى وتتمة المختصر في اخبار البشر لزين الدين بن الوردى « وتاريخ الخلفاء » لجلال الدين السيوطي « والجواهر المضية في طبقات الحنفية » لعبدالقادر محمد بن ابي الوفا القرشي « والعسجد المسبوك المنسوب » لأبن وهاس الخزرجي ، وبعض هذه الكتب لا يزال مخطوطاً ، وبعضها الآخر مطبوع ، وقد ضمت معلومات متباينة ومختلفة عن الفعاليات الفكرية والثقافية وعن الاحوال السياسية والعسكرية لامارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح ركن الدين اسماعيل ؛ والجدير بالذكر ان اهم ما يميز هذه المصادر عن غيرها من الكتب ، هي انها سجلت النتائج التي تمخضت عنها الاحداث السياسية والعسكرية ، كما ان بعضها لا يقدم تفصيلات كافية عن امارة الموصل •

ويحتل الكتاب الموسوم « بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » مكانة فريدة بين هذه المصادر ، فهو يعد في الواقع من اوسع المصادر عن تاريخ العراق في القرن السابع الهجري ، وفيه يقدم صاحبه معلومات غنية عن علاقات بدر الدين لؤلؤ السياسية مع الخلفاء العباسيين أو مع ملوك الاطراف وامرائهم ؛ كما ان فيه وصفا للأحوال العسكرية كالحملات والحروب التي خاضها جيش بدر الدين لؤلؤ ، وتضمن ايضاً حقائق جديرة بالاهتمام تتعلق بموقف بدرالدين لؤلؤ وخليفته ابنه الملك الصالح ركن الدين اسماعيل من المغول •

وفي كتب الرحلات والجغرافية معلومات ثمينة عن مدينة الموصل وخططها وأسوارها مما يلقي ضوءاً على الاحوال السياسية والعسكرية فيها ، فقد وصف لنا ابن جبير في رحلته وابن بطوطه في كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار) مناعة أسوار الموصل وقوتها ، الأمر الذي جعل الغزاة الفاتحين يكابدون صعوبات حقيقية في احتلالها ، وذكر شهاب الدين الرومي

الملقب بياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) المدن والقرى التي كان قد اخضعها بدر الدين لؤلؤ الى سلطته فوصفها وعين موقعها، وكانت معلوماته في ذلك قد استقاها من مشاهداته واطلاعه الشخصي على الاماكن والبلدان التي تسنى له زيارتها ، كما انه قدم لنا حقائق على غاية من الاهمية ، وخاصة فيما يتعلق بالامور الادارية ، فقد زودنا بتفصيلات قليلة عن (ديوان الموصل) ودواوين المدن الأخرى التي هي من اعمال الموصل .

اما معلوماتنا عن علاقات بدر الدين لؤلؤ بالمغول، فقد اودعت في مصادر بعضها معاصر مثل « جهانكشاى » لعطا ملك الجويني « وجامع التواريخ » لرشيد الدين فضل الله « والاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة » ـ قسم الجزيرة ـ لأبن شداد « وتاريخ وصاف الحضرة » لعبدالله بن فضل الله .

فعطا ملك الجويني كان قد رافق هولاكو في حروبه لشرق العالم الاسلامي ، والمعلومات التي اوردها فيما يتعلق بالغزو المغولي كانت دقيقة ومفيدة ، حيث اوضحت علاقات بدر الدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح بالمغول والقت اضواء على طبيعتها وقدمت حقائق ساعدت على فهم تطورها .

اما رشيد الدين فضل الله فقد كان وزيرا للمغول وصحبهم في غزواتهم الى الشام والمناطق المجاورة لها وعاش في قصر سلاطين المغول زمنا طويلا ، ولذلك فالمعلومات التي يوردها عن موقف بدر الدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح من المغول قد استمدها من المصادر الرسمية للأمبراطورية المغولية التي عاش بكنفها بتشجيع السلطان المغولي غازان خان نفسه[1] فوفر لنا هذا المصدر كل ما يتعلق بأخبار سقوط بغداد بأيدي المغول عام ٦٥٦ هـ /

---

(١) انظر مقدمة كاترمير لكتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله (ترجمة محمد القصاص) ص ٨٦ ــ ٨٧ .

١٢٥٨ م ومواقف بدر الدين لؤلؤ من ذلك ، كما سجل لنا في كتابه (جامع التواريخ) الذي ضمنه تاريخ المغول وفتوحاتهم ، معلومات طريفة عما كان قد اتخذه صاحب الموصل ازاء اجراءات هولاكو العسكرية التي كانت تقضي بفتح البلدان والاقاليم بالقوة والعنف ، ومن الجدير بالذكر ان اغلب معلومات هذا المصدر عن امارة بدر الدين لؤلؤ تركز على فترة السنين الأخيرة لعهده وعهد خليفته ابنه الملك الصالح اي حتى سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١ م حيث اتمت جيوش هولاكو احتلال مدينة الموصل ، وقد فعل مثل ذلك عبدالله بن فضل الله الذي الف كتابه الموسوم بتاريخ وصاف واهداه للسلطان المغولي الذي مر ذكره •

كما القى ابن شداد الذي اتم وضع كتابه في ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م ضوءا مفيدا على العلاقات المغولية مع بدر الدين لؤلؤ وقدم معلومات في هذا الصدد لم تتطرق اليها المصادر الاخرى تقريباً •

اما علاقات بدر الدين لؤلؤ مع جلال الدين منكبرتي سلطان الدولة الخوارزمية فيكشفها وزيره محمد بن احمد المعروف بالمنشىء النسوي ، حيث يورد في كتابه (سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي) وقائع مهمة في النواحي العسكرية والعمليات الحربية التي كانت توجهها العساكر الخوارزمية ضد امارة بدر الدين لؤلؤ ، ويذكر النَسَوي ان الخليفة المستنصر بالله العباسي كان غالباً ما يعمل للتوفيق بين السلطان الخوارزمي وبدر الدين لؤلؤ ، حيث أرسل اليه عدة ملتمسات رجاه فيها المبادرة الى انشاء العلاقات الحسنة مع صاحب الموصل والكف عن التحرش بالموصل واعمالها •

وفي كتب الادب العربي مادة جيدة عن الحركة العلمية والثقافية وعن

الاحوال السياسية والعسكرية والادارية يمكن تصنيفها الى ثلاثة اصناف ، هي كتب اللغة وكتب الشعر وكتب النثر ، ففي الأولى أورد اللغويون كثيرا من التفسيرات للأصطلاحات التي كانت تطلق على المؤسسات الادارية والعلمية واهمها معجم « لسان العرب » لأبن منظور و « صبح الأعشى » للقلقشندى اما كتب الشعر فقد وجدت فيها فوائد كثيرة لموضوع دراستي هذه ، ففي « ديوان ابن المقرّب » للشاعر جمال الدين علي بن ابي المقرب العيوني الأحسائي ، عدة قصائد قالها في مدح بدر الدين لؤلؤ وهي تلقي ضوءاً مفيداً على كثير من الحقائق التاريخية التي اهملتها المصادر الاخرى وخاصة ما يتعلق منها بالاحوال السياسية والعسكرية والعلاقات مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله .

اما في كتب النثر فتوجد مادة جيدة لهذه الدراسة ايضا ويمكن ان نعد « معجم الادباء » المسمى (ارشاد الأريب الى معرفة الاديب) لياقوت « ورسائل ابن الأثير » لضياء الدين بن الأثير « وانباه الرواة على أنباه النحاة » للقفطي « وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » للسيوطي « وشرح نهج البلاغة » لابن ابي الحديد من ضمن هذه الكتب . فالأول يذكر اشهر الادباء والشعراء في الموصل ويذكر مساهماتهم ونتاجاتهم الفكرية والادبية مما يقدم صورة عن مكانة الموصل في اللغة والادب تكاد لا تقل اهمية عن اي مركز ثقافي آخر في البلاد الاسلامية اما ضياء الدين بن الاثير فقد انشأ عدة رسائل عن لسان بدر الدين لؤلؤ تتوفر فيها معلومات قيمة عن الحياة الفكرية والسياسية والعسكرية . وفي كتاب شرح نهج البلاغة كثير من الحقائق المتعلقة بموقف بدر الدين لؤلؤ من المغول وكذلك ما يخص محاولاته المتكررة في الحصول على اربل .

وتعتبر : نقود بدر الدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح من المصادر المعاصرة لامارة الموصل وهي موجودة بكميات وافرة في معظم المتاحف ولكن

بالرغم من كثرتها فأن فائدتها محدودة لغرض دراستي هذه ، ثم انها مصادر صمّاء لا تقدم معلومات دقيقة فيما يتعلق بالاحوال الادارية أو السياسية أو العسكرية أو النظم ووظائفها أو الحركة الفكرية ما لم تدعم بمصادر اخرى مكتوبـة •

وتناولت البحوث الحديثة بعض الجوانب من موضوع دراستي • اما عن تنظيم الجيش فقد امكن الاستفادة مما كتبه D. Ayalon عن تنظيم الجيوش المملوكية بعنوان

Studies on the Structure of the Mamluk Army

في مجلة : Bulletin of the School of oriental and african Studies.

ومما كتبه بولياك في كتابه (الاقطاعية في مصر وسورية وفلسطين ولبنان) وبولدوين في مقالتـه عن الحروب الصـليبية و Henry Field في مقالته عن بدر الدين لؤلؤ التي نشرها في مجلة Max V. Berchem Bibliogrghy فيما نشره عن امارة الموصل وارنست باركر في مقالتـه (الحروب الصليبية) في كتابه تراث الاسلام والدكتور عبدالمنعم ماجد في كتابه (نظم الفاطميين ورسومهم في مصر) والدكتور علي ابراهيم حسن في كتابه (دراسات في تاريخ المماليك البحرية) وما كتبه هـ•أ• جب عن جيش المماليك وجرجي زيدان في كتابـه (تاريخ التمدن الاسـلامي) والدكتور محمد حلمي في مقدمته لنشر كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لأبي شامة والدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور في كتابه (مصر في عصر دولة المماليك البحرية) والدكتور نظير حسـان سـعداوي في كتابـه (التاريخ الحربي المصري في عهد صـلاح الدين الايوبي) • حيث قدم كل هؤلاء بحوثا عن الجيوش الايوبية والمملوكية ونظمها العسـكرية وعن علاقات الامارات السياسية المتنافسة في منطقة الجزيرة ، وهم في استنتاجاتهم كانوا

يلقون ضوءا على طبيعة هــذه الجيوش التي كان لهـا تأثير كبير في جيش بدر الدين لؤلؤ ، فقد استمد الاخير كثيراً من تنظيماتها واصولها •

وكُتبت بحوث" حديثة عن الاحوال الفكرية والعلمية والثقافية فــي الدول الاسلامية خلال هذه الفترة افادتنا لوضـــع استنتاجات عن الحركــة العلمية والادبية في امارة الموصل ودور بدر الدين لؤلؤ في انمائها وتوسيعها ، فكتاب (تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك) للأستاذ قدري حافظ طوقان وكتاب (علوم اليونان وسبل انتقالها) للأستاذ دي لاسي اوليري وكتاب (تاريخ الحضارة الاسلامية) لبارتولد وكتاب (تاريخ الجامــعات الاسلامية الكبرى) لمؤلفه محمد عبدالرحيم غنيمة وكتاب (تاريخ التربيـة الاسلامية) للدكتور احمد شلبي وكتاب (العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي) للمستشرق الايطالي الدوميلي Aldo Meilli ومقالــة (المدرسة المستنصــرية ومدرســوها ومحدثوها وناظروها ودار القرآن) للدكتور مصطفى جواد المنشورة في مجلة سومر وكتاب (الفكر الاســلامي منابعه وآثاره) للأستاذ (M. M. Sharif) .

حيث طرحت هذه المؤلفات آراء مهمــة فيما يتعلق بأنشــاء المدارس ودور العلم واثرها في الحركة العلمية ، كما أنها قدمت تفسيرات لكثير من المصطلحات والتعابير والكلمات العلمية التي كانت سائدة في هذه الفترة •

وقــد جاء ايضــا في كتابات الاســتاذ ســعيد الديوهجي والأب J.M. Fiey (O.P.) في كتابه (Assyrie Chretienne) وكتابه الآخر (Mossoul Chretienne) والدكتور داود الجلبي والدكتور جعفر خصباك في كتابه « العراق في عهد المغول الايلخانين » وفي كتاب (المكتبة العربيــة الصقلية وهو نصــوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع) تحقيق ميخائيل اماري ، وفي كتاب (شعراء النصرانية بعد الاسلام) للويس شيخو

وكتاب (العرب في صـقليه) للدكتور احســان عباس وكتاب (احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية) لروفائيل بابو اســحق وفي كتاب (العملة الاسلامية في العهد الاتابكي) للدكتور محمد باقر الحسيني ، جاء في كل هذه المؤلفات استنتاجات وآراء مفيدة لموضوع رسالتي احيانا ، وخاصة فيما يتعلق بسياسة بدر الدين لؤلؤ الخارجية وعلاقاته وسياسته الداخليـة تجاه العناصر والطوائف الدينية التي كانت تؤلف سكان الموصـل والقرى التابعة لها ٠

* * *

الفصل الأول

ظهور بدر الدين لؤلؤ ـ سياسته الداخلية

علاقاته مــع

الشيعة والنصارى والطائفة العدوية

الفصل الأول

ظهور بدر الدين لؤلؤ ـ سياسته الداخلية

بدر الدين لؤلؤ ـ نشأته السياسية

وهو المولى الأمير الاسفهسلار[١] الكبير العادل الكامل الأسعد المقبل بدرالدين لؤلؤ عضد الأسلام وسيد الأمراء حسام امير المؤمنين[٢] أو الملك الرحيم العالم المؤيد المنصور المظفر بدر الدين ركن الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين[٣] . أو الملك الرحيم أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبدالله الأتابكي[٤] . او الأمير بدر الدين ابو الفضائل النوري[٥] . أو السلطان الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأرمني الآتابكي[٦] أو بدر الدبن لؤلؤ الرومي الآتابكي[٧] . أو الملك المسعود[٨] .

---

(١) اي مقدم العسكر ، وهو لفظ مركب من مقطعين ، الأول فارسي بمعنى المقدّم والثاني تركي بمعنى العسكر ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء ، ج٦ ، ص ٧ ـ ٨ .

(٢) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الآتابكية بالموصل ، تحقيق عبدالقادر طليمات ، ص ٢٠٣ .

(٣) ابن الأثير الكامل جـ١ ص٣ .

(٤) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب ، جـ٤ قسم٣ ص ١٧١ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان جـ٥ ص ٤٦ .

(٦) الذهبي ، دول الأسلام جـ٢ ص١٢٢ .

(٧) الخزرجي ، العسجد المسبوك جـ٢ الورقة ١٤٨ ، الحوادث الجامعة ص٥٢ .

(٨) ن٠م نفس الصفحات .

كما ان نقوده[1] وآثاره[2] حملت معظم القابه .

وليست لدينا معلومات وافية عن حياته الخاصة ، غير ان بعض المصادر ذكرت انه كان مملوكاً ارمنياً اشتراه رجل خياط[3] ثم صار الى الملك نور الدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود بن عزالدين بن مودود بن أق سنقر الآتابكي صاحب الموصل ٥٨٩ ـ ٦٠٧ هـ « ١١٩٣ ـ ١٢١٠ م »[4] .

---

(١) انظر مجموعة مسكوكات المتحف العراقي ، إنظر ايضا الدكتور محمد باقر الحسيني العملة الاسلامية في المعهد الآتابكي « مطبعة دار الجاحظ بغداد ١٩٦٦ » ص٥٧ ـ ٦٧ . وجاء في مقالة « الالقاب الاسلامية على العملة الآتابكية المنشورة في مجلة بغداد العدد ٢٤ لسنة ١٩٦٥ » ص٢٤ ـ ٢٨ ، ان من القاب بدر الدين لؤلؤ هو « سلطان الاسلام والمسلمين » و « بدر الدنيا والدين » .

(٢) وقد ظهرت كتابات في دور المملكة التي بنيت في العهد الآتابكي فيها القاب عديدة لبدر الدين منها « الملك الملك الرحيم العادل المؤيد المظفر المنصور المجاهد المرابط الغازي بدر الدنيا والدين عضد الاسلام والمسلمين تاج الملوك والسلاطين محيي العدل في العالمين » و « المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين اتابك ابو الفضائل لؤلؤ بن عبدالله حسام امير المؤمنين وقاهر الكفرة والمشركين وقاهر الخوارج والمتمردين » انظر سعيد الديوه‌جي ـ الموصل في العهد الآتابكي ص١١٨ .

(٣) يرى الدكتور داود الجلبي ، إن بدر الدين لؤلؤ كان قد سبى من أرمينية صغيرا وصار مملوكا لنور الدين ارسلان شاه وتربى تربية اسلامية وهو الذي لقبه بدر الدين لؤلؤ ، « انظر مقالته في مجلة سومر مجلد ٢ لسنة ١٩٤٦ » ص ٢٣ فما بعد . وعنوانها « الملك بدر الدين لؤلؤ ».

(٤) عماد الدين ابو الفدا اسماعيل المعروف بأبن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ ط١ ، مصر ، ١٩٣٢ ، جـ١٣ ص٢١٤ ، وقد أضاف هذا المؤرخ بأن العامة كانت تلقبه « قضيب البان » .

ويمكن القول ان في ٦٠٧ هـ « ١٢١٠ م » عند وفاة نور الدين ارسلان شاه[١] ومجيء ابنه الملك القاهر[٢] كانت السلطة الفعلية لبدر الدين لؤلؤ . اما في ٦١٥ هـ « ١٢١٨ م » عند وفاة الملك القاهر أقر حكم الموصـــل من الناحية الأسمية لولده نور الدين ارسلان شاه وأقيمت له الخطبة وحملت النقود اسمه وجعل بدر الدين لؤلؤ مدبّراً لدولته[٣] فأرسل الأخير يطلب من الخليفة الناصر لدين الله العباسي التقليد لنور الدين ارسلان شـاه بن الملك القاهر بالولاية وان يقوم هو بالوصاية عليه ريثما يستطيع القيام بأعباء الحكم[٤] وبعد ايام وصل التقليد من الخليفة وفيه التشريفات لهما[٥] .

وخلف الملك نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر ابن صـــغير

---

(١) كان عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود ٥٧٦ ـ ٥٨٩ هـ « ١١٨٠ ـ ١١٩٣ م » قد اوصى لابنـــه نور الدين ارسلان شاه ٥٨٩ ـ ٦٠٧هـ « ١١٩٣ ـ ١٢١٠ م » بالملك وقد عارض عمه شرف الدين بن قطب الدين مودود ، غير ان مجاهد قايماز ومجد الدين بن الاثير قد ساعدا نور الدين ارسلان شاه وسانداه ،على أخذ السلطة . وقام نور الدين ارسلان شاه بتحقيق الأصلاحات وبعث روح التجديد في الدولة الآتابكية فاكتسب سمعة جيدة لدى الملوك والأمراء ومن رعيته ايضاً ، ثم عهد بالأمر قبل موته لابنه الملك القاهر حيث تولى الحكم سنة ٦٠٧ هـ « ١٢١٠ م » .

(٢) وهو عز الدين مسعود بن ارسلان شـــاه بن مســـعود بن مودود ٦٠٧ هـ « ١٢١٠ م » ٦١٥ هـ « ١٢١٨ م » وكان منغمسا في ملذاته تاركا امور الدولة الى بدر الدين لؤلؤ .

(٣) ابن الاثير ، الباهر ص ٢٠٣ .

(٤) جمال الدين محمد بن سالم المعروف بابن واصل ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب « تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال » جـ٣ ص٢٦٢ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص ١٣٨ ، ابن العبري ، مختصـــر الدول ص ٢٣١ .

لا يتجاوز عمره السنة الثالثة استطاع بدر الدين لؤلؤ التخلص منه سنة ٦١٥ هـ « ١٢١٨ م » واستمر بدر الدين لؤلؤ مدبراً للدولة نافذ الكلمة العليا وصاحب الأمر الفصل فيها حتى وفاة آخر ملك اتابكي سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣ م حيث نصب ملكاً مستقلاً واعترف به الخليفة العباسي(١) .

واشار جمال الدين ابو حامد المعروف بابن الصابوني(٢) والمؤرخ شمس الدين الذهبي(٣) والشاعر الأحسائي علي بن المقرب العيوني الأحسائي(٤) الى ان بدر الدين لؤلؤ كان مملوكاً ارمنياً . وأفادت بعض المصادر ايضاً الى كونه رومياً(٥) ومن المحتمل في رأينا ان بدر الدين لؤلؤ قد جلب مملوكاً ارمنياً صغيراً من بلاد الروم « آسيا الصغرى » وتربى في كنف الآتابكة في الموصل ، فلقد اشير الى انه في ٦٠٦هـ « ١٢٠٩ م » كان مملوكاً خاصاً ومتقدماً لدى نور الدين ارسلان شاه حتى ان ابن خلكان وهو معاصر وممن تردد الى الموصل اكثر من عشر مرات كان يلقبه بـ « الأمير النوري »(٦) وابن الأثير الذي تردد الى بلاطه فيما بعد ذكر الخدمات الجليلة

---

(١) انظر المقدمة ص ٢ .

(٢) تكملة اكمال الاكمال « تحقيق الدكتور مصطفى جواد »ص١٧٠ .

(٣) دول الاسلام جـ٢ ص١٢٢ .

(٤) نقرأ في ديوان هذا الشاعر البيتين الآتيين : [من الطويل]

تسلطن بالحدباء عبد بلؤمه ... بَصِيرٌ بَلَـىَ عن نيل مكرمة عم

إذا ايقظته لفظة عربية ... الى المجد قالت : أرمنيته نِم

ديوان ابن المقرب « تحقيق وشرح عبدالفتاح محمد الحلو ، الطبعة الأولى ١٩٦٣ » ص ٥٠٥ .

(٥) الخزرجي ، العسجد المسبوك جـ٢ الورقة ١٤٨ ، الحوادث الجامعة ص٥٢ .

(٦) وفيات الأعيان : جـ٥ ص٢٦ ، ٣٢ .

التي قدمها هذا المدبر المخلص لسادته مما جعل الملك نور الدين ارسلان شاه يبالغ في منحه الأنعامات الكثيرة حيث صار بأمكانه التدرج في اعلى الرتب حتى ولاه امارة الجيوش والعساكر وسياسة القبائل والعشائر[1] وقد استغل نفوذه الواسع وسطوته في الجيش لصالحه وذلك في التقرب الى الجند والرعية وأغداق الأموال والهبات عليهم ، حيث ان هذا المنصب كان اعلى المناصب في الدولة وأخطرها ولا يتهيأ الا لمن يسدى خدمات كثيرة فيها .

وبذل بدر الدين لؤلؤ جهوداً كبيرة لكسب ثقة الرعية والأجناد والأمراء وارباب الدولة وأصحاب الوظائف الى جانبه منذ كان مدبراً لدولة نور الدين ارسلان شاه[2] ، فقد ذكر ابن واصل بهذا الصدد انه قام بتدبير المملكة احسن قيام فتودد الى الرعية والأجناد والأمراء وخلع عليهم الخلع الفاخرة وسعى الى كشف ظلاماتهم[3] . ويبدو ان هذه السياسة التي اتبعها بدر الدين لؤلؤ قد تركت أثراً واضحاً في المصادر المعاصرة حيث وردت فيها معلومات دقيقة عن دوره في الحياة السياسية ، فقد

---

(١) ابن الأثير ، التاريخ الباهر ص٢٠٤ .

(٢) شمس الدين ابو المظفر المعروف بسبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ط ١ في الهند ، جـ٨ قسم٢ ص٦٠١ ، شهاب الدين عبدالرحمن المقدسي المعروف بأبي شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص١٤٢ ، الذهبي ، دول الاسلام ، جـ٢ ص٩٤ .

(٣) لم يشأ بدر الدين لؤلؤ ان يذيع وفاة الملك القاهر بل أوعز للأطباء الملاحين الذين كانوا يرافقونه في سفرته خارج الموصل على نهر دجلة الا يصرحوا لأحد في ذلك خشية ان يتألب عليه الطامعون من الأسرة الآتابكية الذين كانوا يرون بأنه اغتصب الملك ابن واصل ، مفرج الكروج جـ ٣ ص ٦٢٢ .

وصف بأنه كان « ذا دهاء ، حسن السياسة سديد الرأى »[١] ، « شجاعاً مهيباً سائساً خبيراً بالأمور »[٢] ، « صادق العزيمة عالي الهمة »[٣] . كما اشير كذلك الى انه كان مخلصاً في طاعته للخلفاء العباسيين[٤] وقد أفاده كما يظهر في تثبيت سلطته الفتية المتزعزعة ، ففي ٦٣١ هـ « ١٢٣٣ م » كتب الخليفة المستنصر بالله كتاباً اعلن فيه موافقته على استمرار تولي بدر الدين لؤلؤ حكم امارة الموصل وان يخطب له على المنابر بالسلطنة[٥] وذلك بعد ان زال آخر ملك اتابكي ، وقد اوضح الذهبي مشيراً الى تسمية بدرالدين لؤلؤ سلطاناً لأمارة الموصل خلفاً للملوك الأتابكيين وأنه ضرب سكة النقود باسمه[٦] . ونوه مصدر آخر الى ان بدر الدين لؤلؤ الرومي الآتابكي قد خوطب بالسلطنة والتقليد في ٦٣١ هـ « ١٢٣٣ م » وسلم اليه عهده ولقب بالملك المسعود وأذن له ان يذكر اسمه على المنابر ببلده وبنقشه على الدينار والدرهم[٧] . وينقل لنا صاحب الكتاب الموسوم بالحوادث الجامعة ، ان الخليفة المستنصر بالله العباسي ارسل الأمير بدر الدين سنقرشاه الظاهري احد كبار مماليكه سنة ٦٣١ هـ الى الموصل ومعه خلعة السلطنة وتقليد

---

(١) الذهبي ، دول الأسلام جـ٢ ص١٢٢ ، ابن كثير البداية جـ١٣ ص ٢١٤ ، الحوادث الجامعة ص ٣٣٧ .

(٢) الذهبي ، دول الأسلام جـ٢ ص١٢٢ .

(٣) العسجد المسبوك جـ ٢ الورقة ١٤٨ .

(٤) ن.م .

(٥) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني « مجلة المشرق مجلد ٤٩ » ص ٣٩ ٧ .

(٦) تاريخ الأسلام « المخطوطة المصورة في معهد الدراسات الاسلامية العليا ـ بغداد » الورقة ١٨٣ .

(٧) الخزرجي ، العسجد المسبوك جـ٢ الورقة ١٤٨ .

لبدر الدين لؤلؤ الرومي الآتابكي صاحب الموصل ولقبه بالملك المسعود[١] واشير في هذا المصدر ايضاً الى ان بدر الدين لؤلؤ كان أهلاً لثقة الخليفة فقد اتصف بالعقل والحزم وانه « كان لبيباً جواداً كريماً ذا دهاء وحيلة » ، يضاف الى انه « كان كثير الأحسان الى الرعية عادلاً شهماً حسن السياسة » ومن الجهة الأخرى فقد وصف بأنه كان مستبداً في السلطة « كثير القتل والتشويه والمؤاخذة »[٢] ، ويبدو ان استبداده بالسلطة وما نتج عنها من العنف كان بسبب منازعة الأمراء المناوئين له في سنجار والعقر[٣] وشوش[٤] واربل والعمادية •

سياسة بدر الدين لؤلؤ الداخلية :

ان الأستقلال الذي حصل عليه بدر الدين لؤلؤ في حكم امارته فرض عليه اتباع سياسة داخلية متميزة اهم قواعدها المحافظة على الأمن الداخلي وذلك بالقضاء على الفتن والثورات والمؤامرات ، ثم الظهور بمظهر الحاكم القوي والسعي الى القضاء على نفوذ الآتابكة بتوجيه انظار الناس نحوه • ويضاف الى ذلك سعيه المستمر للحصول على الأموال وذلك على حساب العناصر والفئات والطوائف الدينية التي كانت تؤلف سكان مدينة الموصل أو المدن الأخرى التابعة له ، فسكان المدينة كانوا مؤلفين من عناصر مختلفة اهمها العرب والأكراد والتركمان ، وقد كوّن المسلمون الغالبية في هذه

---

(١) الحوادث الجامعة ص٥٢ •

(٢) ن•م • ص٣٣٧ •

(٣) وهي قرية بين تكريت والموصل وتقع على حدود العراق بجنوب الموصل ، ياقوت معجم البلدان « طبعة ليبسك ١٨٦٦م » جـ٣ ص٦٩٦ •

(٤) وهي قلعة عالية جداً تقع بالقرب من عقر الحميدية من اعمال الموصل ، ن•م • ص ٣٣٤ •

العناصر ، كما انقسم هؤلاء الى سنة وشيعة • وكانت توجد بالأضافة الى ذلك اقلية من أهل الذمّة وهم النصارى واليهود • وفي الواقع ان هذا التكوين العنصري والديني مهم في دراسة جانب من السياسة التي حاول بدر الدين لؤلؤ تطبيقها وذلك محاولة منه للتقرب الى بعضها أو فرض الأموال على بعضها الآخر أوالتخلص منها باستعداء أحدها على الآخر ، وقد آثرنا ان ندرس « الطائفة العدوية » الكردية ثم الشيعة والمسيحيين وعلاقتهم مع حاكم الموصل لكي يلقى ذلك ضوءاً مفيداً على سياسته تجاه بقية اهل المدينة بطوائفهم وعناصرهم وطبقاتهم الأخرى •

١ ــ بدر الدين لؤلؤ والطائفة العدوية :

يستفاد من النصوص المتيسرة لدينا ان أتباع الشيخ عدي بن مسافر[1] الذي تنسب اليه الطائفة العدوية ، الذين هم من الأقوام المنتشرين في المناطق الجبلية القريبة من الموصل كانوا يثيرون الاضطرابات والفوضى المستمرة ضد امارة بدر الدين لؤلؤ ويقومون بمحاولات عسكرية لاحتلال الموصل في الفترة الواقعة في ٦٤٠ ــ ٦٥٢هـ / ١٢٤٢ ــ ١٢٤٥ م ويؤلبون الدول والأمارات ضد بدر الدين لؤلؤ • وقد اشارت المصادر الأولية الى ان شمس الدين الحسن بن ابي البركات بن صخر بن عدي بن مسافر

---

(١) وهو الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان ابن الحكم الأموي الذي تنسب اليه الطائفة العدوية ، وقد كان اتباعه يقيمون شعائره ويقتفون آثاره ــ ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١١٧ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان جـ٢ ص٤١٧ • انظر ايضاً عن اليزيدية « مجلة المشرق مجلد ٤٧ ص ٥٧٩ فما بعد ثم اليزيدية قديماً وحديثاً للدكتور قسنطنطين زريق « المطبعة الأميركانية ــ بيروت ــ ١٩٥٣ » •

الملقب « تاج العارفين »[1] كان يتمتع بنفوذ واسع بين طوائف الأكراد وان بدر الدين لؤلؤ كان حذراً من الأصطدام به لانه كان يتوقى اثارة اتباعه فيعمدون لتخريب بلاد الموصل[2] وقد اتخذت حركة هؤلاء طابعاً سياسياً وعسكرياً[3] حيث ضمت اتباعاً كثيرين أنتشروا في مناطق الموصل وتطورت بمرور الزمن الى حركة دينية مغالية[4] حيث اخذت تدعو الى رفض كل

---

(١) [وكان من رجال العالم رأياً ودهاء ، وله فضل وادب وشعر وتصانيف في التصوف ، وله اتباع ومريدون يبالغون فيه ، وقد بلغ من تعظيم العدوية له انه قدم عليه واعظ فوعظه حتى رق قلبه وبكى وغشى عليه ، فوثب الأكراد على الواعظ فذبحوه ، ثم افاق الشيخ فرآه على حالته فقال : ما هذا ؟ فقالوا : ايش هذا من الكلاب كيف يبكي سيدنا الشيخ ، فسكت حفظاً لدسته ولحرمته] ، ابن شاكر الكتبي فوات الوفيات ج ١ ص ٢٤٢ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ج٥ ص٢٩٩ ، ويذكر الخزرجي ان من كتبه في التصوف « كتاب محك الأيمان و » الجلوه لارباب الخلوه » و « هداية الأصحاب » وفيه انحراف ظاهر عن الدين الاسلامي ، وله كتاب آخر فيه تصانيف لا يمكن النطق بها ، العسجد ج٢ الورقة ١٧٠ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج٤ ص٤١٧ ، ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج١ ص٢٤٢ .

(٣) يرى الأستاذ سعيد الديوهجي ان قيام بدر الدين لؤلؤ بنشر التشيع في الموصل كان بدافع مقاومته « الحركة الأموية » التي كان يدعو اليها الحسن شمس الدين بن عدي بن مسافر شيخ الطائفة العدوية وهو استنتاج لم يقم عليه دليل في الوقت الحاضر ، انظر الموصل في العهد الآتابكي ص٦٧ ومقالته عن « مشهد الامام يحيي بن القاسم » « المنشورة في مجلة بغداد العدد ٢٢/١٩٦٥ » ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٤) ان تطرف هذه الطائفة ومغالاتها وإنحرافها لم يظهر في عهد الشيخ عدي بن مسافر الذي تنسب اليه بل في عهد الشيخ حسن شمس‌الدين وهي الفترة التي حكم فيها بدرالدين لؤلؤ . ولقب الشيخ عدي بالقاب ـ منها

ما يمت للدين الاسلامي من مبادىء وشعائر لذلك فقد رأى بدر الدين لؤلؤ ان القضاء عليها يتحقق بسهولة اذا اتخذ مظهراً دينياً وذلك تحقيقاً لسياسته التي اختطها لنفسه بالقضاء على الثورات الداخلية والمحافظة على استتباب الأمن ٠

ومع ان المصادر المتوفرة لا تشير الى الاسباب التي كانت تدفع بهؤلاء للوقوف ضد بدر الدين لؤلؤ ومناوأته ، غير انه يمكن القول ان حركتهم الدينية المتطرفة ومغالاتهم في عقائدهم وانحرافهم عن اصول الدين الاسلامي[1] واتخاذهم المناطق القريبة والمحيطة بالموصل ساحة لنشاطهم

(شيخ المشايخ) و (موضح الحق) و (ناصر السنة) و (قامع البدعة) و (شرف الدين) و (حجة الاسلام) و (قطب الزمان) و (زين العباد) ، انظر ديوان ابي بكر الغرودك « مخطوطة مصورة عن نسخة خزانة جامعة برنستن » الورقة ٢٧ ــ (وفي عهد الشيخ الحسن بن ابي البركات بن صخر ابن عدي بن مسافر أضافوا الى معتقداتهم اشياء باطلة نظماً ونثراً ونسبوا للشيخ عدي بن مسافر بدعاً مخالفة لما كان عليه الشيخ) ، انظر الدكتور داود الجلبي (مقالته في مجلة سومر وعنوانها « الملك بدر الدين لؤلؤ » مجلد ٢ سنة ١٩٤٦ ، ص ٢٣ فما بعد) ٠ ونقل الأب انستاس مارى الكرملي عن اوراق مخطوطة جمعت من انحاء سنجار جاء فيها ان تربة الشيخ عدي بن مسافر (اي قبره) في (جبل لالش) الذي كان يقيم فيه قبل مماته اعتبرت مقدسة لدى اتباع الطائفة العدوية حتى إنهم كانوا يفضلونها على الكعبة فيزعمون ان الذي يزور تربة الشيخ عدي أفضل بالقبول عند الله من زيارة الكعبة) مجموعة في النحلة اليزيدية (مخطوطة في معهد الدراسات الاسلامية العليا بجامعة بغداد) الورقة ٨٤ ٠

(١) يذكر ابن خلكان ، ان للشيخ عدي بن مسافر اتباعاً كثيرين جاوز حسن اعتقادهم فيه الحد حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون فيها وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها ، وفيات الأعيان جـ٢ ص٤١٧ ٠ وجاء عن مخطوطة ترجع الى القرن السابع الهجري في اللغة التركية مقالة

وتهديداتهم المتكررة بالهجمات والغارات العنيفة لاعمالها من القرى والمدن ما يبرر لصاحب الموصل التصدي لهم ومكافحتهم كما ان هؤلاء ، كما يظهر كانوا يأملـُو نَ من وراء تحرشاتهم هذه الحصول على الثروات والأمـوال أو القيام بعمليات السـلب والنهب أو ما تقع عليه ايديهم . وأغلب الظن ان بدر الدين لؤلؤ كان يخشى الشيخ شمس الدين الحسن بن عدي بن مسافر ويخافه نظراً لما كان يتمتع به من نفوذوقوة لدى اتباعه من الأكراد الذين اصبح ازديادهم وكثرتهم[١] يهددان امارته او على الأقل احداث التخريبات في القرى والمدن والقلاع التابعة له لذا كان يحاول ايجاد الفرص المناسبة للتخلص منه والقضاء على اتباعه وقد تسنى له تحقيق ذلك سـنة ٦٤٤ هـ « ١٢٤٦ »[٢] .

غير ان بقاياهم استمروا في اعلان التمرد ضد بدر الدين لؤلؤ من المحتمل ان اثارتهم بالطريقة التي اتبعها الأخير في قتل شيخهم والتمثيل بهم

عنوانها « ترجمة السريانية في احوال الفرقة اليزيدية الشيطانية » ترجمة اغناطيوس عبدة خليفة اليسوعي ، ان اتباع الشيخ عدي بن مسافر الذين هم الطائفة العدوية واتباع حسن البصري اطلق عليهم مجتمعين فيما بعـد اسم « الطائفة اليزيدية » مجلة المشرق مجلد ٤٧ ص٥ ، ص ٥٧٩ .

(١) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات جـ١ ص٢٤٢ .

(٢) جاء في « فوات الوفيات » انه احتال عليه حتى حضر الى الموصل فقبض عليه وحبسه ثم خنقه بوتر ، جـ١ ص٢٤٢ ، وأشار الخزرجي الى ان اصحاب الشيخ عدي من الأكراد اجتمعوا بعضهم الى بعض واتفقوا على نهب اعمال الموصل فطلب بدر الدين لؤلؤ اكراد الخيل فأتاه الف فارس منهم فضم اليهم عسكراً ودفعهم لمحاربة الأكراد فحاربوهم وكسروهم ، العسجد المسبوك جـ٢ الورقة ١٨٤ .

هو الذي كان يدفعهم باستمرار وباعنف من السابق للتحرش والأعتداءات باطراف الموصل فقد اشير في احد المصادر ان تحرشات الأكراد العدوية بامارة الموصل استمر حتى بعد مقتل امامهم شمس الدين الحسن بن عدي ابن مسافر[١] مماجعل بدر الدين لؤلؤ يعمد الى فرض ضرائب باهضة على اولاد الشيخ عدي ويلزمهم بدفع الأموال ، وقد اضطرهم في نهاية الأمر الى اعلان الدعوة ضده والتأليب عليه فارسل اليهم جيشاً والتقى بهم في معركة شديدة ادت الى هزيمتهم وقتل الكثير منهم[٢] ويشير ابن خلكان وهو معاصر الى ان مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل كان يعمل على تشجيع اتباع الشيخ عدي بن مسافر لمعاداة بدر الدين لؤلؤ ويدفعهم للوقوف ضده وشن الغارات على الموصل[٣] وخاصة في السنين الأولى من توليه السلطة في الموصل ويفهم من الأشارة التي اوردها هذا المؤرخ ان مظفر الدين كوكبرى كان على وفاق معهم لانه كان يمتدح الشيخ عدي بن مسافر ويحكى عنه صلاحاً كثيراً[٤] هذا في الوقت الذي كان فيه هو نفسه يحاول الأستيلاء على الموصل والقضاء على بدر الدين لؤلؤ .

وليست لدينا معلومات وافية فيما يتعلق بنشاطهم الحربي الموجّه ضد امارة الموصل خلال الفترة الواقعة من ٦٠٧ ـ ٦٤٠ هـ / ١٢١٠ ـ ١٢٤٢م

---

(١) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات جـ١ ص٢٤٢ .

(٢) جاء في « الحوادث الجامعة » ان عسكر الموصل استطاع احلال الهزيمة فيهم فاسر منهم جماعة وصلب بدر الدين لؤلؤ منهم مائة وذبح مائة وأمر بتقطيع اعضاء اميرهم وتعليقها وارسل من نبش قبر الشيخ عدي واخرجه من ضريحه وأحرق عظامه ، ص٢٧١ .

(٣) وفيات الأعيان جـ٢ ص ٤١٨ .

(٤) ن٠م .

ومن المحتمل ان ذلك يرجع الى عدم تأثيرهم السياسي والعسكري ، اذ ان قوتهم نمت بعد ذلك كما اتضح من المعلومات التاريخية التي وردت في أغلب المصادر المتوفرة لدينا[١] • اما ما يقال عن نوايا الطائفة العدوية في انشاء دولة سياسية على غرار الدولة الأموية تكون الموصل نواة لها فانه امر لا صحة له البتة ، لان المصادر المعاصرة لا تشير الى ذلك الا ما يتعلق باستمرارهم في محاولاتهم للسيطرة على امارة الموصل وأحداث الأضطرابات والفوضى في وجه بدر الدين لؤلؤ الذي كان يثقلهم بالضرائب ويحملهم ما لا طاقة لهم عليه ، فضلاً عن اطماعهم في الحصول على مكاسب مادية[٢] يضاف الى ان اثبات ذلك يحتاج الى ادلة كافية ومقنعة لا تتوفر في الوقت الحاضر ، اذ ليس من الصواب الاعتراف بكونهم يسعون لتأسيس دولة اموية بمجرد ان نسبهم ينحدر من مروان بن الحكم الأموي •

ويبدو ان لدى بدر الدين لؤلؤ تبريرات في مكافحته لاتباع هذه الطائفة فبالرغم من انه كان يتحتم عليه وضع حد لنشاطهم المتزايد طبقاً لتنفيذ سياسته وذلك لتحرشاتهم بالموصل وأعمالها واطرافها ، فقد راح يتهمهم بالخروج عن مبادىء الدين وبالمغالاة في عقائد بعيدة عن اصوله وبالوقوف ضد المذهب الشيعي الذي كان هو نفسه يروج له ولشعائره ، وقد نجح في تحقيق جانب مهم من سياسته الداخلية وذلك بالقضاء على هذه الطائفة وحسر خطرها •

---

(١) انظر ابن الأثير والكامل ج ١٢ ص ١١٧ ، ابن خلكان ، وفيات ج٢ ص٤١٧ ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ج١ ص٢٤٢ ، الحوادث الجامعة ص ٢٧١ •

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٧١ •

٢ ـ بدر الدين لؤلؤ والشيعة :

كان الملوك الآتابكة في الموصل سنيين متعصبين لمذاهبهم ، فقد ذكر ابن الأثير ان عماد الدين زنكي ابن قطب الدين مودود كان حنفياً شديد التعصب لمذهبه الحنفي ويكثر في ذم فقهاء الشافعي[١] وان سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي قد جعل مدرسته وقفاً على فقهاء الشافعية والحنفية[٢] . وأشير في مصدر آخر ان نور الدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود نشط في نشر المذهب الشافعي فقط[٣] كما ذكر ياقوت ان فقهاء الشوافع كانوا يترددون الى عدة مدارس في الموصل ايام الاتابكة لغرض الاعادة فيها[٤] ويؤكد صاحب كتاب طبقات الشافعية الكبرى ان المدرسين وفقهاء الشافعية كانوا يقومون بشرح وتقديم المذهب الشافعي دون سواه في الموصل بتشجيع الملوك الآتابكيين[٥] وبما ان سياسة بدر الدين لؤلؤ كانت تقضي بازالة النفوذ الآتابكي بكل اشكاله ومعالمه لذلك فانه اخذ يبدو مخالفاً لهم حيث راح ينشط في نشر التشيع بين الناس وموالاة الشيعة ورعاية شعائرهم وصيانة مؤسساتهم وقد قدم لنا ابن كثير دليلاً على ذلك

---

(١) التاريخ الباهر ص ١٩١ . وقال ايضاً انه يبنى بسنجار مدرسة وشرط ان يكون البواب والفراش فيها على المذهب الحنفي الكامل ج ١٢ ص ٥٥ .

(٢) ن.م . ص ٩٣ .

(٣) الذهبي ، دول الاسلام جـ٢ ص٨٤ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات جـ٤ ص ١٩ ٣.

(٤) معجم البلدان ص ٤٧٧ .

(٥) السبكي ، طبقات الشافعية جـ٦ ص ٨٦ . وقد اشار الذهبي الى ان احد الفقهاء الحنفيين كاد يقتل في الموصل لذكره ابي حنيفة « تاريخ الاسلام الورقة ٧٨ » .

حيث اشار الى ان بدر الدين لؤلؤ كان يرسل في كل سنة الى مشهد الامام علي بن ابي طالب في النجف قنديلاً ذهباً قيمته الف دينار[١] كما ذكر ابن رجب الحنبلي ان بدر الدين لؤلؤ ألزم الفقيه عبدالرزاق بن رزق الله بن ابي بكر ين خلف بن ابي الهيجاء الرسعني القيام بتصنيف كتاب عن مصرع الحسين يشرح فيه الأسباب التي ادت الى مقتله مع بنيه واتباعه في موقعة كربلاء والنتائج التي اسفرت عنها[٢] • ومن الجدير بالذكر ان الرسعني هذا كان محدثاً نشطاً في فضائل آل البيت ومقتل الحسين في الموصل ايام بدر الدين لؤلؤ[٣] • ويذكر الشيخ ابو عبدالله محمد بن يوسف الشيعي المتوفي في ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ان بدر الدين لؤلؤ قد كلفه بوضع مؤلف عن مناقب الأمام علي بن ابي طالب[٤] وبيان رأى الشيعة في احقيته للخلافة بعد الرسول وما نتج عن ذلك من خلافات مزمنة بين الشيعة وغيرهم من اصحاب المذاهب الأخرى واسباب مقتل الحسين ونتائج معركة الطف التي كان قد انتصر فيها جيش الأمويين على الحسين في العراق[٥] •

وكتب ضياء الدين بن الأثير المتوفي ٦٣٧هـ / ١٢٣٩ م في احدى رسائله للخليفة عن لسان بدر لدين لؤلؤ اخبره عن موقف مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل من الخلافة فقال (وهو في هذا المقام ردف للحكم الأموي في مجاهرة رسول الله بتخلجه وتفلجه وهجومه على حرماته وتولجه وكلاهما غير مراقب ما يراقب مثله من المخافة ، فذاك في الاستهزاء بالنبوة

---

(١) البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢١٤ •

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة جـ٢ ص٢٧٤ •

(٣) ابن العماد ، شذرات الذهب جـ٥ ص١٠٠ •

(٤) وهو الكتاب الموسوم « كفاية الطالب في مناقب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب » •

(٥) كفاية الطالب ص ٢ ـ ٣ •

وهذا في الأستهزاء بالخلافة)[1] • وفي هذه الرسالة ابدى صاحب الموصل اخلاصه للخليفة العباسي في الوقت الذي كان يبدو عليه الكره للأمويين المناوئين للشيعيين ، مما يدل على الميل الذي كان يبديه صاحب الموصل نحو الشيعة وموالاته لهم • وبالأضافة الى ذلك ، فقد اهتم بدر الدين لؤلؤ اهتماماً ملحوظاً بأحياء المآتم والمناقب وأقامة الأجتماعات يقرأ فيها المقتل والنياحة بمناسبة ذكرى مصرع الحسين بن علي بن ابي طالب في كل سنة من عاشوراء وزيارة مراقد الأئمة والأضرحة المقامة في الموصل أو في اعمالها[2] ، على انه لم يصاحب سياسة بدر الدين لؤلؤ تعصب ضد المذاهب الأخرى ، فلم يكن هناك خلاف بين السنيين والشيعيين او قيام منازعات بهذا الشأن ، فالظاهر ان صاحب الموصل لم يكن يهمه من هذا الأمر شيء بقدر ما يتعلق ذلك بتحقيق سياسته الداخلية التي بنيت على اخضاع الجميع لسلطته •

ويبدو ان في مقدمة ما دفع بدر الدين لؤلؤ الى تأييد الشيعة في الموصل هي الرغبة في مجاراة الناصر لدين الله العباسي ٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ / ١١٧٩ ـ ١٢٢٥ م ، حيث اشير الى انه كان يميل الى الشيعة الأمامية[3] ، لأن

---

(١) رسائل ابن الأثير ص ٧٢ •

(٢) ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، ج٢ ص ٢٧٤ ، انظر ايضاً كفاية الطالب ص ٢ ، ٣ •

(٣) ابن الطقطقي ، الفخري ، في الآداب السلطانية ص ٣٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٣٧ ، ويذكر ابن رجب الحنبلي ان الخليفة الناصر لدين الله كان يميل الى الشيعة « الذيل على طبقات الحنابلة جـ١ ص٣٩٤ ، كما ذكر السيوطي نقلاً عن ابن واصل ان هذا الخليفة كان يتشيع ويميل الى مذهب الامامية بخلاف آبائه « تاريخ الخلفاء ص ٤٥١ » وانظر ايضاً عن مذهب الشيعة الأمامية ، نبيلة عبدالمنعم داود « نشأة الشيعة الامامية » •(مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٨) •

صاحب الموصل أحوج ما يكون في هذه الفترة الى اسناد الخليفة والحصول على التأييد اللازم له بأبقائه مدبراً للآتابكة وبأقراره على الخطوات التي كان يتخذها ضدهم بعد ذلك لضمان الأعتراف به اميراً مستقلاً في الموصل • هذا بالرغم من ان الخليفة لم يكن يرى رأي بدر الدين لؤلؤ في الميــل الى المذهب الشيعي ، حيث ان الأخير كان اكثر تطرفاً في موالاته للشيعة من سواد اهل الموصل وذلك تحقيقاً لسياسته الداخلية • ويرى الدكتور مصطفى جواد ان الخليفة الناصر لدين الله انما احيا الفتوة كان لغرض القضاء عــلى التعصب المذهبي والتناحر[1] وهذا يفضي بنا الى القول ان بدر الدين لؤلؤ ـ بالرغم من انه لم يتبع الفتوة ـ فقد كان متشيعاً وميالاً الى الشيعة من جهة وعباسي الرأي يرى ان الخلافة في بني العباس من جهة اخرى مستغلاً ميل الخليفة له ، لانه رأى بأن ذلك سبيل لتحقيق جزء من سياسته اما الدافع الآخر لنشر التشيع فهو محاولته طمس آثار الآتابكة واعفاء مخلفاتهم المادية والفكرية حيث ان ابقاءها يؤثر على سلطته الفتية غير المستقرة لان ذلك قد يوحى الى بقاياهم منازعته على حكم الامارة الذي استحوذ عليه ، ويذكر الناس بمآثر الملوك الآتابكة العلمية والسياسية ، لذلك فقد برر عمله هذا في اظهار الشعائر الشيعية بتحويل المدارس الآتابكيــة الى مراقد ومشــاهد وأضرحة لابناء الامام علي بن ابي طالب فأتخذ بناية « المدرسة النورية »[2] مشهداً للامام « عبدالمحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب »[3] وبنايــة

---

(١) مقدمته لكتاب الفتوة لابن المعمار ص ٤٩ ـ ٥١ •

(٢) انظر ص ١٧٤ ـ ١٧٦ •

(٣) الخطيب العمري منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ص١٠ ، انظر ايضاً سعيد الديوهجي ، حاشية كتاب ترجمة الأولياء لابن الخيــاط الموصلي ص٥٥ ، رقم (١) •

« المدرسة العزيّة »[1] مشهداً للأمام « عبدالرحمن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب »[2] وبناية « المدرسة النظامية »[3] مشهداً للأمام « محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب »[4] .

وفيما عدا تحويل المدارس الآتابكية الى مراقد للأئمة ، فقد صار الأهتمام بمرور الزمن بتشييد مراقد جديدة اهم مظهر من مظاهر الحركة الشيعية ، فشيد بدر الدين لؤلؤ في ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م مرقد « يحيى بن القاسم »[5] ومع انه كان في الأصل بناية « المدرسة البدرية »[6] ولكن ادخلت عليها كثير من التحسينات واستحدثت فيها عدة اقسام ومحاريب[7] . ويتكون هذا المرقد من مدخل وقبة مثمنة مخروطية الشكل وتزينها زخارف وكتابات انيقة بالآجر وفي داخل البناية صندوق كبير هو بمثابة الضريح عليه كتابات من الآيات القرآنية[8] وأشتهر هذا المشهد في الموصل حيث

---

(١) انظر ص ١٧١ ــ ١٧٤ .

(٢) الديوهجي ، حاشية ترجمة الأولياء ص٥٥ ، رقم (٢) .

(٣) انظر ص ١٦٨ ــ ١٧٠ .

(٤) العمري ، منية الأدباء ص١٠٣ ، الديوهجي ، حاشية ترجمة الأولياء ص٦٠ رقم (٢) .

(٥) وهو يحيى بن القاسم بن الحسن بن علي بن علي بن ابي طالب . انظر مقالة سعيد الديوهجي « مجلة بغداد العدد ١٩٦٥/٢٢ » ص٣٢ ــ ٣٣ .

(٦) انظر ص ١٧٨ ــ ١٨٦ .

(٧) الخطيب العمري ، منية الأدباء ص ١٠٦ .

(٨) يرى الأستاذ الديوهجي ان هذا المشهد من اجمل المشاهد التي بنيت في القرن السابع الهجري بما فيه من الأبداع في العمارة والزخرفة ، ترجمة الأولياء لأحمد بن الخياط ص ٥٧ حاشية رقم (٢) ، انظر ايضاً ، الموصل ام الربيعين شكل ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

اخذ الناس يأمونه[1] وكان بدر الدين لؤلؤ نفسه يتردد لزيارته ويحضر الأجتماعات التي كانت تقام للعزاء وقراءة المقتل ايام عاشوراء والتحدث في مناقب آل البيت[2] ومن المحتمل جداً ان الأهتمام الذي كان يوليه صاحب الموصل بهذا المشهد بصورة خاصة كان أحد اسباب شهرته وكثرة رواده ٠ ومن المشاهد الأخرى التي شيدّها بدر الدين لؤلؤ مشهد « عون الدين بن الحسن بن علي بن ابي طالب » سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م[3] وقد وصفت قبته بأنها تمتاز بزخارفها الكثيرة المتنوعة وقد زينّ ظاهرها بآجر مزلّج[4] كما ان المشهد تزينه زخارف وكتابات بعضها مطعمة بالمرمر أو بارزة فيه وان محراب الحضرة من المحاريب النفيسة الموجودة في الموصل[5] وهناك مشاهد صغيرة أقامها بدر الدين لؤلؤ في انحاء متفرقة من مدينة الموصل كمشهد « زيد بن علي بن ابي طالب »[6] ومشهد « علي الهادي »[7] ومشهد « عبدالله الباهر »[8] الذي يرقى نسبهم الى علي بن ابي طالب ، ومشهد

---

(١) ابن الخياط ، ترجمة الأولياء ص٥٧ ٠

(٢) ابن يوسف ، كفاية الطالب في مناقب امير المؤمنين علي بن ابي طالب ص١ ٠

(٣) الخطيب العمري ، منية الأدباء ص١٠٣ ، ابن الخياط ، ترجمة الأولياء ص ٥٤ ٠

(٤) الديوهجي ، حاشية رقم (٢) ٠ ترجمة الأولياء لابن الخياط ص ٥٤ ٠

(٥) الديوهجي ، الموصل في العهد الآتابكي ص١٦٧ ٠

(٦) ابن الخياط ، ترجمة الأولياء ص ٥٧ ـ ٥٨ ٠

(٧) ن٠م ٠ ص ٥٤ / حاشية رقم (٢) ٠

(٨) الموصل في العهد الآتابكي ص١٦٩ ٠

« شاه زنان »[1] ام الأئمة التسعة الذين يرجع نسبهم الى علي بن ابي طالب ايضاً . ومشاهد « فاطمة »[2] و « ام كلثوم »[3] و « نفيسة »[4] وهن بنات الحسين بن علي بن ابي طالب . وبالأضافة الى ذلك فقد انتشرت حركة تشييد المشاهد والأعتناء بها في خارج المدينة حيث أقيم مرقد « حمزة ابن الحسن بن علي بن ابي طالب »[5] بمسافة بضعة اميال عن المدينة ، الذي شيده بدر الدين لؤلؤ ورعاه[6] . وكان من نتائج هذه الحركة الواسعة في اقامة المراقد والأضرحة والمشاهد للأئمة ان ظهرت اساليب جديدة غنية في الفن والعماره الأسلاميين حيث وجدت القبب والمنائر والمحاريب والمداخل والأضرحة والمزارات والأبواب التي بنيت على انماط وطرائق مختلفة من العمارة بأدخال النقوش والزخرفة والكتابات عليها واستعمال الرخام والالوان لتزويقها[7] .

ان قيام بدر الدين لؤلؤ بنشر التشيع في الموصل قد هيأ للشيعة الحرية التامة حيث وجدوا لهم منفساً في التعبير عن شعائرهم في انشاد الأشعار

---

(١) ن٠م ٠ ص٦٢ ٠

(٢) ن٠م ص ٦٣ ٠

(٣) الموصل في العهد الآتابكي ص٦٣ ٠

(٤) الخطيب العمري ، منية الأدباء ص١٠٩ ، انظر ايضاً ترجمة الأولياء ص ٥٣ ـ ٥٥ ٠

(٥) ن٠م ٠ نفس الصفحات ٠

(٦) ن٠م ٠ نفس الصفحات ٠

(٧) لقد تناولت بعض البحوث الحديثة فن الريازة والعمارة في العهد الآتابكي مما يغنينا التطرق الى ذلك في هذا الفصل ، انظر سعيد الديوهجي الموصل ام الربيعين من شكل ١٠ ـ ٣٢ ثم الموصل في العهد الآتابكي من شكل ١١ ـ ٣٩ ٠

والنياحة وقراءة المقتل في عاشوراء وخاصة في هذه الفترة التي اعقبت حكم الآتابكة المتعصبين لمذاهبهم غير الشـيعية كما ان ذلك أفادة من الناحيـة السياسية ، حيث تمكن من تحقيق أهدافه التي رسمها في سياسته الداخلية المتمثلة في القضاء على مناوئيه ومعارضيه السياسيين الذين كان اغلبهم سنيين متعصـبين •

٣ ـ بدر الدين لؤلؤ والنصارى :

كان النصارى يؤلفون معظم سكان القرى المنتشرة في منطقة الموصل مثل « باعشيـقا »[١] وبأخديد[٢] (قرقوش) وبيت سـحرايا وبرطلي وكرمليس[٣] ، وقـد نزح كثير من هؤلاء بمرور الزمن الى المدينـة واستوطنوها فأصبحوا يشكلون قسماً من أهلها الأصليين وخاصة في مستهل القرن السادس الهجري وربما كان لنصارى الموصل واعمالها في هذه الفترة أهمية كبيرة في الأحداث التي كانت تجرى في المنطقة حيث ان معظم رجال الدين في الكنائس والأديرة يتمتعون بسلطات دينية تمنحهم نفوذ واسـع حتى في النواحي السياسية ، وقد يكون لهذا تأثير واضح في سياسة الأمارات وعلاقاتها الخارجية هذا بالأضافة الى انهم يستطيعون القيام بجباية مقادير كبيرة من الأموال يذهب جزء كبير منها الى الحكومات التي يخضعون لها •

وفيما يتعلق بنصارى الموصل فقد اشار ابن العبري الى انهم كانوا

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص٣٢٤ •

(٢) وهي من قرى الموصل في شرقي دجلة اكثر اهلها نصارى ، معجم البلدان جـ١ ص٤٧٢ •

(٣) قرية كبيرة في شرقي مدينة الموصل ، الغالب على اهلها النصرانية ن٠م ص ٤٥٨ •

يمتلكون الثروات والاموال الوفيرة[1] مما يجعلهم يلعبون دوراً كبيراً في نطاق السياســة الداخلية لامارة الموصــل بحيث ان مقادير الأموال التي كانوا يقدمونها الى بدر الدين لؤلؤ هي التي تقرر نوعية العلاقات السائدة بينهمـا وتكشف عن طبيعتها ، فمن الملاحظ انه كان يفرض مقادير معينة من الأموال مقابل موافقته على تنصيب الرؤساء الدينيين الجدد لهم كالمطارين ورؤساء الاديرة • فضلاً عن استحصال مبالغ اخرى لقاء موافقتـه على تعيين بطريك انطاكيه لكبار موظفي الكنائس والاديرة في مناطق الموصل ، ففي ٦١٣هـ / ١٢١٦م عندما عين اغناطيوس داود مفريانا[2] لكنيسة برطلى[3] أراد ان يأتي الى قرية برطلى الخاضعة تحت سلطته الكنسية ولكن بدر الدين لؤلؤ عارض في منحه التأييد اللازم وأوعز الى الرئيس شمعون رئيس القرية بمقاومته[4] •

---

(١) تاريخ الدول السرياني « مجلة المشرق مجلد ٥٠ لسنة ١٩٥٦ » ص ١٤١ ، تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٣ •

(٢) واصلها آرامي هو « مفريونو » Mafryono بمعنى مثمر ويراد بها درجة كنسية بين البطريارك والأسقف في بعض الطوائف غرائب اللغـة ص٢٠٦ ، وهو وكيل بطريارك انطاكية وهي الكنيسة السريانية الغربية على القسم الشرقي «العراق وايران » •

(٣) مدينة في شرق دجلة من اعمال نينوى والغالب على اهلها النصرانية وبها جامع للمسلمين ايضاً ، انظر ياقوت ، معجـم البلدان جـ١ ص٥٦٧ وانظــر ايضــاً ابن الفوطــي تلخيص مجمـــع الآداب جـ ٥ Oriental College Magazin مجلد ٢٣ عـدد (٢) العدد ٨٨ ص٢٧٧ حيث جاء ان كنيسة برطلي كانت في حوزة بدر الدين لؤلؤ وكان يعير كبير اهمية لمصيرها •

Assyrie Chretienne Tome 11. P. 420—421 Mossoul Chretienne, By J. Fiey.

(٤) التاريخ الكنسي (البيعي) وهو النص السرياني ، الترجمـة اللاتينية « ابيلوس ولامي » مجلد ٢ ص ٣٩٤ •

ويعزو ابن العبري سبب اقدام صاحب الموصل على الايقاع بينهما الى قلة الأموال التي قرر اغناطيوس داود تقديمها له[١] والى ان المفريان المذكور لم يعد قادراً على تلبية مطاليب بدر الدين لؤلؤ وذلك لعدم امتلاكه الاموال الكافية التي تضمن له حمايته ورضاه ، الامر الذي جعل صاحب الموصل يتخلى عنه[٢].ولابد من الاشارة هنا الى أن بدرالدين لؤلؤ كان قد حصل قبل ذلك على مبلغ عشرين الف دينار بذلها له اشراف تكريت المقيمين في الموصل وذلك بغية توسطه في السعي الى اخراج اغناطيوس داود من سجن تكريت بالتأثير على صاحب تكريت لتحريره[٣] .

وفي ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م وصل الى الموصل المفريان يوحنا بن المعدني فاستقبله بدر الدين لؤلؤ استقبالاً مشهوداً[٤] ، غير انه تأخر في منحه(وثيقة العهد) التي كان بموجبها يمارس وظيفته بصورة رسمية[٥] ، ومن المحتمل جداً ان ممانعته في باديء الأمر منح المفريان المذكور حق مزاولة مهمته الدينية يرجع الى اعتبارات مالية لعل في مقدمتها وضع اتفاق حول تقديم المفريان الاموال التي كان يقرر مقاديرها صاحب الموصل نفسه . ويبدو ان هذه الأموال التي كان يفرضها على رجال الكنائس كانت اموالاً طائلة يعجزون عن الاتيان بها فيسلكون سبيل الضغط على اتباعهم بفرض

---

(١) التاريخ الكنسي : البيعي ـ وهو النص السرياني من الترجمة اللاتينية « ابيلوس ولامي » مجلد ٢ ص٣٩٤ .

(٢) ن.م .

(٣) ن.م .

(٤)ن.م. ص ٤١٦ ـ ٤١٨ « وقد اشير ايضاً الى ان هذا المفريان محبوباً لدى نصارى الموصل اذ قدموا له « بدلة ملوكية » اكراماً له .

(٥) التاريخ الكنسي « النص السرياني » مجلد ٢ ص٤٢٢ .

ضرائب يُكرهونهم على دفعها ، وقد اشير الى انــه في ٦٥١هـ / ١٢٥٣ م قضى المفريان اغناطيوس صليباً الثالث عهده بالطواف في القرى بجمـــع الأموال التي كان قد طلبها منه بدر الدين لؤلؤ[١] ، غير انه لم يعد قادراً على ذلك مما جعله يفر من الموصل عائداً الى بلده حلب[٢] .

ونتيجة لموقف بدر الدين لؤلؤ من النصارى والذي أتسم بالتضييق على رجال الكنائس والأديرة والحاحُه المستمر في طلب الأموال وذلك طبقاً لسياسته الداخلية ، راح هؤلاء يســـتغلون خلافاته مـــع بعض حكام المدن والأمارات المجاورة للتخلص من حكمه وايجاد مخرج لهم من المأزق الذي وضعهم فيه ، حيث قاموا باتصالات معهم فأيدوهم ومالوا الى جانبهم في النزاع القائم بينهم وبين بدر الدين لؤلؤ ، فعندما عجز شمعون رئيس قرية برطلي عن تهيئة الأموال المطلوبة منه ، أخذ يؤيد مظفر الدين كوكبرى صـــاحب اربل في رسالة كان قدبعثها اليه سنة ٦١٦هـ / ١٢١٨ م[٣] في هذا الصدد وقد تضمنت التنديد بصاحب الموصل الذي كانت علاقاته قد ساءت كثيراً مع صاحب اربل في هذه الفترة . ولكن الرسالة شاء لها ان تقع في يـــد صاحب الموصل فقبض على شمعون وصلبه[٤] . ويشير ابن العبرى الى انه في السنة نفسها التي صلب فيها شمعون اقدم بدر الدين لؤلؤ على صـــلب رجل نصراني آخر وهو نسطوري من المحتمل جداً انه كان يزود جيش

---

(١) تاريخ الرهاوي المجهول « باللغة السريانية ، طبع رحماني ـ ١٩٠٤ » ص ٤٢٢ .

(٢) ن٠م ص ٤٢٢ .

(٣) ابن العبري ، التاريخ الكنسي ، البيعي ، مجلد ٣ ص٤٠٠ .

(٤) ابن العبري ، التاريخ الكنسي (البيعي) مجلد ٢ ص٤٠٠ .

مظفر الدين كوكبرى بالمعلومات المتعلقة بالوضع العسكري في الموصل ليمهد له الطريق لأحتلالها[1] كما أن النصارى الذين كانوا يؤلفون الأغلبية الساحقة من اهل قرية « باجباره »[2] كانوا يعانون ايضاً من وطأة بدرالدين لؤلؤ وتضييقه عليهم في طلب الأموال ، لذلك اخذوا يميلون الى مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل ويراسلونه في الانضمام اليه ، غير ان صاحب الموصل حرض احد رؤساء الطائفة العدوية الذي كان قد أنشق على اتباعه بالهجوم مع مؤيديه على هذه القرية وتخريبها وقتل اكثر سكانها وتشريدهم[3] •

وفي ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) كتب رهبان دير مارآبائي الذي يقع بالقرب من ماردين وهو ضمن امارة الموصل على واجهة الدير ، انتصار الملك السعيد نجم الدين صاحب ماردين على جيش بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وذلك على اثر المعركة الشديدة التي وقعت في نَصيبين التي كانت تابعة لامارة الموصل[4] • ان قيام الرهبان بهذا العمل يعبر عن حماستهم ورغبتهم في الأنضمام الى صاحب ماردين وعدم البقاء تحت نفوذ بدر الدين لؤلؤ الذي كان يضايقهم في طلب المال ويحملهم ما لا طاقة لهم عليه ويحدد نشاطهم الديني ويقيده تبعاً لمقادير هذه الأموال التي كانوا يدفعونها له •

ويبدو ان سياسية بدر الدين لؤلؤ هذه ازاء النصارى قد سببت اثارة

---

(١) ن٠م ص ٤٠٠ •

(٢) وهي قرية تقع في شرق مدينة الموصل ، وقد كانت كبيرة وعامرة ، انظر ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص ٤٥٢ •

(٣) انظر بولس بهنام « مقالته في مجلة لسان المشرق ـ السنة الأولى ـ ١٩٤٩ » المجلد ١ وعنوانها « قرى النصرانية » •

(٤) H. Pognon, Inscriptions semitiques de La " syrie, de la Mesopotamie et de la ragion de Mossoul, Paris" P. 186.

الفتن والشحناء بينهم وبين المسلمين ، ففي ٦١٧هـ/١٢٢٠ م أمر رئيس قرية برطلي بجلد خطيب جامع هذه القرية بالعصا لاتهامه بالتعرض لشعائر النصارى الدينية وعندما قصد هذا الخطيب الموصل ، خطب في الجامع الكبير هناك فندب المسلمين للهجوم على نصارى قرية برطلي ، وقد لبى المسلمون هذه الدعوة وتحمسوا لها وسارت جموعهم نحو القرية ، غير ان السلطات أغلقت ابواب المدينة في وجوههم فتوجهوا عندئذ نحو كنيسة (مارزينا)[١] التي كانت تقع داخل المدينة فنهبت وخربت[٢] .

وقد اشار ابن العبرى الى ان مسلمي مدينة الموصل اضطهدوا النصارى اضطهاداً شديداً ونهبوا بيوتهم واكرهوهم على الدخول في الدين الأسلامي[٣] ويبدو ان هذا المؤرخ كان مبالغاً في اشارته حيث لا تشمل فترة بدرالدين لؤلؤ[٤] ولكنها قد تنطبق على الفترة التي اطلقت عليها المصادر المسيحية

---

(١) وهي كنيسة خاصة للسريان الكاثوليك وعلى نمط كنيسة برطلي وتعتبر من الكنائس الكبرى للتكارتة وتقع بالقرب من احد الجسور انظر :
Assrie Chretienne Tone 11. P. 421.

(٢) Assrie Chretienne Tone 11. P. 421.

(٣) مختصر الدول ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ، الدول السرياني « مجلة المشرق لسنة ١٩٥٠ » ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٤) لعله كان يحذو حذو الخليفة الناصر لدين الله في الموقف من النصارى الذي كان يقوم على عدم مناهضتهم واضطهادهم في دينهم وخاصة في السنين الأولى من عهده لما لقيه خاصة محترفو الطب منهم ترحيباً في بلاطه ومن الجدير بالذكر ان موقف الخليفة هذا قد جعل احد فقهاء بغداد يحضه على مناهضة النصارى والضغط عليهم ، انظر لويس شيخو ، شعراء النصرانية بعد الاسلام ص ٣٧٢ (نقل عن مخطوطة ترجع الى القرن السابع الهجري ولم يتيسر لنا الأطلاع عليها) . انظر ايضاً رفائيل بابو اسحق ، احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ص٦٣ ـ ٦٤ .

اسم فترة الأضطرابات التي شملت عهد الملك الصالح ركن الدين اسماعيل ابن بدر الدين لؤلؤ ٦٥٧ - ٦٦٠هـ / ١٢٥٨ - ١٢٦١م حيث سادت الفوضى التي لم يسلم النصارى فيها من التعرض للأضطهاد والقتل وتخريب الكنائس ونهب اموالها[١] وحتى اذا صح الأعتقاد بوجود مثل هذا الأضطهاد الديني الذي كان يلاقيه النصارى في هذه الفترة فان هناك ما يبرره بنظر مسلمي المدينة اذ أن موقف النصارى من المغول الذي أتسم بالتعاون معهم وبالترحيب بهم جعل سقوط المدينة امراً ميسراً بيد الفاتح الجديد[٢] وخاصة اذا ما علمنا ان عساكر المغول التي احاطت بالمدينة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م كانت بقيادة سندا غونوين المغولي وهو محب للنصارى على حد قول ابن العبري[٣] .

وبالرغم مما كنا نسمعه عن مضايقه بدر الدين لؤلؤ لكبار رجال الكنيسة بمطالبته اياهم بالأموال يؤدونها له ولكن عهده في الواقع يعتبر عهد استقرار داخلي وتسامح ديني بصورة عامة اذا ما قورن بما نسمعه عن فترة الأضطرابات التي اعقبت وفاته .

وقد ورد ايضاً ما يشير الى ان الدير الكبير المسمى الدير الاعلى لمار

---

(١) ابن العبرى وتاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص١٤٠ - ١٤٣ ، انظر ايضا الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانين ط١ ، ١٩٦٨ ، ص١٩٠ .

(٢) Mossoul Chretienne P. 46—47

(٣) تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص ٣٩٨ ، مختصر الدول ص ٢٨٤ ، الحوادث الجامعة ص ٣٤٥ - ٣٤٧ ، انظر ايضا الفصل السادس ص٢١٩ ، ٢٢٣ .

جبرائيل[1] قد أزدهر في عهد بدر الدين لؤلؤ[2] حيث كانت لهذا الدير اهمية خاصة لدى نصارى الموصل واعمالها ، فقد استوطن فيه الرهبان الذين نشروا العلوم الدينية واصناف العلوم الأخرى وذلك بتأليف الكتب مماجعل لهذا الدير اهمية قصوى كمركز علمي في منطقة الجزيرة في هذه الفترة[3] .

وأخيراً يبدو ان جانباً مهماً من سياسة بدر الدين لؤلؤ الداخلية قد اتجه نحو توثيق العلاقات مع النصارى ، اذ انهم يكونون قوة كبيرة في المنطقة حيث توجد هناك قرى كاملة من اعمال الموصل تدين بالنصرانية لا يمكن التفريط بها وذلك بتركها عرضة لاطماع الامارات والدول الأخرى التي اتخذ بينها الصراع السياسي والعسكري مظهراً عنيفاً جعل اخطارها تتفاقم وتشتد آثارها على المناطق التي تجاورها ، ولكن بدر الدين لؤلؤ نجح في تحقيق اهداف سياسته الداخلية وهي تسخير النصارى في تهيئة الأموال له .

(١) لقد خرب هذا الدير في عهد الملك الصالح ركن الدين اسماعيل واستخدمت احجاره في بناء سور المدينة وذلك للحماية من خطر غزو الجنود المغولية الذي كان يهدده . انظر :
Mossoul Chretienne XII. O. 131

(٢) Mossoul Chretienne XII. P. 131

(٣) Mossoul Chretienne XII. P. 131

الفصل الثاني

سياسة بدر الدين لؤلؤ الخارجية

١ ـ العلاقات الخارجية

٢ ـ المحالفات العسكرية

الفصل الثاني

سياسة بدر الدين لؤلؤ الخارجية

لقد سار بدر الدين لؤلؤ على سياسة خارجية واضحة المعالم تقوم على تقوية العلاقات مع خلفاء بني العباس الاربعة المتأخرين وهم الناصر لدين الله والظاهر بأمر الله والمستنصر بالله والمستعصم بالله ، فقد كان هؤلاء قادة المسلمين باعتبارهم خلفاء السلطة العليا وكانوا يتمتعون باحترام كبير خارج مملكتهم • كما انه سعى الى التقرب من حكام الامارات والمدن الاخرى وكان يتفادى الاصطدام بهم في اغلب الاحيان ، لذلك عمل على الدخول معهم في محالفات ومعاهدات عسكرية لوقف اطماعهم في امارته وضمان عدم غزوهم لها •

لقد كان يرمي بدر الدين لؤلؤ من وراء سياسته هذه تحقيق غرضين ، الأول ، المحافظة على امارته من اية اخطار قد تحيق بها وتجنيبها مغبة الاطماع التوسعية للأمارات والدول الأخرى القوية • اما الغرض الثاني فقد استهدف القيام بالتوسع الخارجي والواقع انه لا يمكن تحقيق هذا الغرض الا بعد الانصراف الى تقوية الامارة وارساء قواعدها على القوة العسكرية •

ولعل من المفيد ان نستعرض فيما يلي علاقاته الخارجية بالتفصيل لتوضيح سياسته هذه والقاء ضوء على النتائج التي ترتبت عليها :

١ ـ علاقات بدر الدين لؤلؤ بالخلفاء العباسيين :

تعرضت الخلافة العباسية في بداية الربع الأول من القرن السابع الهجري للعزلة السياسية ففي نهاية حكم الخليفة الناصر لدين الله ٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ / ١١٧٩ ـ ١٢٢٥م اخذت مظاهر الفوضى والانحلال السياسي والاجتماعي تتزايد في الدولة العباسية يضاف الى ذلك تفكك وحدة

العالم الاسلامي وقيام المنازعات بين الامارات والدول الاسلامية ، ففي جهة الشرق كانت دولة خوارزم القوية التي نشأت على انقاض دولة سلاجقة ايران والعراق وهي تمتلك موارد عسكرية ومالية عظيمة ، تطمع بالاستيلاء على بغداد وانتزاع السلطة من الخليفة وقد هددت حدود الدولة العباسية ففي ٦١٤هـ / ١٢١٦ م زحف السلطان علاء الدين محمد بن تكش ٥٩٦ - ٦١٧هـ / ١١٩٩ - ١٢١٩ م بقواته على العراق[١] كما فعل ذلك ابنه وخليفته السلطان جلال الدين منكبرتي حيث جرد حملة عسكرية وتغلغل في قواته الى بعض المدن العراقية ثم وصل الى (داقوقا)[٢] .

اما من جهة الغرب والشمال فقد كانت الجزيرة وسورية ومصر تعاني الاضطرابات والانقسام حيث انشغلت بالمنازعات والحروب ، يضاف الى ذلك قيام دويلات صليبية في سورية وفلسطين وحملات صليبية جديدة تهدد سورية ومصر باستمرار ، لقد خلق هذا الوضع بطبيعة الحال تدهوراً خطيراً في موقف الخليفة الذي كان يتمتع بالسيادة الروحية التي اصبحت أمراً لا يعتد به[٣] .

---

(١) ابن الطقطقي ، الفخري من ٣١ - ٣٢ ، المنشى محمد بن احمد النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي (تحقيق حافظ احمد حمدي) ص ٤٨ - ٥٤ .

(٢) النسوي سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٤٩ - ٥٤ ، ٦٤ ، سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم ٢ ص٦٣٤ .

(٣) النسوي سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص٦٤ ، وقال علي بن انجب تاج الدين الشهير بابن الساعي ، ان الخليفة الناصر لدين الله امر وزيره ناصر بن مهدي بقيادة قواته لمحاربة اسماعيل بن سيف الاسلام طغدكين صاحب اليمن الذي وقف من الخليفة موقفا معاديا وادعى لنفسه بالخلافة ، وبانه اموي واطلق على نفسه لقب خليفة (الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير) (نشر الدكتور مصطفى جواد) جـ٩ ص٢٨

لقد حاول الخلفاء الثلاثة المتأخرون[1] رد الاعتبار للخلافة العباسية واعادة هيبتها التي فقدتها ، ولكن محاولاتهم هذه لم تثمر في رفع هيبة الخلافة في نفوس حكام المسلمين الاقوياء الذين كانوا يتمتعون بنفوذ عسكري كبير قد يفوق قوة الخليفة ، اما حكام الامارات والمدن المحلية الصغيرة والقريبة من مركز الخلافة كأمارة الموصل واربل فقد كانوا يستجيبون لنداء الخليفة ويعملون على تنفيذ اوامره .

وقد كان اتابكة الموصل يقرون السيادة العليا للخليفة العباسي وبأنه يمثل اعلى سلطة معنوية في العالم الاسلامي ، فتنصيب اتابك جديد للأمارة لابد ان يقترن بموافقة الخليفة ، فمنذ عهد الخليفة الناصر لدين الله اصبح ذلك تقليداً رسمياً[2] سار عليه الاتابكة وبدر الدين لؤلؤ ، فقد اقر هذا الخليفة تنصيب نور الدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود ٥٨٩-٦٠٧هـ/ ١١٩٣ - ١٢١٠م اتابكا للموصل حيث اتخذ هذا الأخير بدر الدين لؤلؤ مدبراً لدولته وناظراً في شؤونها المختلفة[3] . وفي ٦١٥هـ - ١٢١٧م

كما انه امر وزيره مؤيد الدين ابي المظفر محمد بن القصاب بالتوجه في قواته الى خوزستان من بلاد ايران ، انظر ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص١٠ ، ٤٥ ، ١٢٠ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٤ .

(١) قال ابن الطقطقى ان الخلفاء المتأخرين قد ضعفوا غاية الضعف بحيث انهم لم يستطيعوا استرداد تكريت الى مملكتهم فقال فيهم الشاعر :

في العسكر المنصور نحن عصابة — من دولة اخسس بنا من معشر ؟
خذ عقلنا من عقدنا فيما ترى — من خِسةٍ ورقاعة وتهورِ
تَكريتُ تُعجِزُنا ونحن بعقلنا — نمضي لناخذ ترمذاً من سنجَرِ

(الفخري ص ٣٢) .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ج١٢ ص ١٣٧ .
(٣) ن٠م٠ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه فحضرت رسل الخليفة والملوك والأمراء الى الموصل لتقديم التعازي والقيام بالمراسيم المطلوبة كما قام هؤلاء الرسل بأيصال تقليد الخليفة الى الاتابك الجديد ابنه نور الدين ارسلان شاه وابقاء بدر الدين لؤلؤ مدبراً له حيث كان نور الدين صغيراً لا يقوى على الحكم[١] .

لقد واجهت بدر الدين لؤلؤ مشكلات داخلية ، حيث كان اقارب الاتابك الصغير الذي نصب يثيرون الفوضى ويتآمرون ضده ، لذلك عمل على كسب تأييد خارجي لسلطته الفتية المتزعزعة ، وكان يرى في الخلفاء العباسيين خير معين له في تثبيتها واستبعاد كل الاخطار المهددة لها ، الأمر الذي جعله يظهر امام رسل الخليفة الناصر لدين الله بمظهر المتمكن في الحكم فقد اشار ابن الأثير الى ذلك قائلا ان بدر الدين لؤلؤ كان يحسن القيام بضبط المملكة من الاضطراب ويحول دون حدوث الفوضى فيها[٢] .

ان في مقدمة الاهداف التي يسعى بدر الدين لؤلؤ الى تحقيقها من حيث توطيد علاقاته بالخليفة الناصر لدين الله هي تحويل انظاره عن التعاون والمعاضدة مع حكام الامارات والمدن الذين كانوا معادين لصاحب الموصل مثل مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل وعماد الدين زنكي صاحب قلعتي العقر وشوش . فقد احتوت الرسالة التي بعثها الى الخليفة فيما يتعلق بمواقف مظفر الدين كوكبري ما يشير الى ذلك ، حيث جاء فيها

---

(١) ن.م. ص١٣٨ .

(٢) ن.م. وذكر سبط ابن الجوزي ايضا (ان الاتابك السابق كان متكبرا وسيىء السيرة وفاتكا وسفاكا للدماء) مرآة الزمان ج٨ قسم٢ ص ٥٤٦ ، وان ذلك قد افاد بدر الدين لؤلؤ حيث كان يبرر مكافحته لأقارب الاتابك الذين كانوا يطمعون بالسلطة .

(ويكفى منهم زعيم اربل فانه الاقرب عهداً والاقرب دارا والـذي أنسى بعيان أمره ما نقلته الاحاديث اخباراً وقد جرب فوجد سواده داخلاً في بياضه) ثم اشار في هذه الرسالة الى ان صاحب اربل لا يذعن لأوامـر الديوان العزيز النبوي حيث كان يردها على اعقابها ولم يحفل برسـولها ولا كتابها[1] .

اما عن عماد الدين زنكي فقد جاء في الرسالة التي بعثها بدر الدين لؤلؤ الى الخليفة وصفا للأنتصار العسكري الذي احرزته جيوش الموصل على جيش عماد الدين زنكي واحتلالها قلعة العقر ثم تنديداً بموقفه المناوىء للخلافة واشارة الى تعاونه مع خليفـه مظفر الدين كوكبرى في هـذه الحرب[2] ، وبالفعل فقد نجح بدر الدين لؤلؤ في سياسته هذه ، حيث اشار عماد الدين ابو الفدا الى حالة الاطمئنان التي كان يبديها الخليفـة الناصر لدين الله نحو بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل[3] .

وقد سار بدر الدين لؤلؤ على هذه السياسة مع الخلفاء الذين جاؤا بعد الناصر لدين الله لذلك اثمرت جهوده في الحصول على نتائج ايجابية كبيرة ، ففي ٦٣١هـ / ١٢٣٣م ارسل الخليفة المستنصر بالله خلعة السلطنة الى بدر الدين لؤلؤ مع الأمير بدر الدين سنقرشـاه الظاهرى احد اكابر المماليك المقربين للخليفة واستصحب معه الخلع والهدايا واعطى بدر الدين لؤلؤ فرساً محلى بالذهب والابريسم وقلده سيفا ولقبه بالملك المسعود واذن

---

(١) رسائل ابن الأثير (تحقيق انيس المقدسي) ص٦٩ ـ ٧٠ .

(٢) ن٠م٠ ص ٦٠ ـ ٦٢ .

(٣) المختصـر في اخبار البشر (نشـر دار الكتاب اللبناني) ج٣ ص ١١٩ .

له ان يذكر اسمه على المنابر في الموصل وان ينقش اسمه على العملة[1] .

وفي ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م ارسل بدر الدين لؤلؤ الى الخليفة التحف والهدايا وما يندر وجوده في بغداد ، ثم التمس تزويج ابنته بمجاهد الدين ايبك المستنصري وهو من مماليك الخليفة المقربين المعروف بالدويدار الصغير[2] فاهتم الخليفة بهذا الأمر حيث احضر قاضي القضاة ابا المعالي عبدالرحمن بن مقبل[3] ومعه جماعة من خدم الخليفة واصحاب شرف‌الدين اقبال بن عبدالله الشرابي[4] . وحاشية البدرية[5] ، ثم جلس على اليمين نصيرالدين بن القمي نائب الوزارة آنذاك[6] والقيت خطبة النكاح وكتب الصداق ومقداره عشرون الف دينارٍ في ثوب اطلس ابيض وفي احتفال

---

(١) ترجمه ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ص٣٢٦ .

(٢) الحوادث الجامعة ص٥٢ .

(٣) ترجمة ابن الفوطي فذكر انه مجاهد الدين ابو الميامن بن عبدالله الجركسي المستنصري الدواتي (الذي يحمل الدواة) امير الأمراء (تلخيص مجمع الآداب ج٥ Oriental College Magazin ص٦٩) .

(٤) الحوادث الجامعة ص٧٢ .

(٥) احد اكابر الأمراء الذين كانت لهم مكانة رفيعة لدى الخليفة المستنصر بالله ومقدم جيوشه (ن٠م ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩) وانظر ايضا ناجي معروف ، حياة اقبال الشرابي (مطبعة الارشاد ـ ١٩٦٦) .

(٦) البدرية من مواضع دار الخلافة في بغداد ، انظر مقدمة الدكتور مصطفى جواد لكتاب الفتوة ، للشيخ ابي عبدالله محمد بن ابي المكارم المعروف بابن المعمار (نشر مكتبة المثنى ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد) ص ٦١ ـ ٦٢ وص ٨٢ .

كبير[1] .

وفي نهاية ربيع الأول سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م قام ابنه الأمير ركن الدين اسماعيل بزيارة ودية الى بغداد ، فخرج لملقائه جمع كبير من فضلاء المدينة واكابرهم وخادمان من خدم الخليفة وموكب الديوان ثم دخل الى باب النوبي[2] حيث ادى المراسيم المطلوبة ، فقبل العتبة ودخل على نائب الوزارة نصيرالدين بن الناقد فأكرمه وخلع عليه قباء اطلس وقدم له فرساً بعدة كاملة ثم اسكن احدى الدور المخصصة للأمراء ، واقام رجال حاشيته الذين كانوا في صحبته في دور مستقلة اخرى ، وقام الأمير ركن الدين اسماعيل بعد ذلك بزيارة اخته زوجة الأمير علاء الدين ابي شجاع الطبرسي الدويدار[3] حيث اقام هذا الأخير احتفالا كبيرا قدمه فيه الخلع

---

(١) وقد انشد الشاعر عبدالحميد بن ابي الحديد ابياتا بهذه المناسبة [من السريع] :

اهلا بيوم حسنِ المنظرِ قد قَرَنَ الزُهْرَةَ بالمُشتري
لا سلبا ظل امام الهدى شمس الوجود النير الاكبر

الحوادث الجامعة ص٧٣ .

(٢) وهو باب كبير من ابواب دار الخلافة في بغداد الشرقية ، وقيل له باب العتبة لأن الملوك والأمراء كانوا يقبلونها عند دخولهم الى دار الخلافة ، انظر مقدمة الدكتور مصطفى جواد في كتاب الفتوة لأبن المعمار ص٥٩ .

(٣) وهي لفظة فارسية معربة تعنى « حمل الدواة » و « صاحب الدواة » وهو الذي يتولى كتابة الرسائل وكان الخليفة المستنصر بالله قرب الأمير علاء الدين ابي شجاع الطبرسي بن عبدالله التركي الظاهري وجعله برسم حمل الدواة ورغب فيه بدرالدين لؤلؤ ان يكون صهره فاذن له في ذلك ودفن في ايوان الحضرة بمشهد الامام موسى بن جعفر الى جانب زوجته بنت بدر الدين لؤلؤ ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب جـ٤ قسم٢ ص١٠٠٠ .

والهدايا على القادمين[1] .

وفي ربيع الآخر من السنة نفسها حضر للبدرية عند شرف الدين اقبال الشرابي الأمير ركن الدين اسماعيل وحاشيته فاحتفي به وقدمت له تحف وذهب وهدايا كثيرة ثم زار نائب الوزارة نصير الدين في بيته فقلده سيفا واعطاه فرسا بعدة كاملة وقدم له هدايا وخلعاً ، كما اعطي الاموال التي تكفي للأنفاق على سفره مع حاشيته الى الموصل . وكان ركن الدين اسماعيل الذي يمثل اباه ، ضيفا محترما طيلة مدة مكوثه في بغداد حيث اقيمت لـه دعوات في اماكن مهمة وحضر المدرسة المستنصرية في اثناء القاء المدرسين لدروسهم وجلس في ايوانها ثم طيف به في رواقها[2] .

وذكر صاحب الحوادث الجامعة فقال :

هو الأمير علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير ، وقد كان دويدار الخليفة الظاهر بامر الله فلما استخلف قربه وزوجه ابنة بدر الدين لؤلؤ واعطاه ليلة زفافه مائة الف دينار واقطعه (قوسان) وكان يحصل منهـا على املاك بحدود ثلثمائة الف دينار وبنى له دارا على شاطىء دجلة لم يكن ببغداد مثلها ، وقد طلبها منه الخليفة المستعصم بالله فامتنع عن اعطائهـا ، وعندما مات سنة ٦٥٠ هـ ، اخذها الخليفة . وقد رثاه الشاعر ابن ابـي الحديد قائلا : [من الكامل]

بأبـي الذي فقد الحيـاة وعـوده ... لدن وغصـن شـبابه فينانُ
تبكيك « دارُ الشطِ » وهي كئيبة ... والجسـر والشـرقيُّ والميـدان

الحوادث الجامعة ص٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(١) ومن هذه الهدايا احد عشرة راسا من الخيول العربيـة وانواع الثياب وخمسة آلاف دينار ، ن.م. ص٧٩ .

(٢) ن.م.ص ٨٠ . يبدو ان زيارة المستنصرية كانت من بين مراسيم الحكومة لاطلاع كل قادم الى بغداد من الاعيان والملوك والامراء والعلماء على عظمتها ، كما ان مشاهير القادمين كانوا ايضا يسالون الحكومة ان تأذن لهم بالحضور اليها انظر ناجي معروف ، تاريخ علماء المستنصرية ص٣١٦ و٣٢٣

وفي ٦٣٤هـ/١٢٣٦م ارسل من بغداد من يقوم بأحضار ابنة بدرالدين لؤلؤ لكي يتم زواجها بمجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير ، فاستقبل ركب زفافها بدر الظاهرى الشحنة[١] ومعه ثلاثون خادما وجماعة من المماليك[٢] . وفي ٦٣٥هـ / ١٢٣٧ م توفيت زوجة علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير وهي ابنة بدر الدين لؤلؤ ايضاً والتي مضى على زواجها حوالي عشر سنوات ، فأولت الحكومة اهتمامها الكبير لتشييعها وتأبينها مما يدل على ابيها وزوجها في الدولة العباسية حينما أمرت المدرسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية وارباب الدولة من الصدور والامراء في

وقد اورد قائمة باسماء من اقيمت لهم الدعوات والولائم بالمستنصرية وذكر اسم الامير ركن الدين اسماعيل . انظر ايضا الدكتور حسين امين ، المدرسة المستنصرية ص١٠٤ .

(١) يرى الدكتور مصطفى جواد ، ان الشحنة هو الحاكم العسكري ، انظر مقدمته في كتاب الفتوة لأبن المعمار ص٤٢ ، ٥٩ . وقال ايضا ان الشحنكية وظيفة الشحنة وتركيبها عربي تركي لأن اصلها شحنجية ، ن.م ص٤٣ ، انظر ايضا حاشية السلوك للمقريزي ج١ ص٣٥ رقم١ ، حيث جاء بأن الشحنة هو محافظ المدينة او نائب الملك او رئيس الشرطة . والشحنة بالكسر من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان وكان منصبه في عهد العباسيين منصب حاكم بغداد وحاكم العراق معاً ، قال الجواليقى : « الشحنة بكسر الشين ولا تفتح : وهو اسم للرابطة من الخيل في البلد لضبط اهله من اولياء السلطان وليس باسم للأمير أو القائد كما تذهب اليه العامة والنسبة اليه شحني وشحنية (تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة ص ٤٨ ، وانظر تاج العروس ج٩ ص٢٥١ ، مادة شرح ورسوم دار الخلافة (تحقيق ميخائيل عواد) ج١ ص٩ .

(٢) الحوادث الجامعة ص٩٢ .

ان يحضروا جامع القصر[1] لتأدية الصلاة عليها ، كما تقبل زوجها التعازي في بيته فحضر لديه اكابر بغداد واشرافها وموكب الديوان ثم ارسل الخليفة المحتسب ابا الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الى الموصل لكي ينوب عنه في تقديم تعازيه ومواساته لبدر الدين لؤلؤ[2] .

ومن الجدير بالذكر ان بدر الدين لؤلؤ قد استغل اهتمام الخلفاء العباسيين في لعبة البندق[3] التي كان قد احياها الخليفة الناصر لدين الله[4] في تمتين علاقاته به ، ففي ٦٣٤هـ/١٢٣٦ م انتسب الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ الى شرف الدين اقبال الشرابي حيث وصل خادمه الى بغداد ونفران من رماة البندق ومعهم طائر كان قد صرعه الأمير

---

(١) وهو جامع الخليفة الذي كانت تقام فيه صلاة الجمعة وتلقى فيه الدروس والمناظرات وتعقد الاحتفالات في الاعياد ، ويقع في الجانب الشرقي من بغداد انظر ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج اليه ، (تحقيق الدكتور مصطفى جواد) ج١ ص١٢٣ حاشية ٣ .

(٢) الحوادث الجامعة ص١٠١ .

(٣) كان الخلفاء العباسيون قد اهتموا بهذه اللعبة انظر صلاح الدين ابن أيبك الصفدي ، « نكت الهميان في نكت العميان » (المطبعة الجمالية مصر ١٩١١ م) ص٩٣ واساس رمي البندق ، ان الخليفة الناصر لدين الله منع الطيور المناسيب التي كانت توصل الرسائل والاخبار لغيره الا ما يؤخذ من طيوره ومنع الرمي بالبندق الا من ينتمي اليه (ابن الاثير في حوادث سنة ٦٢٢ هـ) وذكر ابو الفدا انه في ٦٠٧ هـ وردت رسل الخليفة الى ملوك الاطراف ان يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها وان ينتسبوا اليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم فيه لأنه كان مغرما بالفتوة ورمي البندق وقد سار الخلفاء من بعده على منواله (المختصر في اخبار البشر ج٣ ص١١٩) .

(٤) ابن المعمار ، الفتوة ص١٢٣ ، انظر ايضا المقدمة (المصدر المار ذكره) ص٥ ـ ٩٩ .

المذكور فأمر الشرابي ان يعلق تجاه باب البدرية وينثر عليه الف دينار ، اما الخادم والرماة فقد اعطوا ثلاثة آلاف دينار ايضاً[١] تشجيعا لهم للقيام بمثل هذا العمل في المستقبل .

وبعث بدر الدين لؤلؤ في ٦٣٨هـ/١٢٤٠م رسولا كذلك ومعه طائر وجماعة من الرماة شهدوا لدى الخليفة المستنصر بالله ان الأمير ابراهيم بن بدر الدين لؤلؤ رماه بالبندق فصرعه فأنتسب بذلك الى الخليفة فقبله وسر منه وعلق الطائر بباب البدرية حسب التقاليد السائدة ونثر على الامير ابراهيم الف دينار ثم قدمت الخلع والهدايا له ولحاشيته[٢] .

ومع ان بدر الدين لؤلؤ حافظ على العلاقات الحسنة مع الخليفة الجديد المستعصم بالله ٦٤٠ - ٦٥٦هـ / ١٢٤٢ - ١٢٥٨م ، ففي يوم ٨ جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ هـ ارسل ابنه الامير ركن الدين اسماعيل الى بغداد ليقدم التعازي بوفاة الخليفة المستنصر بالله ويهنيء بمناسبة تولي المستعصم بالله وكان الأمير قد ارتدى ملابس الحداد فاستقبله الامراء وعارض الجيش خارج المدينة ثم دخل باحتفال مهيب فقبل العتبة بباب النوبى ودخل دار الوزارة فخدم وعزى وهنأ وخصصت دار لسكناه[٣] .

واعقب بدر الدين لؤلؤ في اليوم الرابع عشر من الشهر نفسه ارسال ممثل آخر عنه وكان معه ثوبان اطلس والف دينار برسم الغاسل[٤] .
ونقل صاحب الفخري في الآداب السلطانيةمن مصدر آخر ، ان بدرالدين

---

(١) الحوادث الجامعة ص٩٦ .

(٢) ن٠م ص١٤٣ .

(٣) الحوادث الجامعة ص١٦٥ .

(٤) ن٠م٠ ص ١٦٥ .

لؤلؤا اهدى الى مؤيد الدين محمد بن العلقمي وزير المستعصم بالله هدية تشتمل على كتب وثياب ولطائف قيمتها عشرة آلاف دينار وقد حملها الوزير الى الخليفة واخبره أن صاحب الموصل قدم اليه هذه الهدايا ، فلم يمانع الخليفة في قبولها[1] ثم عوضه ابن العلقمي من ذلك هدايا من لطائف بغداد ما قيمته اثنى عشر الف دينار[2] .

غير ان هذه العلاقات اصبح يشوبها الجفاء والفتور وخاصة بعد ان هدد الانحلال السياسي مملكة الخليفة وكان المغول يؤلفون اعظم خطر يتهدد سلامة جميع البلدان الاسلامية ولم يبد على الخليفة ما يدل على اهتمام جدى بالأمر أو على وضعه سياسة واضحة للدفاع عن مملكته أو العالم الاسلامي ، وبناء على ذلك فان الخليفة لم يكن يصلح لزعامة العالم الاسلامي[3] . وقد اشار ابن الطقطقى الى ما يدل على ذلك قائلاً : « ان الخليفة كتب الى بدر الدين لؤلؤ يطلب منه جماعة من المطربين في وقت وصل فيه رسول هولاكو اليه يطلب منه منجنيقات وآلات حصار فقال بدر الدين لؤلؤ انظروا الى المَطْلُوبَيْنِ وابكوا على الاسلام واهله »[4]. وذكر صاحب الفخري في الآداب السلطانية ان ابن العلقمي وزير الخليفة المستعصم بالله طلب الى بدر الدين لؤلؤ ألا يُهديَ اليه شيئاً[5] ولعل الخليفة هو الذي اوعز الى وزيره بذلك ، وقد وصلت العلاقات الى حد راح معه بدرالدين لؤلؤ يسدى النصح للخليفة بالاستعداد العسكرى لمواجهة

(١) ابن الطقطقي ، الفخري ص٣٣٨ .

(٢) ن.م. ص ٣٣٨ .

(٣) انظر الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الأيلخانيين ص ١٦ ـ ٢٥ .

(٤) الفخري في الآداب السلطانية ص٤٧ .

(٥) الفخري في الآداب السلطانية ص ٤٧ ، ٣٣٨ .

الخطر المغولي الذي اخذ يتعاظم[1] .

ولابد من الاشارة هنا الى ان جميع الرسل الذين اعتمد هم بدرالدين لؤلؤ في مراسلاته مع الخلفاء العباسيين طيلة عهده كانوا من طبقة عالية في المجتمع حيث ان معظمهم من الادباء او الفقهاء او العلماء الذين يحظون برعايته ، لكي يضفي اهمية خاصة على هذه المراسلات ، حيث تكون لدى هؤلاء الرسل المقدرة التامة على نقل صورة عن موقف صاحب الموصل من الخليفة ، المنسجم مع متطلبات العصر ، والمستجيبة للظروف فضياء الدين ابو الفتح نصر الله بن محمد بن الأثير[2] المتوفى في **٦٣٧**هـ / **١٢٣٩**م كان على اتصال دائم مع بدرالدين لؤلؤ وقد بعثه مراراً الى بغداد في رسائل مهمة من انشائه[3] ، وكانت هذه الرسائل تلقى ضوءاً مفيدا على طبيعة علاقاته مع الخلفاء الناصر لدين الله والظاهر بأمر الله والمستنصر بالله ، حيث كشفت عن الجهود الكبيرة التي كان يبذلها في التقرب اليهم وكسب تأييدهم لسياسته

---

(١) انظر الفصل السادس ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان جـ٥ ص٣٢ ، جـ٣ ص٣٣ ، اليونيني، ذيل مرآة الزمان (الطبعة الاولى في الهند ١٩٥٤) جـ١ ص٦٥ ، الحوادث الجامعة ١٩٣٦ .

(٣) وقد ورد معظمها في كتاب رسائل ابن الأثير فقد نشرت الرسالة الاولى في ص٦٠ وهي تتضمن هزيمة عماد الدين زنكي صاحب العقر والشوش والثانية في ص٣٠ وتتضمن حادثة عماد الدين احمد بن علي بن المشطوب وهو امير من امراء الاكراد الهكارية والثالثة في ص٦٩ عن مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين صاحب اربل والرابعة في ص١٨٦ وتتضمن تقديمه سُنَّةَ العزاء بموت الخليفة والخامسة في ص٢٤٢ وهي تتضمن حث الخليفة على ارسال تنصيب الاتابك عز الدين مسعود بن ارسلان شاه في الموصل .

الداخلية والخارجية وفخر الدين ابو الربيع سليمان بن جبرائيل بن منعه ابن مالك بن يونس العقيلي المتوفى في ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م الذي كان من اكابر الموصليين وقد قربه بدرالدين لؤلؤ كثيرا[١] والشيخ كمال الدين ابو المعالي موسى بن يونس بن محمد بن منعه بن مالك الموصلي العقيلي[٢] وأحمد بن أبي الكرم بن هبة الله الفقيه وأحمد بن هبة الله أبي الفتح بن صالح بن هارون بن عروسة ابوا لعباس الواسطي الموصلي الذين كانوا على صلة ببدرالدين لؤلؤ ويفهمون اهدافه التي كان يسعى اليها في سياسته الخارجية وخاصة ما يتعلق بالخلافة العباسية[٣] •

٢ ـ علاقات بدر الدين لؤلؤ مع اصحاب الاطراف وامرائها :

وتميزت السياسة الخارجية التي كان يسير عليها بدرالدين لؤلؤ بنشاط ملحوظ على نطاق العلاقات ليس فقط مع الخلفاء العباسيين حسب بل مع ملوك المنطقة وامرائها ، فقد كان يرى ان توطيد العلاقات مهم وكسب الحلفاء والاصدقاء الى جانبه على الصعيد السياسي هو خير وسيلة للمحافظة على امارته من العدوان والطامعين فضلاً عن ذلك قد يهيء له الفرصة الكافية للقيام بعملية التوسع الخارجي التي كانت الجزء المتمم

---

(١) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب جـ٤ قسم٣ ص ١٧٨ •

(٢) ن•م جـ ٥ (Oriental College Magazin) العدد ٨٦ ص ٢٩٣ ، ابو شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص٨٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٦٢ •

(٣) عبد القادر بن ابي الوفا الحنفي المصري المعروف بالقرشي ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (الطبعة الاولى في الهند) جـ١ ص٩٠ •

لسياسته ، فقد اشار ابن الأثير الى ان بدر الدين لؤلؤ ارسل الى الملوك واصحاب الاطراف يطلب تجديد العهد لنورالدين ارسلان شاه بن الملك القاهر عزالدين مسعود سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م فجاء اعترافهم بنورالدين ارسلان اتابكا وبدرالدين لؤلؤ مدبرا للدولة وراعياً لشؤونها[١] وعند وفاة نورالدين ارسلان شاه في السنة نفسها أتته رسل الملوك للتعزية وبالتعهد ببذل ما طلب منهم من العهود وبالمحافظة على حسن العلاقات والجوار[٢] • ويمكن تقدير مدى نجاح سياسة بدرالدين لؤلؤ هذه فيما اورده ابن الأثير ، فقد اشار الى انه « قام بخدمة الملك القاهر خدمة يحمده عليه القاصي والداني والمطيع والعاصي والبادى والحاضر والمنجد والغابر • فلقد تقلد منصبه على حين فترة من الكرام وكثرة من اللئام »[٣] •

لقد حكم بدرالدين لؤلؤ مدة طويلة تكفي لتفهم مشكلات امارته ووضع الحلول المناسبة لها لذلك فلا غرابة ان نجد بعض المؤرخين[٤] يجمعون على الثناء بسياسته الخارجية وخاصة ما يتعلق منها بموقفه من حكام الامارات والمدن مثل سنجار وتل عفر والعقر والشوش وجزيرة ابن عمر

---

(١) الكامل جـ١٢ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ •

(٢) ن•م• ص١٣٨ •

(٣) التاريخ الباهر ص٢٠٤ •

(٤) ن•م ابن المقرب ، الديوان ص٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٤٠ ـ ٤٤٧ ، ٥١١ ـ ٥٢٠ ، ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ص٢٢٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب جـ٣ ص٢٦٢ ، الحوادث الجامعة ص٣٣٧ ، ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر جـ٦ ص١٧ ، الذهبي ، دول الاسلام جـ٢ ص١٢٢ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر في اخبار البشر جـ٢ ص١٣٦ ، ابن كثير ، البداية جـ١٣ ص٢١٤ ، الخزرجي ، العسجد المسبوك الورقة ١٢١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٧٠ •

واربل ونصيبين وحلب ودمشق ومصر ، فقد اتبع سياسة المهادنة وحل المشكلات الناشئة بطريقة سلمية فأجزل الاموال والهدايا والعطايا لهذا الغرض ولكن مع مراعاة مصلحة امارته ، فنقل احد المؤرخين « انه كان يهون عليه ان يبذل ما قيمته عشرة آلاف دينار اذا ما عدم من بلاده ما قيمته درهم واحد ، وكان كثير العناية بالرسل والقصاد ليقف على الاخبار والحوادث ويكون على اطلاع مستمر بما يدور في المنطقة من فتن ومؤامرات ودسائس وينفق لهذا الغرض اموالا طائلة »[1] • كما اشار مؤرخ آخر الى مثل ذلك فقال « ان كلمته هي السائدة والوفود من سائر الجهات اليه موفدة »[2] • لذلك يمكن القول انبدرالدين لؤلؤ كان لا يريد ان تبقى الاوضاع السياسية المحيطة به والسائدة في الامارات والمدن الصغيرة كما هي بدون تغيير بل كان يسعى الى تفتيتها والقضاء عليها أو اخضاع بعضها له بكل الطرق والاساليب الممكنة لديه ، لقد كان يبدو عليه ما يدل على اهتمام جدي بالدفاع عن امارته ووقف العدوان عليها ان اقتضى الحال فقد كان يضع في حسابه السياسة التي كان يسير عليها حكام وملوك الاطراف القريبين ، كما ان اساليبهم في حل قضاياهم وتشابك المصالح وعلاقاتهم السائدة بينهم كانت تهمه أيضاً في تحقيق اهدافه ليكون بامكانه اتخاذ مواقف معينة ازاء الاحداث التي تجرى هناك • وقد افلح في محاولة الظهور بمظهر القوة والبأس امام القوى المعادية له فقد شجع الاحلاف والمعاهدات العسكرية وانضم اليها وذلك بغية تنفيذ سياسته التوسعية والحصول على ممتلكات جديدة او استعادة سيطرته على بعض القلاع والمدن التي كانت في حوزته •

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ٧ ص٧٠ •

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٢١٤ •

وكان خلفاء بني العباس كثيرا ما يتدخلون لفض النزاعات التي تحصل بين ملوك الاطراف وامرائها فيسعون للتوفيق بينهم ، فعندما ترامى للخليفة العباسي المستعصم بالله اعتزام المغول فتح غربي العالم الاسلامي بعث رسوله نجم‌الدين عبدالله بن محمد الباذرائي[1] (ت ٦٥٥هـ) ، الى الملك الناصر صاحب دمشق يأمره بمصالحة الملك المعز صاحب مصر والاتفاق معه على تكوين حلف عسكري لمواجهة الخطر المغولي ، وقد امتثل هؤلاء لأمر الخليفة[2] ويبدو ان صاحب الموصل كان هو الآخر لا يمكنه الا امتثال ما يأمره الخليفة فيما يتعلق بهذا الأمر ، ولكن لم تجد مساعي الأخير في محاولته اقامة صلح بين الملك الاشرف موسى صاحب دمشق ومظفر الدين كوكبرى صاحب اربل ، حيث كان الأول حليفا لصاحب الموصل وكان يعاضده ويستعين به في تجريد الحملات العسكرية للأستيلاء على اربل[3].

وبما ان علاقات بدرالدين لؤلؤ مع ملوك الاطراف وامراء المدن وحكامها ضرورية لفهم جانب من سياسته الخارجية ، لذلك من المفيد استعراض اهم ما ورد من هذه العلاقات على النحو التالي :

---

(١) نجم‌الدين محمد عبدالله بن ابي الوفاء محمد بن الحسن الباذرائي. نسبة الى بادرايا قرية من عمل واسط . ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة في امراء الشام والجزيرة ـ قسم الجزيرة ـ (مخطوطة مصورة) الورقة ١٤١أ ، الوافي بالوفيات (مخطوطة مصورة في المكتبة المركزية ـ جامعة بغداد) جـ١٥ الورقة ١٤٢ .

(٢) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى جـ٥ ص١١٣ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٣٣٧ ـ ٣٣٨ ، العسجد المسبوك (مخطوطة مصورة) جـ٢ الورقة ١٣٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٦ ص٢٤٧ .

يلاحظ ان اهم الأمراء الذين وردت عن علاقاتهم السياسية والعسكرية مع بدرالدين لؤلؤ معلومات وافيــة هو مظفر الدين كوكبرى بن سعيد بن زين الدين علي كوجك بن بكتكين التركي الاربلي[1] صاحب اربل ، الذي كان من اصحاب الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب وكان قد اقطعه حران والرها غير انه تنازل عنهما مقابل اخذه اربل وشهرزور ودربندقرابلي ، ولم تمض غير مدة قصيرة حتى شرع بتقسيم شهرزور ودربندقرابلي وبلاد اخرى كثيرة على اولاد الاتابكيين[2] ولم يبق له سوى اربل[3] .

وكانت اربل من اعمال الموصل كما وصفها ياقوت ، وهي مدينة كبيرة على شكل قلعة قام بعمارتها وبناء سورها وتعمير اسواقها وقيسارياتها الأمير مظفـــر الدين كوكبـرى بن زين الدين علي كوجك وكان مظفر الدين كوكبرى يتمتع بالهيبة والشهامة والتجربة فقــاوم الملوك ونابذهم ، وكانت طباعه مختلفة متضادة فأنه كثير الظلم عسوف بالرعية راغب في اخذ الاموال من غير وجهها[4] . وكان موقفه من الاتابكيين في الموصل الذي اتســـم بالتحريض ضد بدر الدين لؤلؤ هو الذي دفـع الأخير الى الوقوف ضـده وجعله يحاول انتهاز الفرص للأيقاع به واالقضاء عليه مهما كلف الأمر[5] .

---

(١) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٥ (Oriental College Magazin) الجلد ٢٠ العدد ٢٢ ، ص٤٨٩ .

(٢) ن٠م٠ ص٤٩٠ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ٣ ص٢٧٠ .

(٤) ن٠م٠ ص٢٧١ .

(٥) انظر ص ١١٦ ــ ١٢٢ .

فلقد اشير الى ان مظفرالدين كوكبرى كان « غصة في حلق البيت الاتابكي »[1] . لقد بدأ النزاع الفعلي بين بدالدين لؤلؤ ومظفر الدين كوكبرى عند وفاة الملك القاهر في ٦١٥هـ / ١٢١٨م حيث ان الأخير قد خلف ولدين صغيرين قاصرين هما نورالدين ارسلان شاه والناصر محمود وكان اخو الملك القاهر هو عماد الدين زنكي وكان بصفته كبير الاسرة الاتابكية يحدث نفسه بالاستيلاء على السلطة في الموصل غير ان بدرالدين لؤلؤ كان يخيب ظنه حيث قلد السلطة من الناحية الاسلامية لنورالدين ارسلان شاه ثم ارسل الى الخليفة الناصر لدين الله والى الملوك وامراء الاطراف ومنهم مظفر الدين كوكبرى نفسه يطلب اليهم تجديد العهود والمحالفات لهذا الاجراء ، فكسب بدالدين لؤلؤ في بادىء الأمر - موافقة مظفرالدين كوكبرى على مسعاه بتنصيب نورالدين ارسلان شاه لأن موقفه كان حرجاً حيث كان الخطر المغولي يتهدد سلامة اربل في سنة ٦١٨هـ/١٢٢٠م[2]، حتى ان صاحب الموصل انجده بناء على طلبه[3] . وكان يبدو على مظفرالدين كوكبرى عدم استعداده لاحترام هذا الاتفاق فقد اثبتت احداث السنين التالية التي تلت ابرامه بأن ظروفا كانت تجبره على ذلك انتصاراً لزوج ابنته عماد الدين زنكي الذي وقف من بدرالدين لؤلؤ موقفا معادياً ، لهذا حاصر الموصل ثلاث مرات لانجاد صهره ، فبدأ بدرالدين لؤلؤ يحذرهما من مغبة اعمالهما ولكنه كان يتفادى الاصطدام معهما الا ان ذلك لم يجده

---

(١) ابن الفوطي ، تاريخ مجمع الاداب جـ٥ (Oriental College Magazin) العدد ٢٢ مجلد ٢٠ ، ص٤٨٩ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل جـ٩ ص٣٣٧ - ٣٣٨ الخزرجي ، العسجد المسبوك جـ٢ ، الورقة ١٣٢ .

(٣) ن٠م٠ نفس الصفحات .

نفعا حيث اضطر الى خوض المعارك لتسوية نزاعه معهما للحفاظ على امارته لئلا تسقط بأيديهما • وتحدثت الرسالة التي بعث بها بدرالدين لؤلؤ للخليفة العباسي[1] عن اخلاصه للديوان العزيز النبوي ثم ضمنها تحريضا بمظفر الدين كوكبرى وبمروقه عن اطاعة خليفة المسلمين ، ثم نوه الى مساندته لزوج ابنته عماد الدين زنكي والدفاع عن الطفل ناصر محمود الذى نصب اتابكا للموصل ، وكان بدر الدين لؤلؤ يهدف من وراء ذلك على ما يبدو تأليب الخليفة على صاحب اربل لكي يضعفه سياسيا مستغلا الخلافات الناشبة بين الخليفة الناصر لدين الله ومظفر الدين كوكبرى التي كانت قد نشأت قبل هذا التاريخ ، وذلك بسبب عزم مجاهد الدين قايماز مدبر الاتابك نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود الايعاز الى الخليفة في حينه بتجريد مظفرالدين كوكبرى من سلطته على مدينة حران ، وقد استجب الخليفة الى ذلك ، على ان مظفرالدين كوكبري جابه هذا الاجراء من جانب الخليفة بالأسنهزاء وعدم الاكتراث • وقد حضر بعد ذلك الى بغداد ليستنكر اعتداء مجاهدالدين قايماز على حقه الشرعي غير ان حكام بغداد لم يستمعوا اليه[2] •

لقد كان موقف مظفرالدين كوكبرى مبعث قلق دائم لبدرالدين لؤلؤ لذلك سعى الأخير الى الأستفادة من موقف الخليفة الناصر لدين الله ازاء مظفر الدين كوكبرى الذي اتسم بالجفاء وذلك بجعله طرفا ثالثا في النزاع المؤقت القائم بينهما ، غير ان صاحب الموصل لم يوفق الى ذلك ، حيث اعيدت العلاقات الحسنة بينهما واعرب صاحب اربل عن اخلاصه للخليفة وبقائه

---

(١) رسائل ابن الأثير ص٦٩ •

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج٣ ص٢٧١ •

من الموالين له .

وليست لدينا معلومات تشجع على القول ان الخليفتين الناصر لدين الله والمستنصر بالله كلاهما كان ينظر الى صاحب اربل نظرة عدم اطمئنان ويطمعان في امارته ولم يتأيد بعد من النصوص فيما اذا كانا حقاً قد قاما باجراءات عسكرية مباشرة ضده ، لأن ذلك يلقي ضوءاً مفيداً على الاسلوب الذي يتحتم على بدرالدين لؤلؤ ان ينهجه في علاقاته مع صاحب اربل ، كما انه يعزز موقف الأول ويدفعه بحماس اكثر للوقوف ضد مظفر الدين كوكبرى .

غير ان الخليفة المستنصر بالله عندما كان يسعى لعقد الصلح بين صاحب الموصل وصاحب أربل في ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م وارسل من عنده رسولا للتوفيق بينهما ، توفي مظفر الدين كوكبرى فنشط الخليفة حينذاك الى تجريد حملة عسكرية لاحتلال مدينة اربل بقيادة شرف الدين اقبال الشرابي ، وكان قد تسلم قلعتها الخادمان (برتقش وخالص) الذين كاتبا عمادالدين زنكي يحثانه على المجيء ليسلماه البلد ، فلما وصل جيش الخليفة اليها حاصرها لمدة قليلة ثم استولى عليها ورتب فيها النواب ريثما يقرر شمس الدين باتكين الذي كان اميرا على البصرة مصيرها والذي يبدو انه قد انيطت به مهمة تعيين امير حاكم على اربل[١] ثم سار شمس الدين باتكين الى اربل بناء على أمر الخليفة ليطلع على احوالها ثم يأمر بتعيين عارض الجيش محمد بن نصر بن صلايا بن يحيى الصاحب تاج الدين الهاشمي نائبا دائما فيها عن الخليفة[٢] .

---

(١) الذهبي ، تاريخ الاسلام الورقة ١٨٠ .

(٢) الصفدى ، الوافي بالوفيات ، مخطوطة رقم ٥٣٢٠ الورقة ٩٨ (قال ان ابن صلايا كان من رجالات العالم رأيا وعقلا) .

وكان بدرالدين لؤلؤ ينظر الى هذه الأحداث عن كثب ، فقد تخلص من عدوه الذي كان يثير بعض حكام الامارات والمدن عليه ويلجأ الى الدس ضده مما وفر له طاقة وجهدا يمكن الاستفادة منها في جبهات أخرى لا تزال مصدر قلق له ، غير انه من الناحية الاخرى كان يطمع بضم اربل اليه كما اثبتت الاحداث ولكن اجراء الخليفة في ضم اربل الى ممتلكاته سبب ردود فعل في علاقاته مع نائب الخليفة فيها محمد بن نصـــر بن صلايا ، حيث توترت بينهما العلاقات ووصفها احد المؤرخين بالمنافسة بين نائب الخليفـــة وصاحب الموصل[1] .

لقد بدأت اطماع بدر الدين لؤلؤ في امارة اربل جليّة عندما حـاول استغلال علاقته الحسنة بالمغول وذلك بدفعهم للتخلص من ابن صلايا فاغلب المؤرخين يذكرون تحريض بدرالدين لؤلؤ هولاكو بعد فتح بغداد ســنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م على قتل ابن صلايا صاحب اربل[2] وقد بنى اتهامه لابن صلايا بكونه يسعى للحكم بعد الخليفة[3] . وهو أمر لم يقم عليه دليل .

ويبدو ان موت مظفر الدين كوكبرى في ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م وقتل ابن صلايا في ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م قد حققا انتصارا لسياسة بدرالدين لؤلؤ الخارجية وهي انه قد تخلص من الاخطار التي قد يتعرض لها في حالـــة وجود كل منهما ، ولكن اخفقت جميع مساعيه التي كان يبذلها في ســبيل الحصول على اربل ، وخاصة بعد سنة ٦٣٠هـ حتى ان هولاكو كان لا يرغب في ابقائها تحت سيطرته بعد ان احتلتها الجنود المغولية فقد حصل الأمير

---

(١) ن٠م٠ الوقر ٩٨ ٠

(٣) اليونيني ، ذيـــل مرآة الزمـان جـ١ ص٩١ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٤٩ ، الصفدى ، الوافي مخطوطة ٥٣٢٠ ، الورقة ٩٨ ٠

(٣) ن٠م٠ نفس الصفحات ٠

الكردى شرف الدين جلالي امرا من هولاكو يقضي بأنتزاعها من بدرالدين لؤلؤ وطرد نوابه من قلعتها[١] ، غير ان الاخير لم يفرط بمصيرها ، حيث كان يدرك اهميتها لكونها امارة ذات شأن سياسي واقتصادي في المنطقة ، تتم شراؤه اربل من المغول بـ ٧٠٫٠٠٠ دينار[٢] •

ومهما يكن من أمر فأن بدر الدين لؤلؤ قد نجح في سياسته التي كان يتبعها مع مظفر الدين كوكبرى ومحمد تاج الدين بن صلايا ، حيث استطاع في النهاية من عزل الأول وعدم تمكينه من احتلال الموصل وذلك للأنتصار لزوج ابنته عماد الدين زنكي صاحب العقر والشوش من الوشاية بالثاني والتخلص منه ، غير ان تحقيق هذه السياسة كان يترتب عليه نتائج وخيمة حيث تعرض صاحب الموصل لأخطار كبيرة كما استنزف ذلك منه جهدا كبيرا ايضا •

اما علاقات بدر الدين لؤلؤ مع حكام دمشق فلم تقدم المصادر عنها معلومات كافية ولكن ابن شداد الذي وضع كتابه في ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م القى ضوءاً مفيداً عليها ، فقد أشار الى ان الجيوش الخوارزمية قصدت بلاد الموصل سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م وضايقتها فاستنجد بدرالدين لؤلؤ بالملك الناصر صاحب دمشق حيث نشط الاخير بارسال عسكر مقدمه الملك المنصور ناصرالدين ابراهيم صاحب حمص والأمير شمس الدين لؤلؤ

---

(١) ابن العبرى ، الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠)ص١٣٣ •

(٢) المصدر نفسه ، واورد ابن شداد كذلك انه قد وصل مملوك بدر الدين لؤلؤ الى اهل ميافارقين في ٦٥٦هـ يقول ان بدر الدين لؤلؤ بذل روحه وماله وابتاع البلد من هولاكو • مما يدل دلالة واضحة على اهتمامه الكبير بامارة اربل وبمصيرها (الاعلاق الخطيرة) في ذكر امراء الشام والجزيرة ـ قسم الجزيرة ـ (مخطوطة مصورة) الورقة ١١٨ ب •

الأميني وقد استطاعت هـــذه الجيوش ان تؤدي مهمتها بالمحافظة عـــلى الموصل[1] وجاء ايضا في هذا المصدر ان بدرالدين لؤلؤ قال لرسل المغـول (انني مملوك السلطان الناصر صاحب دمشق ونائبه في البلاد وانا اخطب والبلاد بلاده)[2] . وكان يقصد بالبلاد هنا امارة الموصل . كما اشير الى ان بدرالدين لؤلؤا كان يخاطب الملك الناصر بـ (مولانا السلطان)[3] . ولانعرف فيما اذا كان يقول ذلك لرسل المغول تخلصا مما قد يطلبونه ، أو انه كان فعلا يدين بالتبعية للملك الناصر صاحب دمشق في ذلك الحين ؟ .

وفي ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م نوه سبط بن الجوزي الى وجود علاقات بين بدرالدين لؤلؤ واهل الشام[4] . وليست لدينا اية معلومات وافية عن طبيعة هـذه العلاقات وصـــورها ، غير ان في ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م جاء ما يفيد ان بدرالدين لؤلؤ كان على صلة بحكام دمشق ، فقد ارسل مبعوثا سياسيا وهو الفقيه عبدالرزاق بن رزق‌الله بن ابي بكر بن خلف الرسعني الحنبلي ، حيث كلفه بمهمات سياسية[5] لم يكشف عن طبيعتها ايضاً ؛ وفي نفس هذه السنة اوفد الفقيه احمد بن ابي الكرم بن هبة الله الى الملك الناصر صاحب دمشق[6] .

وفي ٦٥٠هـ / ١٢٥٠م قام الفقيـــه احمد بن محمد بن هبـة الله

---

(١) ن٠م٠ الورقة ١١٠ أ .

(٢) الاعلاق الخطيرة (مخطوطة) الورقة ٦٤ أ .

(٣) ن٠م٠ الورقة ٦٤ ب .

(٤) مرآة الزمان ج١ قسم٢ ص٧٤٥ .

(٥) ابن الصابوني ، تكملة اكمال الاكمال ، ص١٥٤ .

(٦) القرشي ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج١ ص٩٠ (وقد ارسل هذا الفقيه بعد هذا التاريخ بقليل ايضا) .

الواسطي بايصال رسـائل مهمة الى الملك الناصـــر صاحب دمشق بتكليف بدر الدين لؤلؤ[1] • والمعروف ان بدر الدين لؤلؤ دخل في طاعـة المغول سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م ولذلك فلابد ان تحوى هذه المراسلات ما يتعلق بالموقف من الخطر المغولي الذي كان يتهدد هذه المنطقة[2] كما ان الملك الناصر صاحب دمشـــق كان يعاني هو الآخر من انقســـام بلاده وتغلغل الصليبيين فيها واقامتهم دويلات قريبة منها كانت مصدر قلق دائم له ، لذا كان يسعى الى المحافظة على مملكته بأيجاد سند خارجي له لأتقاء خطـــر الصليبيين والمغول معا • ومع ان المصادر لم تشر الى علاقته المباشرة بالمغول ، ولكن على ما يبدو فأن بدرالدين لؤلؤ كان يؤثر عليه بطريقة تجعله ينفـذ طلباتهم احيانا[3] •

ويبدو ان تأثير علاقات بدرالدين لؤلؤ المبنية عـلى التفاهم وحســـن الجوار والتحالف مع حكام دمشق والتي بدأت منذ سنة ٦٤٢هـ /١٢٤٤م قد ظهرت آثارها في السنين التي تلت سقوط بغداد بايدى المغول ســـنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م فيذكر المؤرخ الشامي شهاب الدين ابو شامة المتوفى في ٦٦٥هـ/١٢٦٦م ان اولاد بدرالدين لؤلؤ وهم اصحاب جزيرة ابن عمر وسنجار والموصل قد هربوا بعيالهم واموالهم وصحبهم جماعة من اهـــل البلاد ومن كانت لهم خبرة على السفر الى دمشق[4] ، حيث مكثوا هنـاك زمنا ثم رحلوا الى مصر للاحتماء بالظاهر بيبرس البندقداري سلطان مصر •

وورد ما يشـــير الى وجود علاقات بين بدرالدين لؤلؤ وحكام حلب

---

(١) ن٠م ص١٢٣ •

(٢) انظر الفصل السادس ص٢٠٤ و ٢١٠ •

(٣) الفصل السادس ص٢٠٢ ـ ٢٠٥ •

(٤) تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص٢١٢ •

ايضا ، ويبدو على هذه العلاقات انها كانت في فترات متقطعة ففي ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م عقد تحالف بين صاحب الموصل وصاحب اربل وصاحب ماردين وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب حلب وصاحب سنجار وسلطان الروم ضد الملك العادل صاحب مصر[١] • مما يدل على ان هناك شبه اتفاق سياسي بين هذه الاطراف وان هناك نوايا عدوانية كانت تساور الملك العادل اخي صلاح الدين الايوبي المتوفى في ٦١٥هـ / ١٢١٨م ضد هذه الامارات فقد كان هذا الملك يحلم بالسيطرة عليها لكي يضيفها الى بلاده المترامية الاطراف والموحدة والتي كانت تتألف من الجزيرة وسورية ومصر • غير ان هـذا الحلف قد اصابه التصدع الأمر الذي جعل هؤلاء يعقدون صلحا معهم في نهاية الأمر[٢] واخذ كل منهم يبعث رسله للملك العادل ثم اتهم كل واحد منهم الآخر بالسعي للخروج من هذا الاتفاق[٣] •

وفي ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م استولى الملك يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف صاحب حلب على حمص مما جعل احتمال الخطر كبيرا على بدر الدين لؤلؤ وذلك من جراء الاطماع التي قد تدفع بصاحب حلب الى شـن هجوم على الموصل ايضا نظرا لقربها من حلب وسهولة الطرق اليها ، وبذلك اعلن بدر الدين لؤلؤ بأجراء الخطبة في الموصل بأسم صاحب حلب خوفا من تحرشاتهم[٤] •

وربما كانت لسياسة التوسع التي ينتهجها بدرالدين لؤلؤ علاقة وثيقة

---

(١) سبط سن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٥٤١ ، ونقل عنه ابو شامة تراجم رجال القرنين ص٧٥ •

(٢) مرآة الزمنا جـ٨ قسم٢ ص٥٤١ •

(٣) ن٠م٠ ص ٥٤١ ـ ٥٤٢ •

(٤) الحوادث الجامعة ص٢١٩ •

بتهديدات صاحب حلب بالأستيلاء على الموصل ، فقد اثبتت الاحداث صحة ذلك ، ففي ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م ارسل بدر الدين لؤلؤ حملة عسكرية في محاولة لأخضاع الملك الناصر صاحب حلب بالقوة غير ان الأخير استطاع القاء الهزيمة بقوات بدر الدين لؤلؤ العسكرية[١] •

وفي ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م[٢] و ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م[٣] يبدو ان علاقات بدرالدين لؤلؤ مع الملك الناصر صاحب حلب قد تحسنت ، بحيث ارسل كل منهما رسله وممثليه السياسيين للآخر لأطلاع احدهما الآخر على امور مهمة لدى الطرفين •

ولعل ادراكهم لطبيعة الخطر المغولي الذي كان يتهدد ممالكهم ادى الى وضعهم سياسة معينة تتناول تحسين العلاقات وزيادة التفاهم والتقارب •

ويمكن بحث علاقات بدرالدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح مع ملوك مصر في الفترة الواقعة من ٦١٥ ـ ٦٦٠هـ / ١٢١٨ ـ ١٢٦١م وذلك على ضوء ما قدمته المصادر من معلومات متفرقة ومشتتة • ففي ٦١٥هـ لم يكن بدرالدين لؤلؤ على وفاق مع الملك العادل صاحب مصر لذلك لاقت دعوة ضمه الى حلف عسكري اشترك فيه بعض الملوك وامراء الاطراف في الجزيرة وسورية ترحيبا منه[٤] ، ومع ان هذا الحلف اخفق في تهديد الملك العادل ، ولكننا لا نعرف دور بدرالدين لؤلؤ فيه بوضوح •

وفي نهاية سنة ٦١٥هـ توفى الملك العادل صاحب مصر ، فسعى الأمير

---

(١) ابو الفدا ، المختصر في اموال البشر جـ٦ ص٨٤ •

(٢) القرشي ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية جـ١ ص٩٠ •

(٣) ن٠م٠ ص ١٢٣ •

(٤) انظر ص٧٠ •

عمادالدين بن المشطوب[١] الى ترشيح الملك الفائز ابراهيم أخي الملك العادل ملكا على مصر وقد كانت أم الفائز من بلاد الروم ومن سلالة ملوكها السلاجقة ، فنشط الملك الكامل أخو الملك العادل في القبض على ابن المشطوب ولكنه هرب الى الموصل[٢] ، ويبدو انه طلب اللجوء الى بدرالدين لؤلؤ فقبل هذا حمايته ، لأنه كان لا يحبذ تنصيب الملك الفائز ملكا على مصر لأمور لم توضحها المصادر المتوفرة لدينا .

وبقيت العلاقات غير واضحة بين صاحب الموصل والملك الكامل صاحب مصر منذ سنة ٦١٥هـ حتى سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م حيث استولى المماليك البحرية على السلطة في مصر لأنهم كانوا حكام البلاد العسكريين آنذاك ، كما ان الغزو الصليبي في مصر واخفاقه ساعدهم في الاستيلاء على الحكم ايضا فنصبوا احدهم المسمى الملك المعز ايبك بن عبدالله التركماني فاتخذت العلاقات بين بدرالدين لؤلؤ والملك المعز مظهرا حسنا ونمت نموا ظاهرا بعد اعتزام الأخير الزواج من ابنة بدرالدين لؤلؤ[٣] حيث ترددت بينهما المراسلات بخصوص ذلك . وكانت زوجة الملك المعز السابقة شجرة الدر قد هيمنت على امور المملكة[٤] فأضمرت لزوجها شرا بعد ان توقعت منه

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ١٢ ص١٤٢ ، ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم٢ ص٦٧١ ، سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٦٠٢ ، ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص١٦٣ .

(٢) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم٣ ص٢٧ .

(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٧٥ .

(٤) وكانت تقول لزوجها ، لولا انا ما وصلت انت الى الملك وقد منعته من الاجتماع بزوجته ام ولده الامير علي حتى انها الزمتها بطلاقها . وكانت لا تطلع زوجها على كثير من الامور والقضايا الهامة وتمنعه من الاجتماع بأي شخص لا تطمئن هي اليه كما انها لم تطلع زوجها على

انه ربما عزم على ابعادها[1] بعد ان يتزوج ابنة بدرالدين لؤلؤ ولذلك قام الاخير بتحذير الملك المعز من غدر زوجته مما حمل سلطان مصر على اتخاذ اجراءات رادعة ضدها فأنزلها من القلعة وهو المكان الذي كان يقيم فيه معها الى دار الوزارة لكي يقيم الخفراء لمراقبتها[2] .

وخلال هذه الفترة افاد بدالدين لؤلؤ كثيرا من زوج ابنته الملك المعز الذي استعاد سلطاته على مملكته في تعزيز موقفه معنويا ومن ثم عسكريا ، فقد جعل اتفاق الطرفين في الامور السياسية ممكنا . اذ بلغت العلاقات اوجها في نهاية النصف الأول من القرن السابع الهجري حيث اعتبر ملك مصر آنذاك حليفا سياسيا لبدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل . ومن الجدير بالأشارة الى ان الأخير كان في هذه الفترة يسعى لأيجاد الحلفاء والاعوان لتنفيذ مهام سياسته الخارجية التي من اول اهدافها المحافظة على امارته من تحركات جيوش الممالك والامارات التي اخذت تجوس خلال منطقة الجزيرة وسورية . ولذلك رأى في مصر المملكة القوية خير سند خارجي له في تحقيق اهداف سياسته هذه .

اما العلاقات بعد سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م فلم تشر المصادر الى طبيعتها ، ويبدو انها ليست كما كانت عليه في السابق . اما في ٦٥٨هـ/١٢٥٩م فقد

ذخائر الملك الصالح التي كانت هي صاحبته وخليلته انظر المقريزي ، السلوك جـ١ قسم٢ ص٤٠٢ ، ابن تغرى بردى ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٦) جـ١ القسم الادبي ص١١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ١ ص٩١ .

(١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٥ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام الورقة ٢٤٥ ابن كثير ، البداية جـ١٣ ص١٩٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ٦ ص٣٧٥ ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ص٩١ .

(٢) المقريزي ، السلوك جـ١ قسم٢ ص٤٠٢ .

تولدت لدى الظاهر بيبرس البندقداري رابع المماليك البحرية في مصر ٨٨٥ - ٦٧٦هـ/١٢٥٩ - ٢٧٧[١] رغبة في تقوية العلاقات مع الملك الصالح ركن الدين اسماعيل الذي خلف اباه بدرالدين لؤلؤ في ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م بأنه اراد بذلك ان يكسب عطف ملوك الاطراف وامرائهم في موقفه ضد الخطر المغولي الذي بات يتهدد سلامة العالم الاسلامي • فقد حضر الملك الصالح مع اخوانه ومنهم سيف الدين اسحاق صاحب جزيرة ابن عمر والملك المجاهد صاحب سنجار مع جماعة آخرين من ملوك الاطراف يهنئون البندقداري بالسلطنة فأعترف بهم ملوكا في بلادهم[٢] •

وقد عاد الملك الصالح الى الموصل كما هو معروف بعد ان تزود بجيش للوقوف ضد الخطر المغولي الذي بات يهدد الموصل[٣] •

لقد كان زواج الأمير بدرالدين بيليك الخزندار الظاهري وهو من أكبر أمراء الظاهر بيبرس البندقداري ملك مصر ومقدم جيوشه[٤] من ابنة

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ص١٠٣ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٦٩ •

(٢) لم يستطع اخوان الملك الصالح العودة الى اماراتهم وذلك بسبب احتلال الجنود المغولية لها لذلك اقطعهم الظاهر بيبرس الاقطاعات الجليلة بالديار المصرية والسورية واستمروا في رغد من العيش طيلة عهده ، ابن الوردى ، تتمة المختصر ج٢ ص٢١٣ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ص١٠٣ وانظر ايضا الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور الظاهر بيبرس (نشر المؤسسة المصرية رقم ١٤) ص٨٨ - ١٠٥ •

(٣) انظر الفصل السادس ص٢٢٤ - ٢٢٧ •

(٤) يوسف بن رافع بهاء الدين المعروف بابن شداد ، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (تحقيق الدكتور سامي الدهان) ص١١٤ ، ٢٥٤ •

بدرالدين لؤلؤ[1] يعني في الواقع تمتيناً للعلاقات مع الملك الصالح ركن الدين اسماعيل بن بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل في هذه الفترة ايضاً • وقد افاد الأخير من التعزيزات العسكرية والنجدات التي قدمته لمواجهة الجيوش المغولية التي اخذت تنفذ الى اعمال الموصل لأحتلالها •

محالفات ومعاهدات بدرالدين لؤلؤ العسكرية :

اما المظهر الآخر لسياسة بدرالدين لؤلؤ الخارجية فهي محالفاته العسكرية مع بعض ملوك الاطراف وامرائها ، ويبدو ان اولى محاولاته في هذا الشأن كانت **٦١٥هـ / ١٢١٨م**[2] حيث عقد حلفا عسكريا مع الملك الاشرف موسى بن الملك العادل صاحب ديار الجزيرة وخلاط[3] ، وذلك عندما كان يريد الوقوف بوجه التحالف الثنائي المكون من مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل وعمادالدين زنكي صاحب قلعتي العقر والشوش القريبتين من الموصل ، ذلك التحالف الذي سعى لاخراج الكثير من ممتلكات بدرالدين لؤلؤ والتعرض الى اطراف الموصل بالنهب والسلب والأذى[4] •

---

(١) لقد جعل الظاهر بيبرس يوم زواج مملوكه ومقدمه بدرالدين بيليك يوما مشهودا بالميدان الاسود تحت القلعة ، حيث احتفل احتفالا لم ير مثله سابقا ، كما ان السلطان ملكه بانياس التي كانت من اغنى مناطق مصر الزراعية وكانت ذات خيرات وفيرة • وقد اخلص بدرالدين الخزندار للظاهر بيبرس وكان من انشط العسكريين لديه ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٨٣ •

(٢) ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص١٣٩ •

(٣) انظر ترجمته في وفيات الاعيان جـ٤ ص٤١٣ •

(٤) ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص١٣٩ •

وقد رحب الملك الاشرف بعقد الحلف الدفاعي مع صاحب الموصل وابدى استعداده الكامل لمساعدته ومعاضدته والوقوف بجانبه ضد اي هجوم عسكري قد يتعرض له • وكانت اولى اجراءات الملك الأشرف بهـذا الخصوص ان ارسل الى مظفر الدين كوكبرى يندد بعمله ويلقي عليـه مغبة القيام به ويحذره من اعادة ما سيطر عليه من اعمال الموصل[1] وقد احتوت رسالته اليه على تحذير يأمر بفك التحـالف الذي كان يربطـه بعماد الدين زنكي ثم هدده بالتدخل لارغامه على التنازل ان لم يستجب الى ذلك ، وختم رسالته الى صاحب اربل قائلا (المصلحة انك توافق وتعود الى الحق لنجعل شغلنا جمع العساكر وقصد الديار المصرية واجلاء الفرنج عنها أي الصليبيين « قبل ان يعظم خطبهم ويستطير شرهم »)[2] •

غير ان مظفر الدين كوكبرى لم يستجب للأنذار الموجه اليه ، مما جعل الملك الاشرف يعمد الى ارسال نجدة عسـكرية لحليفه بدرالدين لؤلؤ[3] ولما تقدمت الجيوش نحو اربل تدخل الخليفة الناصـر لدين الله بينهم وسعى للصلح ، وكانت جهود الخليفة مثمرة ، حيث عقدوا صلحا انسحبت جيوش بدرالدين لؤلؤ والملك الأشرف بموجبه[4] • ولكن هـذا الصلح كان موقتا كما ظهر من تطور الاحداث •

وفي ٦١٦هـ/١٢١٩م أرسل مظفرالدين كوكبري الى الملوك والامراء

---

(١) ن٠م٠

(٢) يبدو ان الملك الاشرف كان يشـعر بخطر الصليبيين ، وليس ببعيد ان يكسب الى جانبه في هذا الشعور حليفه بدرالدين لؤلؤ للوقوف بوجه هذا الخطر المحدق ، انظر ن٠م ٠

(٣) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٣٩ ٠

(٤) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص٢٣٢ ٠

يستميلهم اليه ويحسن لهم الخروج على الملك الاشـــرف ويثير مخاوفهم منه[1] وذلك لانه بقي المساند الكبير لبدرالدين لؤلؤ وحيث كان يقلقـه ويقضُ مضاجعه ، وقد استجاب لدعوة مظفر الدين كوكبرى هذه السلطان عزالدين كيكاوس بن كيخسرو بن قليج ارســـلان صاحب بلاد الروم (وهو من سلاجقة آسيا الصغرى) وكان لهذا الاخير حلفاء انحازوا اليه ايضا في هذا الاتفاق وهم الملك الصالح نجم‌الدين ايوب بن الملك الكامل صاحب آمد وحصن كيفا والملك المنصور ناصرالدين ارتق بن ارسلان شاه صاحب ماردين[2] ٠

وقد تكونت نتيجة هذه الدعوة التي اطلقها صاحب اربل جبهة قوية اخذت تهدد التحالف المعقود بين بدرالدين لؤلؤ والملك الاشرف ، غير ان هذه الجبهة اخذت تتفكك نتيجة خروج الملك الصالح نجم‌الدين ايـوب صاحب آمد منها بدعوته الى تأييد جبهة الملك الاشرف بتأثير بدرالدين لؤلؤ، وقد حذا حذوه بقية الامراء ٠

يضاف الى ذلك ان عزالدين كيكاوس صاحب بلاد الروم قد مات في هذه السنة ، مما جعل مظفر الدين كوكبرى يلجأ الى اسلوب الدس واثارة الأمراء على الملك الاشرف فراح يقيم الاتصالات السرية مع جماعة من امراء الملك الاشرف فاستمال منهم احمد بن علي بن المشطوب الذي اسـتطاع تكوين فرقة من اتباعه المقاتلين وزحف بها الى اربل[3] ولكنه اصطدم في

---

(١) ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٩ ٠

(٢) ن٠م٠ ص١٤١ ٠

(٣) وهو الامير عمادالدين ابو العز احمد بن علي بن المشـــطوب الكردي ، الذي كان من اكابر امراء الشام ـ انظر ترجمته : ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ١ ص١٦٣ ، ابن الفوطي تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم٢ ص٦٧١ ٠

طريقه اليها بعساكر نصيبين وسنجار التي كانت تدين بالولاء للملك الأشرف ففقد جنده وذخائره ولاذ بالفرار ودخل الى تل اعفر التي كانت تحت سيطرة صاحب سنجار[1] ، ولما علم الاخير بأمره قام بمحاولة للقبض عليه ليساعد بذلك حلفاءه ، الملك الاشرف وبدرالدين لؤلؤ في ضرب الحصار حول القلعة على امل التغلب عليه ولكن بدون جدوى ، مما جعله يلجأ الى أسلوب اللين والمصانعة ٠ حيث راسله ومنحه الأمان في تسليم نفسه ثم قبض عليه في ٦١٧هـ ١٢٢٠م ونكث بدرالدين لؤلؤ بوعده ، فارسله الى الملك الاشرف ليفرض عليه العقوبة[2] فاعتقله الأخير في قلعة حران ومكث في السجن حتى مات سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م[3] ٠

ويبدو ان القضاء على ابن المشطوب قد سبب خسارة لا يستهان بها لمظفرالدين كوكبرى حيث كان اكبر نصير له يستطيع الوقوف بوجه اعدائه ٠

---

(١) ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٢ ٠

(٢) ن٠م٠

(٣) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٦٠٩ ، ابو شامة ، تراجم رجال القرنين ص١٢١ ٠

(٤) جاء في وفيات الاعيان انه قد كتب احد المقربين لابن المشطوب رسالة يشفع فيها له الى الملك الاشرف ورد فيها هذا البيتان :

يا من بدوام سعده دام فلك ما انت من الملوك بل انت ملك

مملوكك ابن المشطوب فيالسجن هلك اطلقه فان الأمر لله ولك

جـ١ ص١٦٣ ٠ ومن الجدير بالذكر ان ابن المشطوب مات في السجن نتيجة التضييق عليه والتعذيب الذي تلقاه ، انظر الصفدى ، الوافي بالوفيات جـ٦ ص٩٧ ابن الوردي تتمة المختصر جـ٢ ص١٣٩ ، المقريزي ، السلوك جـ١ قسم١ ص١٩٥ ٠

وفي ٦١٧هـ/١٢٢٠م استدعى بدرالدين لؤلؤ عزالدين ايبك مقدم عسكر الملك الاشرف الذي كان يقيم في نصيبين[١] ليكون على اهبة الاستعداد لأي اجراء عسكري قد ينوى اتخاذه مظفرالدين كوكبري ضده ، فاشار ابن العبرى الى ان الاخير استمر في تبني ادعاء صهره عمادالدين زنكي صاحب العقر والشوش في احقيته لحكم امارة الموصل كخلف شرعي للاتابكة والوقوف ضد اجراءات بدرالدين لؤلؤ الرامية الى ابعاد عمادالدين زنكي من الموصل لتآمره[٢] .

وعمل مظفر الدين كوكبرى على تكوين حلف عسكري آخر في ٦٢٣هـ/١٢٢٦م ضم جلال‌الدين منكبرتي سلطان الدولة الخوارزمية والملك المعظم صاحب دمشق والملك الصالح نجم‌الدين ايوب صاحب آمد والملك ناصرالدين صاحب ماردين[٣] حيث قاموا بوضع اتفاق بينهم يقضي في تنفيذ عملية غزو عسكرية للبلاد التي كانت تخضع للملك الاشرف وبدرالدين لؤلؤ مبتدئين بالموصل ، وعندما بادر مظفر الدين كوكبرى لاحتلال الموصل حيث اخذ على عاتقه تنفيذ هذا الامر وقيادة العساكر شعر بدرالدين لؤلؤ بالخطر المحدق به من عساكر صاحب اربل وحلفائه الذين نزلوا في الجانب الآخر من نهر دجلة ، اذ لم يمكنهم العبور اليه .

ويبدو ان التهديد الخطير الذي قام به هؤلاء الحلفاء اصبح يتطلب من بدرالدين لؤلؤ التصرف بحكمه واتخاذ اجراءات سريعة للرد عليه أو لحماية امارته على الاقل فطلب نجدة من حليفه القوى الشكيمة الملك الاشرف ، فأوعز اليه بتنفيذ خطة عسكرية ناجحة حيث طلب منه مهاجمة

---

(١) ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ص٢٣٢ .

(٣) ن٠م٠ ص ٢٣٢ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٢١ ص١٨٧ .

الدول والامارات التي اشتركت في هذا الحلف وارسلت جيوشها لفتح الموصل ، لكي يضطرها في نهاية الامر على التراجع وسحب جيوشها وبذلك تفك الحصار المضروب حول المدينة •

وبدأ الملك الاشرف فعلا بالاستيلاء على معظم المدن والولايات التي كانت تخضع لسيطرة هؤلاء الحلفاء[1] مما اضطرهم على الانسحاب اتقاء خطر الغزو الذي قد تتعرض له بلدانهم ، وبذلك حقق بدالدين لؤلؤ نجاحاً كبيراً في خطته هذه •

ان الاتفاق العسكري الثنائي الذي ضم كلاً من بدرالدين لؤلؤ والملك الأشرف قد تضمن نصرة احدهما للآخر في حالة حدوث اي هجوم خارجي يتعرضهما ، ويمكن القول في ضوء المعلومات والحقائق التاريخية ان بدرالدين لؤلؤ قد افاد اكثر من حليفه الملك الاشرف من هذا الحلف ، فقد خرج بدرالدين لؤلؤ منتصرا على جميع التكتلات العسكرية التي كانت تستهدف احتلال امارته ثم حسر الاخطار عنها •

ومن الناحية الاخرى فالملك الاشرف دفع حليفه امير الموصل ذا الامكانيات المحدودة لمقاومة الخطر الصليبي الذي كانت تتعرض له سوريا على القدر الذي كانت تسمح به مواقفه الدولية ففي ٦١٥هـ/١٢١٨م ارسل بدرالدين لؤلؤ نجدات عسكرية بقيادة ابنه الامير ركن‌الدين اسماعيل ، ضد ما اسماه ابن الاثير باجتماع الفرنج في مصر[2] لكي يسهل على الملك الاشرف دخول بلاد الفرنج (اي الدويلات الصليبية التي اقيمت في سوريا) التي بساحل الشام فيعود اهل دمياط الى بلادهم[3] ، وبعد

---

(١) ن٠م٠

(٢) ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٠ ٠

(٣) ن٠م٠

مرور سنة على مرابطته في تلك الديار استدعاه بدرالدين لؤلؤ الى الموصل وذلك على أثر تحركات مظفرالدين كوكبري التي كانت موجهة ضده في هذه الفترة(١) • وذكر الذهبي ايضا انه في ٦١٦هـ/١٢١٩م اشترك مقدم نجدة الموصل لمحاربة الصليبيين في دمياط مع عسكره(٢) وكان ذلك على الارجح مجاراة من بدالدين لؤلؤ لملوك الدول الاسلامية وامرائها الذين تظاهروا بالقضاء على الصليبيين • وفي ٦١٧هـ/١٢٢٠م دعى الخليفة الناصر لدين الله جميع الاطراف للصلح وتكوين حلف عسكري ضد الصليبيين ، وهو ما كان يسعى اليه الملك الاشرف غير ان شيئاً من ذلك لم يحدث ، لأن مظفرالدين كوكبرى لم يكن يبدو متساهلا على الاقل مع بدرالدين لؤلؤ وخاصة بعد ان وصل الملك الاشرف الى الموصل مكتسحا سنجار بناء على العهود التي التزم بايفائها حول الدفاع المشترك مع بدرالدين لؤلؤ حيث استقبله الأخير استقبالا مشهودا لذلك قرر الملك الاشرف تصفية الحساب مع اعداء حليفه ، فجهز عسكرا كثيفا وسار به وأحتل قلاع العقر والشوش وسلمها الى بدرالدين لؤلؤ وترك قلعة العمادية ليحكمها عمادالدين زنكي(٣) وقد أسر لاخير واحتفظ به رهينة لدى الملك الاشرف حتى يستجيب مظفرالدين كوكبري لمطالبيه في الكف عن التحرشات بالموصل واعمالها ، ولم تقدم المصادر المتوفرة معلومات تدل على مدى استجابة صاحب اربل لهذا الاجراء •

وكان بدرالدين لؤلؤ يستشير الملك الاشرف في اي عمل عسكري

---

(١) ن٠م٠

(٢) تاريخ الاسلام • (مخطوطة مصورة) الورقة ١٢٨ •

(٣) ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٢ •

يقوم به ، وذلك عملا بما يتضمنه التحالف بينهما ، ففي ٦١٨هـ/١٢٢١م طلب سكان قلعتي الهكارية والزوران الكرديتين من بدرالدين لؤلؤ ان يضمها اليه فيخلصهم من عمادالدين زنكي الذي كان يثقلهم بفرض الضرائب ، فكتب صاحب الموصل يستأذن الملك الأشرف في ذ لك فلم يأذن له غير ان الحاح اهل هاتين القلعتين على بدرالدين لؤلؤ في ان يعمل على انقاذهم دعاه الى تكرير طلبه السابق الى حليفه ولكن وفق الشروط التي وضعها اصاحب الموصل لترضيته ، فقد منحه حكم قلعة جديدة ونصيبين وولاية بين النهرين[1] (اي بين دجلة والفرات) ٠

ويفهم مما اورده هذا المؤرخ ان هناك ناحيتين في سياسة الملك الاشرف تجاه حليفه بدرالدين لؤلؤ الاولى هي انه كان يطمع في الحصول على المزيد من الممتلكات والموارد المالية ، اما الثانية فهي جعل صاحب الموصل يدين بالتبعية العسكرية والسياسية له حيث يمضي المصدر السابق مشيرا الى ذلك بان الملك الأشرف طلب الى حليفه ان يرسل جيشا لمحاصرة خلاط[2] والاستيلاء عليها في ٦٢١هـ / ١٢٢٣م في الوقت الذي كان فيه مظفرالدين كوكبرى قد كون حلفا مع شهاب الدين غازي صاحب خلاط والملك المعظم عيسى صاحب دمشق لغرض فتح الموصل والقضاء على بدرالدين لؤلؤ ، فراح الأخير يقترح على حليفه سحب الجيوش لحماية الموصل من الأخطار التي طرقت الابواب ولكن الملك الاشرف لم يكن يستمع اليه حينذاك مع ان جيش الموصل قام بدوره في الاستيلاء على خلاط فأن صاحب الموصل قد احكم خطة دفاعه عن مدينته فاستخدم الجند على الاسوار

---

(١) ن٠م٠ ص١٤٣ ٠

(٢) وهي بلدة عامرة مشهورة تقع على بحيرة وان في اعالي نهرى دجلة والفرات (ياقوت معجم البلدان) جـ٢ ص٤٥٧ ٠

« واظهر آلة الحصار واخرج الذخائر »[1] ، يضاف الى ان الحلف الذي سعى الى اخراجه مظفرالدين كوكبرى قد تفكك بخروج الملك المعظم عيسى صاحب دمشق منه بتأثير اخيه صاحب مصر الذي هدده بضم دمشق الى سلطته اذا ما حاول اسناد مظفرالدين كوكبرى • من ذلك يبدو ان الملك الاشرف كان يريد الحصول على خلاط لأهميتها له مهما كلفه هذا الأمر من مصاعب حتى ولو تعرض حليفه بسببها الى الخطر •

ولم تذكر المصادر فيما اذا كان هناك تحالف بين بدالدين لؤلؤ وسلاجقة آسيا الصغرى ولكن لدينا ما يشير الى ان صاحب الموصل حذر الملك الكامل في مصر سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م من مغبة عمله في أستعادة مقاطعتي حران والرها القريبتين من آسيا الصغرى والاستيلاء عليها بالقوة وتجريدها من صاحب الروم[2] لأن ذلك كما افاد بدرالدين لؤلؤ يعرض الجبهة الداخلية للعالم الاسلامي للمخطر امام زحف المغول الذين « قطعوا دجلة في مائة طلب ووصلوا الى سنجار »[3] •

ولا نعلم اذا كان بدرالدين لؤلؤ على وفاق مع السلاجقة الروم فيقف الى جانبهم في نزاعهم مع الملك الكامل في مصر ؟ ام انه كان حقا ضد المغول في هذه الفرة[4] ؟ وعلى أية حال فأن ابن كثير قد أوضح هذا الالتباس الذي اورده الذهبي فقال ، ان الملك الكامل في مصر واخاه الملك الاشرف حليف بدرالدين لؤلؤ قد قطعا بجيوشهما الجزيرة واستردا من جيش الروم القلاع التي استولى عليها ، والمعروف ان سلاجقة الروم كانوا يدينون

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ١٢ ص١٧٤ •

(٢) الذهبي ، تاريخ الاسلام (مخطوطة مصورة) الورقة ١٩٠ •

(٣) ن•م• الورقة ١٩٠ •

(٤) انظر الفصل السادس •

بالطاعة للمغول في هذه الفترة وكان بدرالدين لؤلؤ قد وقف على اخبار فتوحات الجيوش المغولية ونواياها وتحركاتها في المنطقة ، فلا ريب في انه كان يريد بهذا العمل خدمة حليفه الملك الاشرف في ان لا يؤلب عليه المغول ويبعد خطرهم من بلاده ، ولذلك جاء كتابه الذي كان يقول فيه « بأن التتار اقبلوا بمائة طلب ، كل طلب بخمس مائة فارس » ، مما جعل الملك الاشرف واخاه الملك الكامل صاحب مصر يعودان الى دمشق سريعا ويعود جيش الروم الى بلاده أيضا[1] .

ومن المحتمل جداً ان بدرالدين لؤلؤ قد استهدف من وراء هذا تخويف السلاجقة ووقف اطماعهم التوسعية ثم سحب جيوشهم من الممتلكات التي احتلتها ، وهذا ما كان يؤمله في تخفيف الضغط على حلفائه ومنهم الملك الاشرف ، وقد نجح في تحقيق ذلك حيث انسحبت قوات السلاجقة من معظم المدن والقلاع التي كانت قد استولت عليها .

لقد قام الخليفة المستنصر بالله العباسي بمحاولة عقد معاهدة صلح وتحالف وعدم اعتداء بين بدرالدين لؤلؤ وسلطان الدولة الخوارزمية جلال‌الدين منكبرتي ٦١٧ - ٦٢٨هـ/١٢٢٠م - ١٢٣٠م ، فيروى المنشىء النسوي وزير جلال‌الدين منكبرتي وكاتب انشائه بأن مكاتبات السلطان الى بدرالدين لؤلؤ « ليس مما جرت به العادة من خادمه أو محبه أو اخيه » وانما كانت علاقته تدل عليها تواقيعه « النصر من الله وحده »[2] .

ويبدو ان السلطان كان يفعل ذلك للأستهزاء من بدرالدين لؤلؤ وتخويفه ، ومن المحتمل جدا ان الاخير هو الذي التمس الخليفة لعقد مثل هذا التحالف مع السلطان ، ولذلك رجاه الخليفة ان يبادر لانشاء العلاقات

---

(١) البداية والنهاية ج١٣ ص١٤٤ .

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص٣٨٥ .

الحسنة مع صاحب الموصل وحثه في ان يجعله من اولياء الديوان واتباعه واشياعه[1] .

ولعل موقف بدرالدين لؤلؤ من السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي هو الموقف نفسه الذي كان يقفه من ابيه علاء الدين محمد بن تكش ، فقد انضم الى خصومه وفي طليعتهم الخليفة الناصر لدين الله ، حيث جاء ما يشير الى ذلك في رسالته التي وجهها للخليفة آنذاك وهو يحرضه ضد مظفرالدين كوكبرى فيتهمه بالاتفاق مع عدوه السلطان الخوارزمي فيقول « وانهض اليها ـ اي الى الدولة العباسية ـ عظيم خوارزم من خوارزمه »[2] ولذا لم تلق دعوة الخليفة المستنصر بالله في التوفيق بينهما أية استجابة من السلطان الخوارزمي الذي راح يثأر لاعداء أبيه ، فأشار ابن الاثير الى ان اتباع السلطان جلال الدين منكبرتي شنوا حملة على الموصل والديار القريبة منها في ٦٢٨هـ/١٢٣٠م[3] . ومع ان المصادر المتوفرة لدينا لا تشير الى من اخذ يدفع بهؤلاء في حملاتهم المتكررة على الموصل واعمالها ، فأن استخدام هؤلاء من قبل بعض حكام الاطراف وامرائها المعادين لبدرالدين لؤلؤ مثل مظفر الدين كوكبرى وعمادالدين زنكي كان يجرى وفق اتفاقات كانوا يضعونها معهم في الاستيلاء على الموصل والقضاء على اميرها . ويضاف الى ذلك ان الخوارزميين انما استهدفوا امارة الموصل نظرا لما كانت تتمتع به هذه الامارة من ممتلكات وموارد مالية وثروات واسعة ولكن قوة بدرالدين لؤلؤ الناتجة عن تحالفه وتأثير حلفائه وقوتهم وخاصة الملك الاشرف حالت دون تحقيق اهدافهم ،

---

(١) ن٠م٠ ص٣٠٤ .

(٢) رسائل ابن الاثير ، ص٧١ .

(٣) الكامل جـ١٢ ص٢٠٦ .

حيث باءت كل محاولاتهم بالاخفاق وخسر جلال الدين منكبرتي عساكره بتفرقها في ارجاء البلاد الاسلامية[1] .

وبعد وفاة الملك الاشرف في ٦٣٥هـ/١٢٣٧م نشط الخوارزميون في جمع شتات جيوشهم المبعثرة واغاروا على دمشق التي كان قد وليها الملك الصالح ايوب بن الملك الكامل صاحب مصر ولما دخلوها هرب الملك الصالح الى سنجار[2] ومن الجدير بالذكر ان بدرالدين لؤلؤ لم يكن يعترف بأحقية الملك الصالح في تولي سلطة دمشق بعد الملك الاشرف لانه كما نسب اليه سبط بن الجوزي كان متكبرا ومتجبرا وظالما[3] ، لذلك كان صاحب الموصل في موقف مشجع للخوارزميين في القضاء عليه . ولكنه بنفس الوقت كان لا يحبذ ان يتمركز هؤلاء في سنجار ليكونوا بعد ذلك مبعث خطر دائم ومهدد له ، مما جعله ينشط في محاصرة سنجار بعد عجز الخوارزميين عن الاستيلاء عليها ، ولما أيقن الملك الصالح ان كلا الطرفين من اعدائه راح يفضل الخوارزميين وينحاز اليهم ، حيث طلب مساعدتهم تنازلا منه ووفقا لشروطهم التي وضعوها ، فهبوا لمساعدته وحاربوا بدرالدين لؤلؤ فكبدوه خسائر جسيمة اذ نهبوا امواله وخزائنه وخيامه وجميع ما كان معه في عسكره[4] .

وبدأ الخوارزميون يثيرون الفوضى والحروب في المنطقة بعد انتصارهم على بدرالدين لؤلؤ مما جعله ينتهز الفرص المناسبة للأيقاع بهم ، ففي ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م عقد حلفا عسكريا مع الأمير امين الدين لؤلؤ

---

(١) ن٠م ٠

(٢) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٧٠٤ ٠

(٣) ن٠م٠ ص٧٠٤ ٠

(٤) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٧٠٤ ٠

الحلبي صاحب حلب ومحمد اسد الدين شيركوه صاحب حمص للوقوف ضد هجماتهم المتكررة وخاصة على حلب ، وقد التقت جيوش هؤلاء الحلفاء في معركة شديدة هزم على اثرها الخوارزميون وغُنِمت نساؤهم واولادهم واثقالهم[1] .

ويبدو ان بدرالدين لؤلؤ كان يخشى استيلاء الخوارزميين على حلب لأن ذلك قد يؤدى الى سهولة انتشارهم في الجزيرة وفتح الطريق امامهم لتهديد الموصل ، ولكي يضمن سلامة خطوط دفاع لامارته على الاقل عمد الى الدخول في حلف مع عدوه الملك الصالح ايوب بن الملك الكامل صاحب دمشق[2] للوقوف بوجه الخوارزميين وتحرشاتهم المستمرة[3] .

---

(١) الحوادث الجامعة ص١٥١ .

(٢) المقريزي ، السلوك جـ١ قسم٢ ص٢٧٩ ، ويورد ان بدرالدين لؤلؤ ارسل اليه نجدة عسكرية ، ولكن لم يوضح السبب الذي دفع صاحب الموصل لانجاده ، ولكن من المعتقد بانها تهدف الى عدم تمكين الخوارزميين من الاستيلاء على حلب للحيلولة دون دخلولهم دمشق ومن ثم انتشارهم الى مناطق الجزيرة والموصل .

(٣) الذهبي ، تاريخ الاسلام (مخطوطة مصورة) الورقة ١٣٥ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥ ، دول الاسلام ، جـ٢ ص١٤٠ ، ١٠٩ ، ابن كثير ، البداية جـ١٣ ص١٠٥ ، ابن تغرى بردى النجوم جـ٦ ص٢٩٨ ، المقريزي ، السلوك جـ١ قسم٢ ص٢٧٩ ، ٣٠٢ .

الفصل الثالث

نظم الجيش ووظائفه ـ التوسع الخارجي

(الحملات العسكرية)

الفصل الثالث

نظم الجيش ووظائفه ـ التوسع العسكري

(الحملات العسكرية)

(الجيش) :

نشأت في منطقة الجزيرة والشام خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) امارات محلية تركزت حول الموصل ودمشق وحلب والقدس ، وراحت تتنافس فيما بينها وتعمل على توسيع نفوذها وبسط سيطرتها على حساب الامارات الضعيفة الاخرى • وكانت امارة الموصل احدى هذه الامارات التي اتيح لها ان تلعب دورا بارزا في الحياة السياسية والعسكرية ، فقد بلغت اوج نشاطها في هذا المضمار ايام بدرالدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح ركن‌الدين اسماعيل وهي الفترة الواقعة بين ٦٠٧ ـ ٦٦٠هـ/١٢١٠ ـ ١٢٦١م ، حيث كانت تتعرض للغزو المستمر ، مما جعل اشتراكها في الحروب الناشبة والاحلاف ومواصلة الحملات العسكرية امرا لابد منه لتحقيق هدفين ، الأول ، الدفاع والحماية لحدودها من اية اخطار قد تتعرض لها ، والثاني توسيع رقعتها الى ما وراء حدودها ، والواقع انها لم تستطع القيام بذلك الا بعد ان اعدت جيشا يمكنها الاحتفاظ به على أهبة الاستعداد •

ويمكن القول انه بهذا الجيش المنظم[١] استطاع بدرالدين لؤلؤ ان يحقق النجاح في بلوغ اهدافه الى ـ حد ما ـ بالعمل على احباط عدة محاولات استهدفت الاستيلاء على امارته ، هذا فضلا عن اخضاعه عدة

---

(١) ردد ابن الأثير عبارة « العسكر البدري » وكانت تعني مجموع جيش بدرالدين لؤلؤ بعناصره وفئاته الرجالة والخيالة (الكامل جـ١٢ ص١٣٨ ، ١٣٩) •

قلاع وحصون ومدن وممتلكات اليه •

لقد قدمت المصادر معلومات قليلة عن جيش بدرالدين لؤلؤ وخاصة فيما يتعلق بوظائفه وقيادته وفرق الجند فيه وطوائفهم وعناصرهم ورواتبهم واعطياتهم وامتعتهم وملابسهم او عن استدعاء القوات العسكرية وتسييرها والاشتراك في الحروب واساليب القتال ثم عن تسليح الجيش وانواع الاسلحة واستخدامها ومعاملة الاسرى أو ما يتعلق باحوالهم ، ان دراسة ذلك يجعل بالأمكان رسم صورة متماسكة عن طبيعة الجيش وتنظيمه وتكوينه وتقدير مدى اهميته •

تنظيم الجيش :

كانت معظم الدول الاسلامية في هذه الفترة تدرك اهمية تنظيم الجيوش واعدادها لذا اتخذت الدواوين ليسجل فيها اسماء الجند والأمراء وعددهم وطوائفهم وعناصرهم ورتبهم واصنافهم واعطياتهم ورواتبهم ، غير انه لم يرد في المصادر المتوفرة لدينا ما يشير الى وجود « ديوان الجيش » في امارة الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ وذلك بالرغم من ان هذا الديوان كان قائما في عهد الملوك الاتابكة حيث كان يشرف على شؤون الجند واحوالهم وتنظيمهم وخاصة في عهد عمادالدين زنكي[1] مؤسس الدولة الاتابكية في الموصل •

بيد ان « ديوان الموصل » كان يُعنى بالتنظيم الأداري المدني ويتولى صلاحيات « ديوان الجيش » حتى انه لم يعد في الامكان التفريق بسهولة بين الادارة المدنية والأدارة العسكرية ذلك لأن الدور الذي كان يقوم به « ديوان الموصل » في التنظيمات العسكرية لم يتضح تماما فقد سجلت اسماء

---

(١) انظر حول نظم جيش الاتابكة ، عمادالدين خليل ، عمادالدين زنكي (اطروحة ماجستير ص١٩٢ ـ ١٩٥) •

الجند واحوالهم الى جانب اسماء الموظفين المدنيين ، كما ان غالبية الاداريين في الديوان كانوا يخولون سلطات عسكرية الى جانب سلطاتهم المدنية •

ان معلوماتنا عن تنظيم جيش بدرالدين لؤلؤ قليلة اذا قورنت بما نعرفه عن تنظيم الجيوش الايوبية والمملوكية[١] القائمة على التقسيم العشري، حيث اطلق على اكبر الامراء المشرفين على الجند اسم « مقدم الف » ويليه « امير اربعين » ثم امراء « العشرات » « فالخمسات » الذين كانوا يعتبرون من أكابر الاجناد[٢] • وقد اتبع اتابكة الموصل هذا التنظيم وادخلوه في جيوشهم بعد التعديل الذي كان قد اجراه السلاجقة عليه •

ومن المرجح ان بدرالدين لؤلؤ اشاع هذه التنظيمات في جيشه باعتبار انها استمرار لتنظيم الاتابكة من جهة ، وانه لم يأخذ بغيرها أو يستبدلها من جهة أخرى ، فقد اشار ابن الأثير الى القاعدة المتبعة في ابقاء الجند على ما هم عليه وتحليفهم[٣] غير ان اهم تعديل اجراه بدرالدين لؤلؤ على جيشه كان في ٦١٥هـ/١٢١٨م[٤] • حيث ادرك ان الظروف السياسية تفرض عليه ضرورة توسعية وتقويته وذلك للوقوف بوجه ما كان يتعرض له من تهديدات بالاستيلاء والفتح أو لمواجهة اية احتمالات أخرى أو لتنفيذ

---

(١) محمد مصطفى زيادة ، حاشية السلوك للمقريزي ص١٢٢/ رقم (٢) •

(٢) القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٤ ص١٤ ـ ٢٨ ، ٥٠ ، ٥١ المقريزي ، الخطط جـ٣ ص٢١٥ ـ ٢١٩ ، حاشية السلوك ، محمد مصطفى زيادة ص٢٣٩ / رقم (١) انظر الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية (مكتبة النهضة المصرية) ص١٤٥ ـ ١٤٨ ، الدكتور علي ابراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية ص٣٤٥ ـ ٣٥٠ •

(٣) الكامل جـ١٢ ص١٢٢ ، ١٣٧ ـ ١٣٨ •

(٤) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٣٨ •

سياسته التوسعية « فأوجد امراء جدداً برتب مختلفة ثم استكثر من الجند »[1] وجعل لكل امير من هؤلاء الأمراء عددا من الجند لا يمكنهم الانتقال من خدمته الا بأذن بدرالدين لؤلؤ نفسه وبعد صدور أمر خاص منه أو من نائبه ، وذلك على غرار ما كان سائدا في جيش المماليك[2] مما جعل الجند يتبعون امراءهم وقوادهم وينفذون كل ما يأمرونهم به •

ويرجع اهتمام صاحب الموصل بتنظيم الجيش واعداده اعدادا قويا لمواجهة الظروف الى انه كان قد نشأ نشأة عسكرية ، حيث اتصف بالشجاعة والبسالة ، فاطلق عليه لقب « اسفهسلار »[3] اي مقدم العسكر[4] منذ عهد الاتابكة الأمر الذي جعله يقدر اهمية الجيش وخطورته في تنفيذ سياسته الخارجية والتي من اهم بنودها المحافظة على الامارة من العدوان والغزو ، فضلا عن انه كان يساير بذلك الامارات الاخرى التي اتجه فيها الاهتمام الى تنظيم الجيوش واعداده •

وظائف[5] الجيش :

لقد عرفت في الجيش عدة وظائف عسكرية كان لها دور هام في

---

(١) ن•م• ص١٣٨ •

(٢) انظر : David Ayalon, Studies on the Structure of the Mamiuk Army في مجلة Bulletin of the School of Oriental And African Studies vol. xv. P. 203—227 xvi P. 57—89.

وانظر الدكتور علي ابراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية ص٣٤١ والدكتور سعيد ، عبدالفتاح عاشور مصر في عصر دولة المماليك البحرية ثم انظر الفصل الاول ص١٦ •

(٣) ابن الأثير الباهر ص٢٠٤ ،

(٤) القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٤٣٨ وص١٣٨ ــ ١٥٢ •

(٥) كانت الوظائف في هذه الفترة تقسم الى قسمين ، وظائف الاقلام التي تجمع النظم الادارية المدنية والدينية ووظائف السيوف التي تشتمل على الوظائف العسكرية • انظر القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٤٨٦ ، ٤٨٩ •

قيادته وتنظيمه واهمها هي وظيفة (القائد) حيث كانت له صلاحيات واسعة فيما يتعلق بالأمور العسكرية مثل رسم الخطط للمعارك وهي تتمثل في الاوامر التي كان يصدرها بمباشرة الزحف او البدء في القتال أو تطويق جيش الاعداء ، كما تتضمن هذه الخطط ايضا توزيع الجند على الامراء ثم السير بهم نحو جيش العدو وملاقاته في اقرب طريق موصل أو ضرب الحصار حوله او تجنب الأصطدام به ومحاشاة اثارته أو غير ذلك مما جرت عليه الجيوش حينذاك • وكان بدرالدين لؤلؤ يقوم بهذه المهمة بنفسه وخاصة في اوائل عهده ، ولكنه اخذ يعهد بها الى شخص آخر اطلق عليه اسم « قائد بدرالدين لؤلؤ »[١] ويقابل في عصرنا من ندعوه الآن (القائد العام للقوات المسلحة) وبالاضافة الى ذلك كان القائد يقوم في الاحوال الاعتيادية بادارة شؤون الجيش المختلفة مثل الاشراف على توزيع رواتب واعطيات وغنائم الجند والامراء[٢] اذ كان هناك عدد من الموظفين والجباة يجمعون الاموال من جهاتها ومصادرها المختلفة ويقسمونها بحضور القائد كما يتولى ايضا أمر ترقية الجند الى الرتب التي كانوا يستحقونها والامراء الى المناصب العسكرية العالية •

ويبدو ان اصل وظيفة القائد في جيش بدرالدين لؤلؤ هو رئيس أو مقدم جيش الاتابكة الذي اقتصرت مهمته آنذاك على الأمور العسكرية التي لم تكن تتعدى غير تقدم صفوف العساكر اثناء السير للمعارك • ولكن طرأ بعض التطور على طبيعة هذه الوظيفة بعد ذلك وخاصة بعد ان اصبح

---

(١) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة في امراء الشام والجزيرة (مخطوطة ـ قسم الجزيرة) الورقة ٤٠أ ، ٥٧ب ، ١١٨ب •

(٢) يطلق على الرواتب التي كانت تعطى للجند اسم « الجامكيات » وهي رواتب نقدية ، القلقشندي ، صبح الاعشى جـ٣ ص٤٥٧ ، انظر ايضا محمد مصطفى زيادة حاشية السلوك للمقريزي جـ١ ص٥٢ / رقم ٢ •

بدرالدين لؤلؤ مدبرا للأتابكة المتأخرين نافذ الكلمة واسفهسلاراً للجيش فضمت اليه اختصاصات تتعلق بادارة الجيش وتنظيمه ، وحتى اذا انتهى عهد الاتابكة كان يتحتم على بدرالدين لؤلؤ تولى سلطات مدنية واسعة ، ولذا فلابد له في هذه الحالة ان يعهد الى قواده بأختصاصات تشبه لما كان « لمقدمي الالوف » في جيش المماليك[(١)] •

ومن المحتمل جداً ان وظيفة القائد في جيش بدرالدين لؤلؤ كانت مستعرض الجيوش أو عميدها[(٢)] في الدول الاسلامية آنذاك ، حيث تكون مهمته في هذه الحالة قيادة العساكر واستعراضها •

وقد ذكرت المصادر ان من قواد الجيش « أمين الدين لؤلؤ »[(٣)] الذي كان له دور كبير في القيادة وكانت اشهر حملاته هي التي قادها على قلعة العمادية في ٦١٥هـ/١٢١٨م وشمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي[(٤)] الذي كان من كبار القادة العسكريين في الجيش وكان له تأثير في السياسة التي اتبعها بدرالدين لؤلؤ تجاه المغول فقد ايده في بذل الطاعة لهم ، ولذلك تزعم حركة ضد الملك الصالح ركن الدين اسماعيل بن بدرالدين لؤلؤ

---

(١) القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٤ ص١٤ ـ ٢٨ ، ٥٠ ـ ٥١ ، المقريزي ، الخطط جـ٢ ص٢١٥ ـ ٢١٩ ، محمد مصطفى زيادة ، حاشية السلوك للمقريزي جـ١ ص٢٣٩ / رقم ١ • انظر ايضا علي ابراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية ، ص٣٤٩ •

(٢) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم٢ ص٧٣٩ •

(٣) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٨٣ •

(٤) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠ ص١٤٠ ، تاريخ مختصر الدول ص٢٨٢ • وينسب الى باعشيقا من قرى الموصل ، ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص٤٧٢ (ط • ليبسك) •

الذي خلف ابيه في ٦٥٧هـ/١٢٥٨م عندما راح هذا الملك يقف بوجه المغول مخالفا بذلك سياسة ابيه ، ففي ٦٦٠هـ/١٢٦١م قام شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي بمحاولة الوصول الى هولاكو لاطلاعه على نوايا الملك الصالح في الخروج على المغول[١] • ومن الجدير بالذكر ان هولاكو اقر حكم امارة الموصل الى هذا القائد بعد قضائه على الملك الصالح في هذه السنة •

وكان عزالدين ابو المظفر بن عبدالله المعروف بالطويل[٢] قد احتل مركزا مهما في قيادة جيش بدرالدين لؤلؤ[٣] حيث كان من اشهر القادة الذين اعتمد عليهم ، ولذلك ففي السنوات الاخيرة لعهد بدرالدين لؤلؤ ولي العمادية[٤] حيث مكث فيها دزدارا حتى الغزو المغولي لها في ٦٦٠هـ / ١٢٦١م[٥] واشير كذلك الى ان علم الدين سنجر[٦] كان من ابرز قادة جيش بدرالدين لؤلؤ ايضاً ، وقد اسندت اليه قيادة العسكر في كثير من الحملات العسكرية وخاصة في السنين الاخيرة لعهده[٧] ، ولكن يبدو انه لم يعد

---

(١) ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ص٢٨٢ ـ ٢٨٣ •

(٢) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم١ ص٣٨ •

(٣) ابن العبرى ، تاريخ الدول السرياني . المصدر المار ذكره ص١٤٢ •

(٤) الحوادث الجامعة ص٤٣١ •

(٥) تاريخ الدول السرياني ص١٤٢ • ودزدار لفظة فارسية معناها « صاحب اللصوص » اي الشرطة وكانت معروفة في الموصل في عهد الاتابك عمادالدين زنكي ومن هؤلاء « فخرالدين ابو الفرج عبدالمسيح بن عبدالله الاتابكي الموصلي (دزدار الموصل) وقد عمر قلعة الموصل وذهب مع السلطان نورالدين زنكي الى بلاد الشام سنة ٥٦٦هـ » •

(٦) ن•م• ص١٤٠ ، تاريخ مختصر الدول ص٢٨٣ •

(٧) ن•م• نفس الصفحات •

كذلك لاختلافه مع صاحب الموصل حول أمور لم توضحها المصادر وقد اختاره هولاكو ليكون واليا على ميافارقين[1] • ومن الجدير بالأشارة الى ان هذا القائد قام بدور كبير في محاولات الاستيلاء على مدينة الموصل أبان الغزو المغولي عليها ، غير انه أخفق في ذلك حيث قضى الجنود المغولية على حركته بعد ان تأكد لديهم محاولته قتل الشحنة المغولي للمدينة[2] •

اما علم الدين قيصر الموصلي[3] فقد ذكر انه من قواد الجيش ايضا ، وقد هزم في محاولته الاستيلاء على نصيبين سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م[4] وفي ٦٦٠هـ/١٢٦١م رتبه المغول واليا على نصيبين[5] ، مما يدل على انه كان خارجا على الملك الصالح ركن الدين اسماعيل وذلك لوقوف الاخير ضد المغول ، ويذكر ابن شداد قوادا في جيش بدرالدين لؤلؤ غير هؤلاء مثل « عمادالدين الهكارى » و « حسام الدين يوسف بن رش »[6] وهما كرديان ولكن لم تقدم المصادر اية معلومات مفصلة عنهم •

واشارت المصادر الى وظيفة عسكرية اخرى في جيش بدرالدين لؤلؤ هي المقدم ، فذكر الذهبي ان مقدم عسكر الموصل اشترك سنة ٦١٦هـ /

---

(١) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة في امراء الشام والجزيرة (مخطوطة ـ قسم الجزيرة) الورقة ١٨ اب وذكر ياقوت فيما يتعلق بيامافارقين فقال بانها اشهر مدينة حصينة في ديار بكر وهي بالقرب من آمد وقد افتتحت مرارا (معجم البلدان جـ٤ ص٧٠٣ ـ ٧٠٨) •

(٢) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني ص١٤٠ •

(٣) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة (المصدر المار ذكره) الورقة ٤٠ أ ، ٥٧ ب •

(٤) ن•م• الورقة ٤١ أ ـ ٤١ ب •

(٥) ن•م• الورقة ٥٧ ب •

(٦) ن•م• الورقة ١١٩ •

١٢١٩م مع مقدمي الجيوش الأسلامية الأخرى لحرب الصليبيين[١] كما اشار ابن العبري الى ان بدرالدين لؤلؤ ارسل الف فارس لنجدة هولاكو في ٦٥٦هـ/١٢٥٨م للأشتراك في احتلال بغداد ثم جعل المقدم عليهم ابنه الأمير ركن الدين اسماعيل[٢] •

ويبدو أن المقدم يلي القائد في الرتبة ، حيث كان يعهد اليه تنفيذ كل ما يرسمه القائد من خطط عسكرية أو ما يصدر من اوامر كالاشتراك في العمليات العسكرية اشتراكا فعليا وذلك بتقدمه صفوف العساكر لغرض الأشتباك أو ملاقاة جيش العدو ثم المناداة باسم بدرالدين لؤلؤ وشعاره[٣] ، ويقابل هذا المنصب الآن (قائد قوة الميدان) في الجيوش الحديثة •

ولعل وظيفة المقدم في هذا الجيش كانت تعني ايضا قائد وحدة أو قطعة فيه أو رئيسا لاحدى فرقه فقد اشار المؤرخ ابن الأثير الى ان بدرالدين

---

(١) تاريخ الاسلام ، الورقة ١٢٨ ، دول الاسلام جـ٢ ص١١٣ : ١١٤ ، ١١٥ •

(٢) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠ لسنة ١٩٥٦) ص١٣٥ ، تاريخ مختصر الدول ص٢٧٦ ، الحوادث الجامعة ص١٢١ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٨٧ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام (مخطوطة مصورة) الورقة ٢٤٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٠٠ ، وانظر ايضا رشيد الدين فضل‌الله حيث اشار الى ان هولاكو ارسل‌الرسل الى‌بدرالدين لؤلؤ يقول‌له ان سنك قد جاوزت‌التسعين ولذا اعفيناك من السير معنا ، لكن عليك ان تبعث بابنك الملك الصالح مع الجيوش المغولية لفتح ديار الشام ومصر فسيّر بدرالدين لؤلؤ ابنه حسب الاوامر الصادرة اليه (جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٠٥) ، كما نوه هذا المؤرخ ايضا الى وجود الملك الصلح بن بدالدين لؤلؤ في بغداد عندما استباحتها الجنود المغولية سنة ٦٥٦هـ ن٠م٠ ص٢٩٠ •

(٣) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٨٤ •

لؤلؤ قاد عسكره سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م لفتح العمادية ، ثم ارسل قطعة من الجيش يقودها احد المقدمين لضرب الحصار حول قلعة هرور التي كانت من امنع الحصون مما اضطر اهلها الى التسليم ثم عاد العسكر الى العمادية للألتحاق بالجيش المرابط هناك[١] .

ويمكن القول بأن وظيفة المقدم كانت بمثابة امير المئين في جيش المماليك[٢] غير ان الفرق بينهما ، ان المقدم في جيش الموصل كان يخضع له من الجند اضعاف ما يخضع منهم للثاني[٣] .

وقد ذكر ابن شداد ان « مجاهد الدين قايماز » كان من اشهر مقدمي عسكر الموصل سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م[٤] .

وفيما عدا القائد والمقدم برزت وظيفة اخرى في جيش بدرالدين لؤلؤ هي (الشحنة)[١] والمعروف ان مفهوم « الشحنة » في الموصل ايام الاتابكة وفي البلاد الاسلامية الأخرى كان يقوم على المحافظة على الأمن الداخلي وكان يسمى في اغلب الاحيان « صاحب الشرطة »[٦] . غير ان هذه الوظيفة لم تعد كذلك في عهد بدرالدين لؤلؤ فألقى ابن الأثير ضوءاً مفيداً على طبيعتها فقال ، ان بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل ارسل « شحنة » الى اهل

---

(١) ابن الأثير ، الكامل جـ٢١ ص١٨٣ .

(٢) القلقشندى ، صبح جـ٤ ص١٤ ـ ٢٨ ، المقريزي ، الخطط جـ٢ ص٢١٥ ـ ٢١٩ . انظر ايضا :
D. Ayalon, Studies on the Structure of the Mamluk Army, Vol. xv. P. 203—227.

(٣) ويقود في جيش المماليك مائة جندي فقط ، انظر القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٤٨٥ ، المقريزي ، خطط جـ١ ص٤٠١ ، ٤٠٣ .

(٤) الاعلاق الخطيرة (مخطوطة ـ قسم الجزيرة) الورقة ٦٢ أ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤١ ، ١٧٦ .

(٦) انظر عن معنى الشحنة ص٤٧ من الفصل الثاني .

« البوازيج »[1] ، وهي احدى المقاطعات التي تم استيلاء الجيش عليها ، حيث قام بحمايتها من تهديدات الخوارزميين واعتداءاتهم التكررة عليها[2] كما اشار ايضا الى ان شحنة نصيبين التابعة لامارة الموصل أمر جيشه المرابط هناك بالتصدى لأحمد بن علي بن المشطوب وهو احد امراء الملك الاشرف موسى المتمردين عليه ليمنعه من التوغل والاستيلاء على نصيبين[3].

ان قيام « الشحنة » بحماية البوازيج ونصيبين يوضح اختصاصاته التي كانت تقتصر على الدفاع عن البلاد المفتوحة ضد الاخطار الخارجيه التي كانت تتعرض لها ، ويحدد صلاحياته التي لا تتعدى غير اصدار الأوامر الى الجند بالمرابطة على الاسوار والحدود ومنع تسرب العدو الى الداخل ، ولم يرد ما يشير الى وجود سلطات ادارية للشحنة في تلك البلاد ، ولكن لابد من الاشارة الى النفوذ الواسع الذي كان يتمتع به هناك بحيث انها كانت تتطلب منه في اغلب الاحيان ان يتولى الاقامة فيها مع جيشه مدة اطول وذلك لتضمن الحماية لنفسها خلال تلك المدة[4].

والظاهر ان ابقاء بدرالدين لؤلؤ لقوات الشحنة في المناطق التابعة للموصل رهين بانحسار الاخطار المهددة (بالكسر) لها حيث تتلقى بعد ذلك الاوامر التي تقضي بالأنسحاب والعودة الى الموصل فتنتهي عندئذ مهمة الشحنة .

وترد كذلك عند المؤرخين كلمات « الحفظة »[5] أو « المستحفظين »[6]

---

(١) وهي بلد تقع بالقرب من تكريت على مصب الزاب الاسفل في نهر دجلة ، ومن اعمال الموصل انظر (ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص٧٥٠).

(٢) الكامل جـ١٢ ص١٧٦ .

(٣) ن٠م٠ ص١٤١ .

(٤) الكامل جـ١٢ ص١٧٦ .

(٥) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني ص١٣٣ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٣٨ .

حيث كان الملوك الاتابكة قد اتخذوهم لحكم الولايات التابعة لهم فأودعوهم سلطات عسكرية شبيهة بما كانت لهم ايام بدرالدين لؤلؤ ، مما يدل على أن هذه الوظيفة هي استمرار لما كان عليه العهد الاتابكي ، فالمستحفظون الذين اقامهم بدرالدين لؤلؤ في البلاد التي استولى عليها الجيش مثل قلعة العمادية(١) واربل(٢) كانوا بمثابة الحكام العسكريين فيها ، حيث كانوا يقيمون هناك ويتولون ضبط الأمن وتيسير متطلباته في الداخل ، كما كانوا ينظرون في المصالح العامة ويشرفون على شؤونها المختلفة(٣) . ومن الجدير بالذكر ان المقصود بالمصالح العامة هنا هو ما يتعلق باحوالها الاقتصادية والادارية ، الأمر الذي يترتب عليه ان يكون للمستحفظ صلاحيات كثيرة في ادارتها وتصريف شؤونها .

وقد كان المستحفظون يتشبثون في ابقاء ولايتهم بايديهم يحكمونها في اغلب الاحيان كما يشاءون وذلك بتمردهم على السلطة المركزية في الموصل مما كان يضطر بدرالدين لؤلؤ الى عزلهم بالقوة أو اتخاذ اجراءات رادعة ضدهم وذلك بقتلهم أو بسجنهم(٤) .

ومن المناصب الاخرى في جيش بدرالدين لؤلؤ الحاجب الذي

---

(١) ن٠م٠ ص١٣٩ ـ ٤٠ .

(٢) ويقول صاحب المصدر السابق ان بدرالدين لؤلؤ اقام حفظته عليها بعد احتلالها ص١٣٨ .

(٣) اشار ابن العبري الى ان الأمير شرف‌الدين جلالي استطاع هزيمة جيش بدرالدين لؤلؤ الذي كان مسيطراً على اربل فطرد حفظته منها ، غير ان صاحب الموصل عاد فاشترى اربل واقام حفظة فيها (الدول السرياني ص١٣٣) .

(٤) الكامل جـ١٢ ص١٣٨ .

يختلف عمله عما كان يقوم به الحجاب القدماء • حيث كان بمثابة أمير حاجب ديوان الجيش[١] في عهد عمادالدين زنكي[٢] ، اذ ان مهمته كانت تقوم على توفير المستجدين من الجند وتجنيدهم في الجيش وتنسيبهم الى قوادهم وامرائهم ومعاقبة من يعرض منهم عن الخدمة العسكرية[٣] •

وبالرغم من ان حجاب جيش بدرالدين لؤلؤ كانت لهم اختصاصات مشابهة لذلك ولكنهم كانوا يلازمون بدرالدين لؤلؤ في تنقلاته اثناء اشتراك الجيش في المعارك فينفذون اوامره المتعلقة بالقاء القبض على الاعداء من الامراء أو الملوك أو كبار القادة العسكريين أو بالقضاء عليهم ، فقد اوضح ابن العبري ، ان بدرالدين لؤلؤ امر حاجب الجيش في ٦٤٩هـ/١٢٥١م بالقاء القبض على الملك المسعود بن الملك المعظم محمد بن سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر وقتله[٤] وذلك اثناء تجريد صاحب الموصل حملته العسكرية على جزيرة ابن عمر في هذه السنة •

ولم يرد ما يشير الى انهم كانوا يخضعون الى القادة العسكريين أو الى ذوى المناصب الاخرى في الجيش فقد اختصوا بمرور الزمن بتلقي التعليمات والاوامر من بدر الدين لؤلؤ باعتباره القائد الاعلى للجيش ، ولذلك ادرك هذا الاخير مدى اهميتهم في التأثير على نتائج المعارك التي كان يخوضها جيشه فأستكثر منهم بحيث اصبحوا يشكلون اعدادا كبيرة فيه[٥] حتى

---

(١) القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٤ ص١٩ وقال المقريزي ، ان ابعد حاجب ينظر في مخاصمة الاجناد واختلافهم في امور الاقطاعات ونحو ذلك ، الخطط جـ٢ ص٢١٩ •

(٢) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص٨٣ •

(٣) القلقشندى ، صبح جـ٤ ص١٩ المقريزي ، خطط جـ٢ ص٢١٩ •

(٤) تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص١١ انظر أيضاً تفاصيل عن هذه الحادثة في ص١٢٣ •

(٥) ن•م• ص١١ •

صاروا يقابلون على اقل تقدير من ندعوهم الآن (المرافقين العسكريين) أو ما يطلق عليهم الآن (ضباط التجنيد) أيضاً ٠

عناصـر الجيش :

اشارت المصادر الى بعض العناصر التي كانت تؤلف جيش بدرالدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح ركن‌الدين اسماعيل ، فهنالك الاكراد الذين كانوا يؤلفون اعداداً كبيرة فيه ، حيث ان بدرالدين لؤلؤ قد استخدمهم في جيشه للأستعانة بهم في الحروب الجبلية ، حيث اشتهر عنهم خوض مثل هذه الحروب[١] ، ويبدو ان بدرالدين لؤلؤ لاحظ استخدام معظم الدول الاسلامية للاكراد في جيوشها النظامية حتى انهم كانوا يؤلفون اكثر طلائعها ومرتزقتها[٢] وذكر رشيد الدين فضل الله ان في الموصل سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م جيش كثيف من الاكراد عندما اراد المغول احتلال المدينة[٣] ٠ واضاف الى ان هؤلاء كانت لهم اهمية كبيرة في الجيش ، فالملك الصالح ركن الدين اسماعيل الذي خلف اباه كان يعتمد عليهم اعتمادا كبيرا وكان يجند الكثير منهم ويدفعهم للوقوف بوجه الغزو المغولي[٤] الذي راح يهدد الموصل ٠ ويمضي رشيد الدين فضل الله قائلاً ان الاكراد لزموا اسوار المدينة وابوابها اثناء الحصار الذي ضربته الجنود المغولية حولها ، الأمر الذي جعل المغول يواجهون صعوبات كبيرة في النفاذ اليها واحتلالها[٥] ٠

---

(١) رشيد الدين فضل‌الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٢٩٨ ٠

(٢) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص٢٦٦ ٠

(٣) جامع التواريخ جـ٢ قسم ص٣٢٧ ٠

(٤) ن٠م٠ ص٣٢٨ وجاء فيه ان جماعة الاكراد خرجت للقتال عندما نزل جنود المغول حول المدينة وحاصروها ٠

(٥) ن٠م ٠

ويستفاد من اشارة ابن شداد فيما يتعلق بتعيين بدرالدين لؤلؤ لبعض القواد العسكريين من العنصر الكردي[١] في معرفة استخدامه للجند الاكراد على نطاق واسع في الجيش ايضاً ·

ويمكن القول ان قبائل الجلالية[٢] والشول[٣] والهكارية[٤] وهي القبائل التي كانت قد استوطنت منطقة الجزيرة حينذاك كانت المصدر الرئيس للأكراد في جيش بدرالدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح ركن الدين اسماعيل ، حيث اغروهم فأمدهم بالأموال وخصصوا لهم رواتب عالية[٥] وكانوا قد دخلوا في هذا الجيش جنداً[٦] نظاميين هذا فضلاً عن انهم كانوا يجتمعون اثناء استنفارهم لانجاد بدرالدين لؤلؤ او خليفته الملك الصالح فيتطوعون في الجيش ويلتحقون بجبهات القتال ، غير أنهم لا يلبثون ان يعودوا الى مواطنهم الأصلية بعد انتهاء المعارك ·

وهناك التركمان الذين دخلوا في الجيش ، حيث كانوا يؤلفون فئة غير قليلة منه[٧] وكانوا ينتشرون في معظم انحاء مناطق الجزيرة[٨] وقد

---

(٦) اعلاق الخطيرة في امراء الشام والجزيرة (مخطوطة ـ قسم الجزيرة) الورقة ١١٩ ·

(١) ياقوت ، معجم البلدان (طبعة ليبزك) جـ١ ص٤٧٧ ·

(٢) رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم ص٣٢٧ ·

(٣) يذكر ابن خلكان ، ان قبيلة الهكارية كان لها معاقل وحصون وقرى في شرق الموصل (وفيات الاعيان جـ٣ ص٣١) ·

(٤) رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٢٢٨ ·

(٥) يرى الدكتور نظير حسان سعداوي ، ان المقصود بكلمة « جند » هي الجيش الاحتياطي الاقليمي ، وهي غير كلمة « عسكر » التي تعني الجيش النظامي الثابت (التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي ص٢٩ ـ ٣٠) ·

(٦) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص٢٦٦ ، رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ١ ص٣٢٨ ·

(٧) القلقشندي ، صبح الاعشى جـ٧ ص١٩٠ ·

استوطنوا فيها على شكل قبائل وطوائف كثيرة[١] وقريبة من الموصل واعمالها ، الأمر الذي اتاح لبدرالدين لؤلؤ الاستفادة منهم[٢] وذلك باستخدامهم في جيشه جنداً نظاميين ، وبالأضافة الى ذلك عمل على ضم اغلب الجند التركمان المنهزمين من جيش السلطان جلال الدين منكبرتي[٣] الى جيشه ، اذ ان جيش هذا السلطان قد تفرق في ارجاء البلاد الاسلامية[٤] نتيجة انكساره امام جحافل الجيوش المغولية التي كانت تطارده .

والظاهر ان بدرالدين لؤلؤ افاد من جيش الخليفة المستعصم بالله العباسي وتأثر بتنظيماته ، فقد كان مؤلفاً من عناصر واجناس مختلفة ، وان الطائفة التركمانية كانت من الطوائف البارزة فيه ، حيث ورد بهذا الصدد ، ان الأمير تاج الدين سليمان شاه بن برجم كان مقدما اي رئيسا للطائفة الايوائية التركمانية[٥] في جيش الخليفة ، ونسمع بوجود العرب في جيش بدرالدين لؤلؤ[٦] ايضا ، وكان هؤلاء يؤلفون نسبة كبيرة من سكان الموصل[٧] ، ومعروف ان الجيوش الاسلامية بصورة عامة قد ضمت فئتين

---

(١) ن.م. ص٢٨٢ .

(٢) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة (مخطوطة مصورة) قسم الجزيرة - الورقة ٥٤ أ .

(٣) رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم ص٣١٠ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص٢٠٦ .

(٥) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٥ ص٦٩ Magazin Oriental CCollege

(٦) رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ١ قسم١ ص٣٢٨ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص٢٦٦ .

(٧) اشار ابن حوقل الى ان جل اهل الموصل كانوا عرباً ولهم فيها خطط (صورة الارض ص٢١٥ ، ٢١٦) .

من الجند العرب[١] : الأولى مرتزقة كان يؤتي بها عن طريق الاغراء بالاموال والاقطاع فتخصص لها الرواتب والاعطيات المقننة[٢] والثانية متطوعة تدخل في الجيوش عن رغبتها طمعاً في الحصول على الارزاق والغنائم والاسلاب[٣] التي كانت تخلفها المعارك ، لهذا فلا غرابة ان نجد كلا الفئتين المرتزقة والمتطوعة يشكلان جزءا مهما من جيش بدرالدين لؤلؤ اسوة بهذه الجيوش ، كما ان اهتمامه بادخال العنصر العربي في جيشه يحقق له عدم الخروج من القاعدة المتبعة في تلك الجيوش ايضا .

وفيما عدا ذلك نرى استخدام بدرالدين لؤلؤ لعناصر اخرى غير نظامية ، كانت تشكل طلائع الجيش اثناء الحروب وهي اعداد كبيرة يطلق عليها اسم « الرجالة »[٤] اي المُشاة لامارة الموصل أو البلاد المفتوحة[٥] . وقد تكون هذه العناصر خليطا من جميع الاجناس أو من جنس واحد ، ويبدو انهم اتخذوا كأحتياط حربي يدفعون الى المعارك عند الحاجة .

هذه هي اهم العناصر التي تشير اليها المصادر والتي كانت تؤلف جيش بدرالدين لؤلؤ ومن المحتمل ان اعتماده على هذه العناصر والاجناس المختلفة قد افاده كثيرا لتحقيق التنافس بينها على خدمته[٦] حيث استطاع

---

(١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٩٢ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام الورقة ٢٧٠ .

(٢) الذهبي ، دول الاسلام جـ٢ ص١١٣ .

(٣) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص٢٦٦ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٠ .

(٥) ن.م. ص١٣٨ .

(٦) كان المبدأ السائد في تنظيم الجيوش الاسلامية في القرون الوسطى تكوين الجيش من اجناد من جميع الاجناس والقبائل ، لان الاعتماد على رجال جميعهم من عنصر واحد يسبب انعدام التنافس بينهم على خدمة السلطان (انظر الدكتور عبدالمنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم جـ١ ص١٩٤ ـ ١٩٥) .

ان يدفعها الى الفتح أو يسيّرها لانجاد حلفائه •

ولابد من الاشارة الى ان تنظيمات الجيوش الايوبية والمملوكية قد تركت اثارها في جيش بدرالدين لؤلؤ ايضا وخاصة فيما يتعلق بالجند ، حيث كانوا خليطا من اجناس وعناصر مختلفة مثل الاتراك والجركس والروم والاكراد وغيرهم[1] وقد اخذ بدرالدين لؤلؤ يزيد في قوة جيشه ويعززه حتى اصبح جيشا قويا ومنظما يخشاه حكام الاطراف وامراؤها وحاول ان يضمن وجود مصدر عسكري يجهزه بالجند فعمد الى طريقة اغراء جند ورعايا القلاع والمدن الاخرى ، حيث بذل لهم الاموال والعطايا وخصص لهم الرواتب العالية واغراهم في الحصول على الغنائم ، ويذكر ابن الاثير بهذا الصدد انه « لما سمع جند باقي القلاع بما وصل جنده من الاحسان والزيادة رغبوا كلهم في الدخول في طاعته واتفقت كلمة اهلها على الانقياد اليه »[2] •

ولذلك يمكن القول ، ان انضمام هؤلاء المتطوعين والمرتزقة الى الجيش من حين لآخر ، جعل عدده عرضة للزيادة والنقصان •

الاسلحة :

ويبدو جيش بدرالدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح متكاملاً للحرب بدليل توفر السلاح بانواع كثيرة مثل « المنجنيقات » و « آلات الحصار »[3] كالدبابات[4] والابراج والسيوف والرماح والسهام ومعدات الجند الاخرى

---

(١) المقريزي ، خطط جـ٢ ص٢١٥ •

(٢) الكامل جـ١٢ ص١٤٣ •

(٣) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ص٤٧ •

(٤) وهي آلة متحركة تصنع من الخشب السميك ثم تغلف بالجلود المنقعة في الخل لدفع النار وتركب على عجلات مستديرة ثم تحرك وتجر •

مثل الدروع والجواشن • وكان الجند يتلقون التدريب على استعمالها فنسمع بوجود الجند المهرة في بعض انواع من الاسلحة كالمنجنيقات[١] حيث يقوم الجند برمي الحجارة على الاعداء وقذف الحديد والقدور المليئة بالنفط والزرنيخ[٢] كما ان هناك فصائل الحجارين أو النقابين المدربين على هدم الاسوار ويعاونهم في ذلك المنجنيقيون حيث يقومون على احداث الثغرات فيها اثناء نشوب المعارك • ومن الجدير بالذكر ان الجيش الاتابكي كان قد اتخذ « الميدان »[٣] ساحة لعرضه والعابه وتدريباته[٤] ولذا فمن المرجح ان يحذو بدرالدين لؤلؤ حذوهم بقيام جيشه بالتدريب واجراء العرض •

وبالأضافة الى ذلك فأن الجند يتدربون على ركوب الخيل والتسلق والرمي حيث اشير الى ان « الخيول »[٥] قد استخدمت في الجيش على نطاق واسع • ومع ان معلوماتنا عن الفروسية في عهد بدرالدين لؤلؤ بالخيول والاكثار من اقتنائها[٦] واحتفاظه بنوع جيد منها يعرف بخفة الحركة والسرعة كان يطلق عليه اسم « فرس النوبة »[٧] استخدمه

---

(١) رشيد الدين فضل ، جامع التواريخ ، وتاريخ المغول جـ١ ص٣٢٠ •

(٢) انظر حول المنجنيقات ووصفها واستخدامها ، الدكتور علي ابراهيم ، تاريخ المماليك البحرية ص٣٥٧ ، ٣٥٨ •

(٣) ويقع في الجنوب الغربي من الموصل وهو ارض خالية من العمارة •

(٤) ابن الاثير ـ الباهر ، ص٣٤١ •

(٥) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ ص٧٠٤ ، ٧٥٤ ، ابن ابى اصيبعة ، عيون الانباء جـ٢ ص٣٣٧ •

(٦) ن•م نفس الصفحات •

(٧) الذهبي ، دول الاسلام جـ٢ ص١٠٤ •

لشؤونه الخاصة اثناء نشوب المعارك • وتبين مما ورد ان توفر السلاح بكمياته الكافية وانواعه[1] جعل جيش بدرالدين لؤلؤ من الجيوش القوية في المنطقة ، حيث صار بامكانه مواصلة الحملات العسكرية بعنف متزايد على المدن والامارات وتقديم النجدات الحربية الى حلفائه او الى المغول •

الـزي :

اما فيما يتعلق بزي الجند وملابسهم فقد اتبع بدرالدين لؤلؤ التنظيم الذي كان سائدا في الجيش الاتابكي في الموصل ، حيث أمر الاتابك سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل **٥٤١ ـ ٥٤٤هـ / ١١٤٦ ـ ١١٤٩م** جيشه بالظهور بمظهر لائق سواء في سفرهم أو في الاحوال الاعتيادية فالزم الاجناد ان يشدوا السيوف في اوساطهم ويجعلوا (الدبابيس)[2] تحت ركبهم عند الركوب[3] كما امرهم في لبس (الاقبية التترية) و (التكلاوات)[4] فوقها وان يحملوا من جهة اليمين (الصولق والكزلك)[5] لكي يحترمهم الناس ويهابوهم[6] وذكر اليونيني ما يشير الى وجود زي خاص بالجند في عهد بدرالدين لؤلؤ ، واشار ابن الأثير الى ان الجندي كان يحمل اثناء تسفيره للحرب كل ما يحتاجه من الآلات وهي

---

(١) ابن الطقطقي ، الفخري ص٤٧ •

(٢) واحدها : الدبوس من آلات الحرب، يحملها الفرسان في السروج تحت أرجلهم ، ويتقاتلون بها بعد التضارب بالسيوف والرماح وتصنع عادة من الحديد •

(٣) القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٤ ص٥ •

(٤) غطاء يوضع فوق الرأس •

(٥) الأول ، كيس من الجلد يوضع على الجانب الايمن حيث توضع فيه حاجات السفر والثاني خنجر أو سكين •

(٦) القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٤ ص٤٠ •

(سكين ودرفش ومطرقة ومسلة وخيوط ودسترك)[١] وغير ذلك[٢] ، ويبدو ان بدرالدين لؤلؤ لم يغير في هذا الزي شيئاً[٣] بل انه حمل (السنجق) اي العلم على رأسه كما كان يفعل الملوك الاتابكيون[٤] ٠

وتيجة لتوسع الجيش بازدياد عدد الجند النظاميين اصبح من اللازم توفير معداته الكافية وخاصة فيما يتعلق (بكسوة الجند) اذ انه كان يكلف ذوي الايدي الماهرة واهل الخبرة وارباب الحرف والصنائع الذين كانت تزخر بهم مدينة الموصل في هذه الفترة[٥] بصنع ذلك واعداده[٦] ٠

الحاميات :

يروي المقريزي ان حاميات العسكر اي اماكن تجمع الجند كان يطلق عليها اسم (رساتيق الموصل)[٧] اذ ان فيها يتلقون الاوامر العسكرية ، وقد اشير الى انها مقرات دائمة للجيش تشبه المعسكرات[٨] في عصرنا الحاضر ، غير انه ليس لدينا معلومات تشير الى انها مقرات لتدريب الجند

---

(١) الدرفش هو العلم ٠ المسلة هي الابرة ٠ الدسترك هو المنشار ٠

(٢) التاريخ الباهر ص٢٤٣ ٠

(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٦٠ ٠

(٤) اوضح القلقشندى ، ان الملك سيف الدين غازي هو الذي احدث حمل السنجق فتبعه الملوك (صبح الاعشى جـ٤ ص٥) ٠

(٥) ابن سعيد المغربي ـ كتاب بسط الارض في الطول والعرض ص٩٠ ٠

(٦) ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٩٦ ، انظر ايضا أبن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة جـ٧ ص٠٦ ٠

(٧) السلوك لمعرفة دول الملوك جـ١ قسم٢ ص٣١٠ ٠

(٨) قد جاء عنها ، ان الجيوش الخوارزمية قد اغارت عليها في ٦٣٩هـ/١٢٤١م بعد ان خرقت الأسوار وذلك اثناء محاولاتها للأستيلاء على المدينة (ن٠م٠) ٠

والعابهم ايضاً ، وما هو عددها ؟ أو تفاصيل عن نشاطها وطبيعة العاملين فيها ، ومهما يكن من امر فأن هذه المعسكرات كانت داخل المدينة ، حيث كانت تحتوى على كل ما يحتاجه الجند وامراء الجيش الآخرون من خدمات ومعدات وتجهيزات أخرى هذا بالأضافة الى الاطباء والكحالين والكتاب وأصحاب الطبول والاتباع والخدم والمماليك ، أو ما كان يلحق بالحملات العسكرية من الفقهاء والمقرئين والصناع والخدمات الأخرى .

ويبدو أن هذه المعسكرات اي الرساتيق قد بنيت داخل المدينة ، فقد أشار المؤرخون الى أن بدرالدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح غالباً ما كانا يعمدان الى الاعتصام بجيوشهما داخل الأسوار توقياً من غزو الأعداء[1] اي انهم يحشدون قواتهم في الرساتيق كما ذكر الرحالة ابن جبير وهو يتكلم عن اسوار المدينة فقال ان فيها ابراجاً وضعت للمقاتلة وهي مرافق حربية[2] ، وكان الجند يرابطون عليها من الداخل للمحافظة والمراقبة مما يدل على وجود معسكرات دائمة هناك .

اساليب الحرب :

كان اعلان الحرب يتم بناء على اوامر بدرالدين لؤلؤ التي وصفها ابن الأثير (المناداة في العسكر بالرحيل)[3] وكان لكل حركة يقوم بها الجند نداء خاص يدل على ما يراد به ويسبق ذلك في العادة تعبئة الجيش واعداده

---

(١) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٢ ، سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم ٢ ص٦٣٣ ابن كثير ، البداية جـ١٣ ص١٠٤ وانظر ايضاً رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٧ ـ ٣٢٨ ، ابن العبري ، « تاريخ مختصر الدول » ص٢٨٤ ، تاريخ الدول السرياني ص١٤٢ .

(٢) ابن جبير ، الرحلة ص٢١٠ . انظر ايضاً ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار جـ١ ص٢٣٥ .

(٣) الكامل جـ١٢ ص١٣٨ .

وتجهيزه لمقابلة العدو • ثم يتقدم بفرقه وجنده وطوائفه من الرجالة الذين يكـّونون طلائعه والخيالة الذين يؤلفون قواته الرئيسة •

وبجانب كتلة العساكر المقاتلة يشتمل الجيش على جماعة من الخدم يقومون بنقل امتعتـه الضـرورية مثل (الخيام)[1] والاسلحة والادوات الاخرى المختلفة (كالكوسات والنقارات)[2] وكذلك خزائن الأموال[3] •

والظاهر ان نقل الجيش لذخائره أثناء تقدمه لخوض المعارك وخاصة الأموال منها كان الغرض منه على اقرب الاحتمال استخدامها في شراء بعض المدن أو القلاع أو الممتلكات التي يمر فيها الجيش أو لاغـراء محاربيهـا واستمالتهم عندما يكون ذلك ضرورياً وفي المستطاع ، لانه قد يغني احيانا عن الاشتباك في معارك لعلها لا تجلب النفع لصاحب الموصل •

وسلك جيش بدر الدين لؤلؤ في معاركه التي خاضها طريقتين هما : الأولى ، الحصار العسكري والاقتصادي أو الاقتحام المباشر ، ويبدو ذلك جلياً في حروب الأسوار والقلاع ، ويبدأ الحصار عادة بأمر من قائد الجيش حيث كان يأمر قواته بضرب الحصار[4] وبعد حصارها تتقدم اليها على شكل زحوف متتالية[5] حتى تقتحمها ، فاذا لم تستطع تحقيق ذلك أو ان ظروفا

---

(١) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ ص٧٠٤ ، ابـو الفدا ، المختصر في اخبار البشر جـ٦ ص٨٤ •

(٢) مرآة الزمان جـ٨ ص٧٠٤ (الكوسات تشبه الترس) يدق باحدها على الآخر اثناء السير الى المعارك (القلقشندى ، صبح جـ٤ ص٩ ، ١٣) اما النقارات فهي طبول تحمل في ركب السلاطين الى الحرب وتستخدم في اصدار الاوامر والايذان ببدء القتال (ن٠م جـ٣ ص٤٧٥ ، محمد مصطفي زيادة ، حاشية السلوك للمقريزي جـ١ قسم٣ ص٨١٩ / رقم ٢) •

(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ ص٧٠٤ •

(٤) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ •

(٥) ن٠م٠ ص١٤٢ •

تبدو غير مناسبة ، تعمد الى ابقاء الحصار مضروبا حول الاسوار أو القلعة ولا تباشر القتال عندئذ . وقد ذكر ابن الأثير ان قوات بدر الدين لؤلؤ قد ضربت الحصار حول قلعة العمادية سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م غير انها لم تتمكن من اقتحامها ، حيث كانت منيعة صعبة المنال ، هذا بالأضافة الى ان هنـاك عوامل المناخ ، فالشتاء كان قارسا شديد البرد[١] ، مما جعل قوات الجيش المحاصر (بالكسر) تلجأ الى مكاتبة المحاصرين (بالفتح) وذلك بواسطة « النشـاب »[٢] فتهددتها وفرضـت عليها الأستسلام[٣] ، وتستخدم قوات بدرالدين لؤلؤ ايضا الحصار الاقتصادي وسيلة نهائية لاخضاع المدن أو القلاع المحاصـرة (بالفتح) ، فأشار صاحب المصـدر السابق الى ان في ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م « سار بدرالدين لؤلؤ بجيشه الى قلعة العمادية فضـيق عليها وقطع الميرة عنها »[٤] .

ومن الجدير بالاشارة هنا ، أن « الجواسيس »[٥] كانوا يلعبون دوراً فعالاً في التمهيد لممارسة الاعمال العسكرية ، حيث كانوا ينتشرون داخل مناطق العدو ، فيطالعون قادة الجيش بمعلومات مهمة يتعلق اكثرها بتحركاته

---

(١) ن٠م٠ ص ١٨٤ .

(٢) وهي سهام مدببة من الامام ، مصنوعة من الخشب ، ترمـى بواسطة اقواس في طرفيها خيط .

(٣) ن٠م٠ ص١٣٨ .

(٤) ن٠م٠ ص١٨٣ (ومن الجدير بالذكر ان صاحب الموصـل باعتباره قائداً اعلى للجيش كان يسعى لاثارة حماسة الجند وتأليبهم ، باشتراكه هو نفسه في المعركة عند الهجوم على الأسوار) ن٠م٠ ص١٨٣ .

(٥) يذكر ابن تغرى بردى ، ان بدر الدين لؤلؤ كان ينفق على القصاد والجواسيس في كل سنة مالاً عظيماً (النجوم الزاهرة جـ٧ ص٧٠) .

وامكاناته الحربية أو كانوا يبثون الرعب والفزع داخل صفوفه[1] فيسببون في اغلب الاحيان تراجعه وعدم مقاومته ٠

اما الطريقة الاخرى فهي الأشتباك المباشر مع قوات العدو ، ويتبع ذلك في العادة اثناء الحروب المفتوحة ، لذلك عمل بدرالدين لؤلؤ على تقسيم قواته الى مجموعات هي الميمنة والميسرة والقلب والمؤخرة والمقدمة[2] ، وقد عرف هذا التقسيم في الجيوش الاسلامية باسم « التعبئة »[3] ٠ وكان من عادة بدر الدين لؤلؤ عند قيادته الجيش الوقوف في القلب ، حيث يصبح بامكانه توجيه المقاتلين والاشراف على سير المعركة[4] ، وكان قادة الجيش الآخرون يفعلون كذلك ايضاً ، وقد اقيم على رأس كل مجموعة من هذه المجموعات ، امير كبير غالباً ما يأمره القائد بعدم الانتقال الى المجموعات الاخرى اثناء القتال ، ففي محاولة مظفر الدين كوكبرى احتلال الموصل سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م التقى جيش بدرالدين لؤلؤ مع جيش صاحب اربل في حرب مفتوحة ، وكان الاول يشرف بنفسه على قيادة الجيش ، ومما هو جدير بالذكر ان « عز الدين ايبك » مقدم عسكر الملك الأشرف الذي كان صاحب الموصل قد استدعاه تنفيذا للتحالف العسكري المعقود بينهما قد طلب الانتقال من الميمنة الى الميسرة اثناء الاشتباك ، فمنعه بدرالدين لؤلؤ

---

(١) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٠ ونقل عنه ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ص٢٣٢ ٠

(٢) ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٠ ٠ وذكر ايضا في هذا الصدد ان الميمنة والميسرة كان يطلق عليها اسم « الجناحين » ٠

(٣) انظر حول تعبئة الجيوش الاسلامية ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي جـ١ ص٢٠٣ ـ ٢٠٧ ٠

(٤) الكامل جـ١٢ ص١١٠ ، ونقل عنه ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص٢٣٢ ٠

وقال له : « متى انتقلت انت ومن معك في هذا الليل ، ربما ظنه الناس هزيمة فلا يقف احد » فأمتثل عزالدين ايبك لأوامره ، غير انه عاد لينتقل كما يهوى ، فأمره بدرالدين لؤلؤ بالمقام الى الصبح لقرب العدو ، فلم يقبل لجهله بالحرب ، وذلك بعد انسحاب غالبية الجند المقاتلة الى الميسرة ، حيث كان يقودها عزالدين ايبك ، وقد كان من نتائج خرق اوامر القائد هزيمة الجيش في المعركة مما ادى الى فرار بدرالدين لؤلؤ الى الموصل[1] ان هذا يدل على ان صاحب الموصل كان يعير اهمية كبيرة لتقسيم جيشه وتعبئته والأشراف عليه في حالات الحروب المفتوحة ، بحيث اصبح يتشدد مع قواده وجنده وامرائه في اتباع تعليماته واجراءاته العسكرية .

وكان الجيش يجلب الأسرى الذين كانوا يقعون في يد الجند الى الموصل ، حيث يحتفظ بهم رهائن[2] ، فقد اشار ابن الأثير الى ان قوات الجيش جلبت في ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م اولاد (الخواجة ابراهيم واخيه) وهم جماعة من اهل العمادية كانوا قد اعلنوا عصيانهم وتمردهم على نائب بدرالدين لؤلؤ (امين الدين لؤلؤ) الذي كان حاكما على العمادية آنذاك فوضعهم في الحبس[3] . ومن الجدير بالذكر ان السجن الذي يقع في قلعة الموصل[4] كان يوضع فيه الاسرى الذين يقعون بيد قوات الجيش[5] وهناك اما ان يبقوا عليهم رهائن لارغام اتباعهم على التسليم او لحين تقرير مصيرهم ، واما ان تفرض عليهم عقوبات معينة ثم يجرى تنفيذها . وقد ورد

---

(١) انظر ص (١٠٨) حاشية رقم (١) .

(٢) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ص١٤١ .

(٣) ن٠م٠ ص١٤٨ .

(٤) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات جـ١ ص٢٤٢ .

(٥) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر جـ٦ ص٢١ .

بهذا الصدد ان بدر الدين لؤلؤ كان يضع الاسرى ذوى المكانة الخاصة في اقفاص من حديد[1] ، ففي ٦٣٥هـ/١٢٣٧م اصر ان يفعل ذلك مع الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل صاحب دمشق[2] وذلك عندما وقع الأخير اسيرا على اثر موقعة عسكرية •

وجاء في المصادر ايضا ان بدرالدين لؤلؤ كان يبادر الى انقاذ اسرى الحروب الذين يقعون بيد اعدائه فيجدّ في افتدائهم ، فقد عمل على فك اسر الملك المعظم توران شاه بن الملك الناصر صلاح الدين[3] في ٦٣٨هـ/١٢٤٠م من الخوارزميين ، حيث كان قد استنجد به ، فتفاوض معهم ونفذ مطاليبهم من الأموال ثم احضره الى الموصل واكرمه[4] •

وتطرقت المصادر الى علاقة بدرالدين لؤلؤ بجنده ، فأشارت الى انه كان مهابا من جنده[5] وذلك لشجاعته وحسن سياسته تجاههم[6] لانه كان يدرك اهميتهم في المحافظة على الامارة وفي التوسع الخارجي وهي اهم اهدافه التي كان يتوخى تطبيقها في سياسته الخارجية ، مما جعله يميل الى

---

(١) وهي عادة قديمة كان ملوك آشور يفعلونها في ايامهم وقد وضعوا بعض الامراء العرب في اقفاص من حديد •

(٢) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ ص٧٠٤ ، المقريزي ، السلوك جـ١ قسم٢ ص٢٧٠ •

(٣) انظر ترجمته : ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات جـ١ ص١٨٥ •

(٤) ابن الوردي ، تتمة المختصر في اخبار البشر جـ٢ ص١٧٠ •

(٥) الذهبي ، دول الاسلام جـ٢ ص١٢٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٧٠ •

(٦) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٣ ويذكر أبن واصل ، انه كان يحسن الى الأجناد ويخلع عليهم الخلع الفاخرة (مفرج الكروب جـ٣ ص٢٦٢) •

تحليفهم لأبقائهم مخلصين له ولا يسببون أثارة المشكلات والمصاعب في وجهه[١] وقد ذكر ابن الاثير مؤكدا اخلاص الجند له بقوله : (انهم كانوا يرفعون شعاره وينادون باسمه)[٢] وينفذون اوامره العسكرية[٣] وكان لهذا بطبيعة الحال تأثيره الكبير فيما يبدو على الأنتصارات التي احرزها في معظم المعارك التي خاضها الجيش •

التوسع الخارجي[٤] ـ الحملات العسكرية :

لقد بلغ الصراع السياسي بين الممالك والأمارات الاسلامية في اوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وخاصة في منطقة المشرق الاسلامي حدا كان من المستحيل معه حل قضاياها ومشكلاتها بطريقة سلمية وجعل اللجوء الى الحرب وسيلة لابد منها وكان التفوق على اي حال بجانب الدول والامارات القوية ذات النفوذ العسكري على حساب الصغيرة منها ذات الأمكانات المحدودة ، ولم يشأ بدرالدين لؤلؤ ان تكون امارته الصغيرة مطمعا للغزاة ولا هدفا ضعيفا لفتوحاتهم ، مما جعله يقوم بتعزيز قوته العسكرية فيضع خطة للدفاع عن امارته كانت تدل على اهتمام جدى بالأمر وتبدو على ادراك عميق لطبيعة الخطر الذي كان يتهدده ، وقد رأى ان الضمان الأكيد الذي احرزه في هذا الميدان اعطاه تبريرا قاطعا لتنفيذ

---

(١) الكامل جـ١٢ ص١٤٣ •

(٢) ن٠م٠ ص١٨٤ •

(٣) ن٠م ص١٣٨ ـ ١٤٠ ، ١٨٤ •

(٤) ان التوسع العسكري الخارجي كان مظهراً من مظاهر السياسة الخارجية ، غير ان ذلك لم يكن ليتحقق لولا وجود جيش قوى متماسك يستند الى نظم عسكرية دقيقة لذا وجدت من الافضل دراسة اعمال بدرالدين لؤلؤ العسكرية في هذا الفصل على انها ضمن السياسة التوسعية الخارجية التي كان ينتهجها في حكمه •

سياسته التوسعية وذلك بالحصول على مكاسب وممتلكات خارجية ، وقد جعلته محاولاته الاولى في هذا الشأن مقتنعا اقتناعا كافياً بمواصلة سياسة التوسع والاشتراك في الحروب القائمة لتحقيق ما كان يصبو اليه • والظاهر ان قيام بدرالدين لؤلؤ بتيسير عساكره في بعض الاحيان لاغراض الغزو لم يكن الا بناء على رغبة سكان المدن والامارات المفتوحة لتخليصهم من التعسف والتحكم والسيطرة)[1] •

وغالباً ما كنا نسمع في المصادر ان سكان الهكارية والزوزان الكرديتين وسنجار ، يرغبون في ان يعود بدر الدين لؤلؤ لحكم ديارهم حيث كان يبلغهم افعال صاحب الموصل مع جنده ورعاياه واحسانه وبذله الاموال لهم[2] •

غير انهم كانوا يخافون اميرهم عمادالدين زنكي بن نور الدين ارسلان شاه ويخشون بطشه كما ان امير الموصل المستقل كان يزج بنفسه في حروب حليفه الملك الاشرف موسى وذلك ثمنا لمساندته ضد مظفر الدين كوكبري صاحب اربل وعماد الدين زنكي بن نور الدين ارسلان شاه • وكان من نتيجة تأييد الملك الاشرف لبدر الدين لؤلؤ لتقديم المساعدات العسكرية في الاموال والرجال اندفاع صاحب الموصل بحماس للأشتراك في الحروب التي كانت تنشب من اجل الحصول على ممتلكات جديدة أو فرض نوع من السيطرة السياسية والاقتصادية على المدن والأمارات القريبة منه • وقد تمثلت هذه السياسة في تجريد الحملات العسكرية والقيام بالحروب على الوجه التالي :

---

(١) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٣ ، ١٦٩ ، ١٨٣ •

(٢) ن•م• ص١٤٣ ، سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٧٢٩ ، ابو الفدا المختصر في اخبار البشر جـ٦ ص٦٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ص١٥٤ •

١ ـ العمادية :

لقد كانت اولى حملاته على العمادية في ٦١٥هـ/١٢١٨م[١] وكان احد بواعثها الاتصال الذي اجراه عماد الدين زنكي وهو الأبن الأصغر للأتابك نور الدين ارسلان شاه في ٦٠٧هـ/١٢١٠م (بمستحفظ من المماليك) كان قد وليها آنذاك وكانت هذه المراسلات التي استمرت عدة سنين بعد وفاة نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود ٥٨٩-٦٠٧هـ / ١١٩٣-١٢١٠م قد تضمنت تسليم العمادية لعماد الدين زنكي ، وكان بدر الدين لؤلؤ مطلعاً عما كان يدور بينهما فبادر في ٦١٥هـ/١٢١٨م الى عزل هذا [المستحفظ] ثم عهد الى امير كبير وجماعة من الجند بتوليهـا وابلاغ امر العزل اليـه واستلام القلعة[٢] •

ويبدو ان استيلاء عماد الدين زنكي على العمادية يزيد في شوكته وهو لما يزل بعد يثير الفوضى والتآمر ضد بدر الدين لؤلؤ مما يضر بمصلحة الأخير ويعرض سلامة امارته الى الخطر •

وقد استطاع جنود صاحب الموصل استلام القلعة بدون اية اشتباكات عسكرية ، لذلك احتاط لنفسه بعد هذا العمل ، حيث شعر انه يلزم عليـه تعيين نواب له في بقية الممتلكات التي كانت لاتابكة الموصل تفاديا لحدوث مشكلات مماثلة في المستقبل •

غير ان اجـراء بدر الدين لؤلؤ لـم يرق لعماد الدين زنكي فبدأ يحرض جند العمادية وسكانها ضده حيث ثاروا ضد نائبه امين الدين لؤلؤ وقبضوا عليه وحبسوه • لذلك راح بدر الدين لؤلؤ يستدعي جيشه للأستيلاء من جديد على القلعة[٣] • واشار ابن الأثير بهـذا الصـدد الى انه قد اعد

---

(١) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٣٨ فما بعدها •

(٢) ن٠م •

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، جـ١٢ ص١٣٨ فما بعدها •

جيشه لهذه الحرب وعبأه مع مراعاة السرّية ، ليسهل عليه أمر مباغتة عماد الدين زنكي . وفي نفس السنة قام الجيش بمحاصرة العمادية ، وبقي محاصرا لها حيث لم يستطع اقتحام اسوارها لشدة البرد وتساقط الثلوج . وقد هب مظفر الدين كوكبري لنجدة صهره في هذه اللحظة فارسل اليه بدر الدين لؤلؤ يعيد الى ذاكرته الاتفاق الذي سبق له ان تم عقده مع نور الدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود المتضمن عدم التعرض لاعمال الموصل والممتلكات التابعة لها ، ومنها قلاع الهكارية والزوزان والعمادية فأمتنع صاحب اربل مؤقتا عن نصرة عمادالدين زنكي[1] وبقي بدر الدين لؤلؤ مصرا على رأيه بوجوب ابقاء الحصار مضروبا حول العمادية ، وذلك بالرغم من شروط صاحب اربل التي كانت تقضي بسحب العساكر عنها ، مما حدا بالأخير الى نقض قراره السابق واندفاعه لانقاذ زوج ابنته فأشتبكت جنوده مع عسكر الموصل ، وقد ادى ذلك في نهاية الأمر الى اندحار الموصليين لعدم مقاومتهم البرد الشديد ورداءة الطريق والمسالك يضاف الى ذلك التوجيهات الخاطئة التي قدّمها الأمراء الجدد الى جنود صاحب الموصل وعدم كفاءتها في القيادة[2] .

لقد كان هذا النصر الذي احرزته عساكر مظفر الدين كوكبري وعماد الدين زنكي مجتمعة ضد جيش الموصل نقطة تحول في نشاط الأخير ومبعث قوة معنوية له ، حيث راح يعزز انتصاراته بارسال الرسل الى باقي قلاع الهكارية والزوزان يدعوهم الى الدخول في طاعته وقد اجابوه فعلا الى ذلك وسلموا اليه فعمل على ترتيب الولاة فيها[3] . وفي خلال ذلك

---

(١) ن٠م ٠

(٢) ن٠م ٠

(٢) ن٠م ٠

كان بدر الدين لؤلؤ يعد للحرب مرة اخرى لأستعادة العمادية ، ففي نفس هذه السنة حقق استعادتها ودخلت عساكره فيها واحتلتها[1] .

ولم يورد لنا ابن الأثير الذي كان يعاصر هـذه الاحداث تفاصيل كافية عن الطريقة التي اتبعتها عسـاكر الموصل في الاستيلاء على هـذه المدينـة .

ورأى بدرالدين لؤلؤ ان خير وسيلة لتثبيت اقدامه في العمادية هو ان يكون موقفه من اهلها متسما بطابع الترضـيـة ، فكان يحسـن اليهـم ويعطيهم الأموال الكثيرة ويملكهم القرى ويوصلهم بالعطايا الجزيلة والخلع السنية[2] ، غير انهم ما لبثوا بعد مرور سنة على ذلك ان اجروا اتصالات مع عمادالدين زنكي ومظفر الدين كوكبرى وشهاب الدين غازي ، الملك العادل صاحب خلاط فأعلنوا مخالفتهم لبدر الدين لؤلؤ وامتعاضهم منه ثم طردوا كل من يتهم بكونه من رجال صاحب الموصـل . وحشـد هؤلاء الحلفاء العساكر لاستعادة العمادية ولكنهم لم يستطيعوا تحقيق هذا الأمر لأن قسما من اهلها كما افـاد ابن الأثير اتفقوا عـلى طاعة بدرالدين لؤلؤ والانقياد له وقاتلوا الى جانب عساكره التي كانت تحتل المدينة حينذاك[3] .

ولم تنفع تدابير بدرالدين لؤلؤ ومحاولاته أبقاء العمادية تحت سيطرته فقد استطاع الحلف العسكري المكون من مظفر الدين كوكبرى وعماد الدين زنكي وشهاب الدين غازي ان يحشد العساكر الكثيفة لأنتزاعها منـه ، فدخلت اليها الجيوش المتحالفة ويبدو ان صاحب الموصل لم يكن لديه القوة الكافية هناك لصد هذا الهجوم ، فانبرى يطلب معونة من حليفه

---

(١) ن.م. ص ١٣٨ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٢ ص١٨٣ فما بعدها .

(٣) ن.م. ص١٤٣ .

الملك الاشرف الذي لم يكن يقره في بادىء الأمر على استعادتها غير انه عاد ليسانده في هذا الأمر ، فجهز الاثنان جيشا سنة **٦١٨هـ/١٢٢١م** استطاعا به الدخول للمرة الثانيه الى العمادية واحكام السيطرة عليها ، حيث تم تعيين نواب بدرالدين لؤلؤ[١] فيها للاشراف على شؤونها السياسية والادارية والاقتصادية •

وفي **٦٢٢هـ/١٢٢٥م** تجددت اطماع عمادالدين زنكي ومظفرالدين كوكبري ، حيث سعيا الى استعادة العمادية من سيطرة صاحب الموصل ، فبعثوا الحلف العسكري الذي كونوه سنة **٦١٨هـ / ١٢٢١م** من جديد وجمعوا لهم جيشا كبيرا زحفوا به نحو المدينة ونشروا سيطرتهم مرة اخرى[٢] عليها • ولكن بدرالدين لؤلؤ نشط هذه المرة لاستردادها حيث قاد جيشه وفرض الحصار العسكري والاقتصادي حولها اذ قطع الميرة عن سكانها ، كما ارسل قطعة من جيشه وكلفها بأحتلال قلعة هرور التي كانت من امنع القلاع القريبة من العمادية[٣] ويبدو ان احتلالها كان يؤثر من الناحية العسكرية في تسهيل عملية الاستيلاء عليها • وكان السكان يدافعون عن مدينتهم تساندهم جنود العساكر المتحالفة بينما بقيت عساكر الموصل تحاصرها وقد عاد بدرالدين لؤلؤ الى الموصل تاركا لنائبه القيادة العامة للجيش •

وحضر خلال ذلك وفد من اهل العمادية الى الموصل ليقدموا الطاعة الى بدرالدين لؤلؤ ويطلبون التعويض لما فقدوه بسبب هذه الحرب فأجابهم الى ما طلبوا[٤] وبينما كانوا منشغلين في تسوية ميثاق الصلح الذي

---

(١) ن٠م٠ ص ١٤٣ •

(٢) ن٠م٠ ص٨٣ •

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، جـ١٢ ص١٨٣ فما بعدها •

(٤) ن٠م •

ينص على التعويض مقابل دخول عساكر الموصليين للعمادية ، وصل طائر من المدينة يحمل رسالة من نائب بدرالدين لؤلؤ يشير فيها الى ان جيش الموصل اتم فتح المدينة بالقوة واحتلال قلعتها مما جعل بدرالدين لؤلؤ يرفض شروط الصلح التي اتفق عليها[١] في وقت سابق •

ويبدو ان من اسباب انتصار عساكر الموصل في فتح مدينة العمادية بالرغم من حصانتها والدفاع المستميت الذي ابداه سكانها ، الحصار الاقتصادي الذي فرضته هذه العساكر واستخدام الجواسيس من الداخل ، حيث كان هؤلاء يكاتبون ويراسلون امين الدين لؤلؤ الذي سبق له ان حكم المدينة ردحا من الزمن واحسن الى جماعة من سكانها ، يضاف الى ذلك الانشقاق الذي حدث بين السكان ، فقد حضر لدى امين الدين لؤلؤ رجلان وطلبا منه ان يرسل اليهم عددا من الجند يعمدون الى فتح ثغرة في السور بينما هم يعملون في الداخل على القاء القبض على قادة المحاربين ومناداتهم بشعار بدر الدين لؤلؤ واسمه[٢] • وعندئذ يكون من السهولة دخول العساكر الى القلعة والانتشار داخل المدينة[٣] •

لقد كان بدرالدين لؤلؤ يبدو على جانب عظيم من الاهتمام بأمر اخضاع العمادية اليه وانه كان لا يترك فرصة لعماد الدين زنكي من تركيز اقدامه فيها ، لكي لايكون بعد ذلك مبعث خطر دائم له يهدد سلامة الموصل ويثب ضده في لحظة سانحة ، ومنذ سنة **٦٢٢هـ/١٢٢٥م** لم يعد بامكان عمادالدين زنكي وحليفه مظفرالدين كوكبرى مهمـا اوتيا من قـوة ان يستعيدا المدينة من ايدى بدرالدين لؤلؤ ، ويمكن اعتبار ذلك في الواقع

---

(١) ن٠م٠ ص١٨٤ •

(٢) ن٠م٠ ص٨٣ •

(٣) ن٠م •

بداية لانتكاس الحليفين من الناحية السياسية والعسكرية ، وظهر ان اي عمل عسكري موجه منهما ضد بدر الدين لؤلؤ ليس فقط لم يصب نجاحا من اجل استعادة العمادية فحسب وانما على النطاق السياسي والعسكري العام •

ويستفاد من النصوص التاريخية المتوفرة لدينا ان بدر الدين لؤلؤ بقي محتفظا بقلعة العمادية حتى سقوط الموصل بيد الجنود المغولية سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م فقد كتب ابن العبرى ان (عز الدين ايباغ) صاحب العمادية واحد مماليك بدرالدين لؤلؤ الذي كان يحكم من قبله ، حشد في هذه السنة زهاء ثلاثة آلاف فارس وقصد جزيرة ابن عمر لاحتلالها[١] • ولم تشر المصادر فيما اذا كان عز الدين ايباغ قد احتفظ بالعمادية بعد هذا التاريخ وصد عنها العساكر المغولية ، ولكن يبدو ان المغول قد سيطروا عليها في هذه السنة ، فشحنتهم في الموصل زحف نحوها ليوقف تحرك جيش عزالدين ايباغ لاحتلال جزيرة ابن عمر فهزمه[٢] •

٢ ـ سنجار :

قام الملك الاشرف موسى بن الملك العادل صاحب دمشق في ٦١٧هـ / ١٢٢٠م بعملية غزو واسعة النطاق استهدفت اخضاع امارات المدن المنتشرة في الجزيرة ، وكانت سنجار في مقدمة المدن التي تعرضت لهذا الغزو • وكان الملك محمود بن قطب الدين بن مودود بن عماد الدين زنكي صاحب سنجار يتوجس خيفة من نوايا الملك الاشرف فبعث رسله اليه يتنازل عن سنجار طائعا ويطلب منه مدينة الرقة عوضا عنها[٣] •

---

(١) تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص١٤٢ •

(٢) ن٠م ص١٤٢ •

(٣) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٢ •

ويعزو ابن الاثير سبب اقدام محمود بن قطب‌الدين صاحب سنجار على التنازل عن امارته الى ان تل عفر التي كانت تحت سيطرته قد اخذت منه بطريق القوة فسببت له اضرارا جسيمة مما جعله يتفادى وقوع حرب بسبب سنجار تلحق به اضرارا جديدة [1] ٠

ويبدو ان الملك الاشرف قد راقت له فكرة التنازل بدون اثارة حرب، لذلك ابدى نحو صاحب سنجار آخر ملوك البيت الاتابكي شعورا بالعطف ، عندما نزلت جيوشه في سنجار منحه مدينة الرقة ، فرحل اليها محمود بن قطب الدين مع اخوته وابنائه واسرته وحاشيته بأهليهم واموالهم [2] ٠

---

(١) ن٠م ص١٤٢ ٠

(٢) ن٠م٠ اما الذهبي فقد كان يعزو السبب الذي دفع الملك الاشرف الى الاستيلاء على سنجار في ٦١٧هـ/١٢٢٠م الى ان صاحبها محمود ابن قطب الدين قتل اخاه ولذلك فأن الصراع على السلطة قد بلغ اشده ، فبدأت الاضطرابات والفوضى الداخلية وهذا ما شجع الملك الاشرف على التدخل واغتنام الفرصة لضم سنجار اليه ، تاريخ الاسلام (مخطوطة مصورة) الورقة ١٣٠ ٠ ويذكر ابو الفدا ، ان عمادالدين احمد بن سيف الدين علي بن أحمد بن المشطوب الذي اقطعه الملك الاشرف (رأس عين) قد حرض صاحب سنجار محمود بن قطب الدين بالخروج عن طاعة الملك الاشرف سنة ٦١٧هـ مما جعل بدرالدين لؤلؤ يقوم بالقبض على ابن المشطوب ويسلمه الى حليفه الملك الاشرف ٠ ويبدو ان الأخير كان موغر الصدر من صاحب سنجار لتأييده ابن المشطوب ضده (المختصر في اخبار البشر ج٦ ص٢١) انظر ايضا ابن الوردي ، تتمة المختصر في اخبار البشر ج٢ ص١٣٩ ٠ اما ابن الأثير فيذكر ان فروخشاه بن زنكي بن‌مودود هو الذي كان حاكما على سنجار ، ولكن اخاه محمود بن قطب الدين بن مودود قتله وحل محله ، ويمضي هذا المؤرخ قائلا ان محمود بن قطب الدين قد ساعد بدرالدين لؤلؤ في القبض على ابن المشطوب وحمله اسيرا الى سنجار لأنه كان على اتفاق مع صاحب الموصل والملك الأشرف (الكامل ج١٢ ص ١٤١) انظر ايضا ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، مخطوطة قسم الجزيرة ــ الورقة ٤٠ أ ــ ٤٠ ب ، ٥٤ أ ــ ٥٤ ب ٠

وبعد سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م بزمن يسير استطاع بدرالدين لؤلؤ ضم سنجار اليه ، وربما حصل ذلك عن تنازل الملك الاشرف عنها لحليفه . واشار الذهبي الى ان عماد الدين زنكي قد حقق سيطرته على سنجار خلال ذلك التاريخ ايضا[1] . غير ان بدرالدين لؤلؤ عاد فأنتزعها منه[2] ومن الجدير بالذكر ان عمادالدين زنكي ومظفر الدين كوكبري قد كونا عسكرا وزحفا به نحو سنجار فتم استيلاؤهما عليها وذلك بعد طرد نواب الملك الاشرف منها[3] . ويورد سبط بن الجوزي ما يستفاد منه ان بدر الدين لؤلؤ يبدو مهتما بمصير سنجار ايضا ، فقد كان يظهر استعداده التام للدفاع عنها والاحتفاظ بها ففي ٦٣٥هـ/١٢٣٧م زحف اليها الملك الصالح نجمالدين ايوب بن الملك الكامل صاحب دمشق بجيشه ثم بسط سيطرته عليها ، فلاحقته عساكر الخوارزميين الذين كانوا يكنون تجاهه مشاعر البغضاء ، وعندئذ قامت عساكر الموصل على اثر ذلك بمحاولة لاستعادتها من الملك الصالح ، وقد كانت الحملة بقيادة بدرالدين لؤلؤ نفسه ، حيث ضربت حصارا حول المدينة ، لذلك لم يكن امام الملك الصالح سوى طريق واحد وهو اقناع الخوارزميين اعداء بدرالدين لؤلؤ واجابة مطاليبهم وذلك بتوجيههم ضد الموصليين الذين راحوا يضايقونه . وقد اجابه الخوارزميون بتصويب حرابهم نحو جيش بدر الدين لؤلؤ ، حيث

---

(١) تاريخ الاسلام (مخطوطة مصورة) الورقة ١٣٠ .

(٢) وقدهرب عمادالدين زنكي الى اذربيجان عندما استولى بدرالدين لؤلؤ على سنجار واحتمى لدى السلطان اوزبك بن البهلوان ، فأكرمه واقطعه ، فخدم معه (ن.م. الورقة ١٤٨) .

(٣) ن.م. الورقة ١٤٨ .

سببوا في نهاية الأمر ايقاع الهزيمة به[١] ، فأزالوا بذلك الخطر الذي كان يتهدد الملك الصالح •

والظاهر ان الملك الصـــالح نجم‌الدين ايوب لم يكن يستهدف غير الأستيلاء على سنجار وتثبيت اقدامه فيها ، الأمر الذي اثار بدرالدين لؤلؤ وجعله يقود جيشه بنفسه ، وقد اشار الذهبي بهذا الصدد قائلا ان الملك الصالح نجم‌الدين أيوب بن الملك الكامل عندما اشرف على أخـذ سنجار هب بدرالدين لؤلؤ ليدافع عنها[٢] غير ان محاولات بدرالدين لؤلؤ فـي الحيلولة دون سقوطها بيد نجم‌الدين أيوب قد باءت بالأخفاق ، ويحتمل جداً ان بقاء بدرالدين لؤلؤ وحيدا في الميدان بدون مساندة احد من حلفائه كان من أسباب هذا الأخفاق[٣] •

---

(١) وكان من نتيجة انكسار جيش الموصل ان هرب بدرالدين لؤلؤ الى الموصل فنهب الخوارزميون امواله وخزائنه والخيل والخيام وجميـع ما كان في عسكره ، وقد جاء ان الدواة المفضضة التي غنمها الخوارزميون من خزائنه كانت تساوي مائتي درهم وقد بيعت بخمسة دراهم والطشـت والابريق بعشرين درهما ، وقد اقتسم هؤلاء الخوارزميون الكوســات والنقارات فاصابهم الغنى الى الابد • (مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٧٠٤) •

(٢) تاريخ الاسـلام ، الورقـة ١٩٣ ، ٢٢٥ ، دول الاسـلام جـ٢ ص١٠٤ •

(٣) عندما لم يتحقق في بادىء الأمر للصالح نجم‌الدين ايوب الاستيلاء على سنجار عمد الى الاتفاق مع جيوش الخوارزميين غير النظامية للوقوف بوجه صاحب الموصل ويبدو ان الذهبي قد اوضح النيات الحقيقية للملك الصـــالح نجم‌الدين أيوب في اقنـــاع الخوارزميين بالاشتباك مـع جيوش الموصل التي كانت قد اتمت احتلال سنجار والسيطرة عليها ، وكان من نتيجة هذا الاتفاق ان اوقعت جيوشهما الهزيمة بعساكر بدرالدين لؤلؤ ، فقد ارسل نجم الدين ايوب قاضي سنجار بعد ان حلق لحيته ودلاه من السور فاجتمع بالخوارزميين ووعدهم بتلبية مطاليبهم اذا ما احرزوا النصر

لقد رأى بدرالدين لؤلؤ ان استرضاء الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب دمشق للخوارزميين باعطائهم حران والرها[1] اجراء خطير قد يؤدى الى قيام حلف عسكري بينهما يتهدد سلامته في نهاية الأمر أو قد يؤدى الى التحرش ببعض ممتلكاته ، مما جعله يستغل الخلافات الناشبة بين الخليفة المستنصر بالله والملك الصالح نجم الدين ايوب[2] بالسعي الى اضعاف عدوه الذي بسط سيطرته على سنجار ، وقد ادرك الملك الصالح ما كان يقوم به بدرالدين لؤلؤ من الدس والوقيعة ضده ، فراح يعرض عليه عقد صلح معه[3] غير ان صاحب الموصل كان لا يروق له الاعتراف

على بدر الدين لؤلؤ (ن٠م٠ الصفحات نفسها) ، ويذكر المقريزي انه عندما اشرف بدرالدين لؤلؤ على اخذ سنجار ارسل الملك الصالح نجم الدين ايوب القاضي بدرالدين يوسف بن الحسن الزرزارى الذي كان متقدما في الدولة الاشرفية فلقد ولاه الملك الاشرف موسى عندما استولى على دمشق ، قضاء بعلبك وبعد وفاة الملك الاشرف سنة ٦٣٥هـ ولاه الملك الصالح نجم الدين ايوب قضاء سنجار وكان كثير التجمل جدا واسع البر والمعروف وله مماليك وغلمان وحواشي وقد صار كاحد الامراء الاكابر يعقد لسائر من يرد عليه من اهل العلم وذوى البيوتات وقد توجه القاضي في خفية الى الخوارزميين واستمالهم وطيب خاطرهم بكثرة ما وعدهم فتمكن من اقناعهم باعطائهم حران والرها وسنجار (السلوك لمعرفة دول الملوك جـ١ قسم٢ ص٢٧٠) وقال ايضا انه في سنة ٦٣٥هـ استلم الملك المغيث فتح الدين كتابا من ابيه الملك الصالح نجم الدين ايوب بالتفاوض مع الخوارزميين والاشتراك مع قاضي سنجار لانقاذه من الحصار الذي ضربه بدرالدين لؤلؤ حول سنجار (ن٠م٠ ص٢٧٠) ٠

(١) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر جـ٦ ص٦٤ ، نقل عنه ابن الوردى ، تتمة المختصر جـ٢ ص١٦٦ ٠

(٢) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ٨ قسم٢ ص٧٠٤ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام الورقة ١٨٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية جـ١٣ ص١٥٠ ، المقريزي ، السلوك ، جـ١ قسم٢ ص٢٧ ٠

(٣) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ٨ قسم٢ ص٧٠٤ ٠

بالملك الصالح اميرا على سنجار فقد اعتبر ذلك تفريطا بممتلكاته ومضى بدرالدين لؤلؤ في سياسته الرامية الى توسيع شقة الخلاف بين الخليفة والملك الصالح حيث كتب الى الخليفة انه يسعى (اي بدر الدين لؤلؤ) الى القبض على الملك الصالح نجم الدين ايوب الذي دفعته مطامعه للأستيلاء على سنجار وحمله الى بغداد في قفص من حديد[١] •

ومع ان صاحب الموصل كان يريد ترضية الخليفة بالقضاء على عدو الخلافة الملك الصالح فأنه كان يبغي من وراء ذلك انتزاع سنجار منه ايضا •

فهو لم يكن يحبذ الاكتفاء في حكمه للموصل وانما يرغب في ان يبسط سيطرته على كل اعمال الموصل وخاصة المناطق القريبة منها •

وفي **٦٣٧هـ/١٢٣٩م** أشار صاحب الكتاب الموسوم **بالحوادث الجامعة** ان سنجار كانت تحت سيطرة الملك الجواد سليمان بن مودود بن الملك العادل محمد بن ايوب • وقد قام هذا الملك بزيارة ودية للخليفة المستنصر بالله فاستقبله موكب الديوان • وخلع عليه وعلى حاشيته[٢] وفي **تلك** الاثناء نقلت الاخبار قيام جيش بدر الدين لؤلؤ بالاستيلاء على سنجار[٣] ويبدو ان هناك مفاوضات قد جرت بين بدرالدين لؤلؤ والملك الجواد سليمان صاحب سنجار قبل هذا التاريخ تناولت تقديم صاحب الموصل مقادير من الأموال يحددها الملك الجواد بنفسه مقابل تنازله عن سنجار بدون اثارة حرب ، وقد وافق الأخير على هذه الصفقة في حينها وقبض الأموال بواسطة الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ ولكن بدون ان يتنازل

---

(١) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٧٠٤ •

(٢) الحوادث الجامعة ص١٢١ •

٣) ن٠م٠ ص ١٢١ •

عن حكم امارته[1] وكان الملك الجواد يخشى مغبة عمله هذا ، ولذلك قام بزيارته الى بغداد ليكسب الى جانبه عطف الخليفة ويبعد عنه خطر عسكر بدرالدين لؤلؤ الذي اخذ يغذ السير لأحتلال سنجار[2] ويعزو سبط بن الجوزي وهو معاصر ان بدر الدين لؤلؤ لم يقدم على ضم سنجار اليه الا بعد موافقة سكانها[3] لأن الملك الجواد كان سيء السيرة معهم فاخذ اموالهم اغتصابا ، مما جعلهم يفتحون ابواب المدينة لتدخل منها عساكر الموصليين وتحتلها[4] .

وفي ٦٤٧هـ/١٢٤٩م جاء ما يشير الى ان بدر الدين لؤلؤ كان محتفظا بسنجار حيث كان يحكمها آنذاك ابنه الأمير ركن الدين اسماعيل[5] . ومن ذلك يبدو عليه ما يدل على احكامه الخطة في عدم التفريط بها بتركها دون حماية عسكرية للحيلولة دون الاستيلاء عليها . وبعد سنة ٦٤٧هـ

---

(١) قال ابن شداد ، ان الملك الجواد شرع في الاحتيال على بدرالدين لؤلؤ فراسله وقدم له الهدايا واظهر ان له بنتا يسأل تزويجها من احد ابناء بدرالدين لؤلؤ ولكن لم يكن له بنت في الواقع ولما تحقق الاخير من ذلك شرع هو الآخر في اعمال الحيلة على الملك الجواد ايضا فأجابه الى ما سأل وحمل له مهرا كثيرا وسير ولده في جماعة من عسكره لمباغتة الملك الجواد بالهجوم على سنجار وانتزاعها منه بعد ان استمال اليه رئيسها جنقر وبذل له الاموال ، وكان بدرالدين لؤلؤ شديد الحرص على تمليك سنجار (الاعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ـ الورقة ٥٥ أ ، ٥٥ ب) .

(٢) الحوادث الجامعة ص١٢١ .

(٣) مرآة الزمان ، جـ٨ قسم٢ ص٧٢٩ . انظر ايضا ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر جـ٦ ص٦٧ ، ابن كثير البداية والنهاية جـ١٣ ص١٥٤ .

(٤) مرآة الزمان ، جـ٨ قسم٢ ص٧٢٩ .

(٥) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة (مخطوطة الجزيرة) الورقة ٥٦أ . الحوادث الجامعة ، ص١٥١ .

نقليل عهد الى ابنه الآخر علاءالدين بتوليها • وقد ظلت تابعة لأمارة الموصل حتى الفتح المغولي لها سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م حيث لجأ صاحبها علاءالدين الى ملك مصر الظاهر بيبرس خوفا من بطش الجنود المغولية التي كانت على مقربة منه وقد دخلتها بعد هروبه وعين القائد المغولي بايجونوين احد العسكريين المغوليين شحنة فيها(١) •

٣ ـ تل اعفر :

كانت تل اعفر في ٦١٦هـ/١٢١٩م تحت سيطرة الملك فروخ شاه بن زنكي بن مودود الذي انحاز الى جبهة بدرالدين لؤلؤ والملك الاشرف ضد جبهة مظفر الدين كوكبري وعماد الدين زنكي ، فلم تكن هناك مطامع لبدر الدين لؤلؤ في هذه الفترة • غير ان الأمر قد تغير عندما قتل الملك فروخ شاه وتولى أخوه الملك محمود بن قطبالدين بن زنكي أمرها حيث راح هذ الأخير يقف ضد جبهة صاحب الموصل • وكان يتحتم على بدرالدين لؤلؤ ازالة هذا الخطر الذي ربما يعرضه الى مواجهة المصاعب فكان يترقب سير الاحداث وما تسفر عنها في المدينة وخاصة بعد ان احدث مقتل فروخ شاه نزاعا على السلطة هناك • كما ان الملك الاشرف كان هو الآخر يعد لغزو هذه المدينة ايضا • ويبدو ان لجوء علي بن احمد بن علي ابن المشطوب احد امراء الملك الاشرف المنشقين عليه لدى الملك محمود ابن قطب الدين قد هيأ الفرصة المناسبة لبدر الدين لؤلؤ القيام بعمل عسكري لضم تل اعفر اليه • وخاصة بعد ان بدأ ابن المشطوب والملك محمود بن قطب الدين مناوشاتهما العسكرية في اعمال الموصل حيث استحوذا هناك

---

(١) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص ١٤٣ •

على عدة قرى[1] .

واستمر صاحب تل اعفر يدفع ابن المشطوب ويغذيه للتحرش بالموصل وممتلكاتها وكان هذا الأمر بطبيعة الحال يقلق بدرالدين لؤلؤ ويستحثه على الاسراع في تحقيق نواياه للقضاء على موطن الخطر ، فجهز عسكره وقاده بنفسه الى قلعة المدينة حيث اعتصم ابن المشطوب مع اتباعه ومؤيديه هناك فأمر بدرالدين لؤلؤ بتطويقها وتشديد الحصار حولها[2] ولكنه لم يستطع النفاذ اليها لمناعتها ، فبادر الى تنفيذ خطة عسكرية ناجحة حيث زحف اليها لفترات متقطعة وبفرق عسكرية متتالية ثم سلك بنفس الوقت طريق المفاوضات مع ابن المشطوب حتى تم له دخول الجيش الى المدينة في ٦١٧هـ/١٢٢٠م[3] .

ان احتلال جيش بدرالدين لؤلؤ لتل اعفر في هذه السنة قد احدث شعورا بعدم الاطمئنان للملك محمود بن قطب‌الدين الذي لم تبق له سوى سنجار ، حيث كان قلقا ليس فقط من جانب بدرالدين لؤلؤ وانما كان يخشى جيوش الملك الاشرف ان تتحرك نحوه ايضا ، وخاصة بعد ان صرح هذا الأخير بما يدل على مطامعه في تل اعفر لأهميتها العسكرية وتنازل بدرالدين لؤلؤ عنها لحليفه سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م بشرط ابقائها تابعة لسنجار[4] ، وكان الملك الاشرف لا يحبذ هذا الشرط كما يبدو في الوقت الذي دخلت فيه جيوشه المدينة واحتلتها[5] ، ومن المحتمل ان بدرالدين لؤلؤ كان يستهدف من وراء ذلك انتهاز الفرص المناسبة لأستعادتها مرة

(١) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤١ .
(٢) ن.م. انظر ايضا ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ١ ص١٦٣ .
(٣) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٢ .
(٤) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٢ .
(٥) ن.م. ص١٤٣ .

اخرى ، اما بعد سنة ٦١٧هـ الى سنة ٦٦٠هـ حيث دخلتها الجيوش المغولية واحتلتها فليست لدينا معلومات كافية عنها وخاصة ما يتعلق بالأمور العسكرية ٠

٤ ـ نصيبين :

كانت نصيبين في ٦١٥هـ/١٢١٨م ضمن ممتلكات بدرالدين لؤلؤ ، وقد ذكر ابن الأثير ان صاحب الموصل قد منحها في هذه السنة الى حليفه الملك الاشرف لكي يساعده في احتلال قلعتي الهكارية والزوزان الكرديتين، حيث كانتا تحت سيطرة عمادالدين زنكي بن نور الدين ارسلان شاه[١] ٠ ويبدو ان الملك الاشرف بالرغم من تقديم مساعداته الى بدرالدين لؤلؤ فأنه لم يقدم على قبول هبته هاتين القلعتين ، فنحن نقرأ ما يؤكد احتفاظ صاحب الموصل بنصيبين في ٦١٦هـ/١٢١٩م حيث نصب الأخير فيها شحنة وزوده بعدد من الجند ليقوم بالمحافظة عليها[٢] ٠

وجاء في الحوادث الجامعة ان في ٦٣٨هـ/١٢٤٠م كانت نصيبين تحت سيطرة بدرالدين لؤلؤ أيضاً ، حيث أغار عليها الخوارزميون واستطاعوا انتزاعها منه بالقوة[٣] ولكن اتفاقهم مع الملك الجواد سليمان بن مودود صاحب سنجار على محاربة صاحب حلب ادى الى انهم خسروا نصيبين كذلك ، فقد اوقعت بهم العساكر الحلبية بالاتفاق مع عساكر حمص هزيمة منكرة فتعقبت فلولهم وطاردتهم الى عنه[٤] مما جعل الفرصة مواتية لبدرالدين لؤلؤ في استعادة نصيبين الى سلطته حيث حققت جيوشه

---

(١) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٤٣ ٠

(٢) ن٠م ص١٤٣ ٠

(٣) ص١٤٣ ـ ١٤٤ ٠

(٤) ن٠م٠ ص ١٤٤ ٠

الانتشار فيها مرة اخرى سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م بعد ان خلت من الخوارزميين فرتب فيها بدرالدين لؤلؤ اميراً يقوم بحراستها والحيلولة دون تسرب الخوارزميين اليها(١) .

وقد أشار ابن الوردي الى أن بدرالدين لؤلؤ عند استعادته نصيبين ودارا من ايدى الخوارزميين أنقذ الاسرى ومنهم الملك توران شاه بن الملك الناصر صلاح الدين الايوبي فقد جاء به الى الموصل واكرمه ثم ارسله الى حلب(٢) .

ويذكر المقريزي ان بدرالدين لؤلؤ قد سلم نصيبين الى الخوارزميين سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م وذلك عندما اخذ خطرهم يتعاظم ويهدد سلامته وهو في عقر داره في الموصل(٣) .

وفي ٦٤٥هـ/١٢٤٧م قصد بدرالدين لؤلؤ نصيبين واستولى عليها ناقضاً بذلك الاتفاق الذي عقده رسول الخليفة المستعصم بالله نجم الدين الباذرائي حيث كان قد اجبر الملك السعيد نجم الدين ايلغازي صاحب ماردين على التنازل عنها وان تبقى على القاعدة التي قررها الملك الناصر صاحب حلب(٤) وقد استطاع الحلف المكون من الملك المعظم وصاحب ماردين انتزاعها من بدرالدين لؤلؤ مرة اخرى في هذه السنة(٥) .

ويبدو انه استعادها في ٦٤٧هـ/١٢٤٩م مرة اخرى غير ان اشتباك جيوشه مع العساكر الحلبية بعد اشهر قليلة من هذا التاريخ قرب نصيبين

---

(١) ن٠م٠ ص ١٤٤ .

(٢) تتمة المختصر في اخبار البشر جـ٢ ص١٧٠ .

(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك جـ١ قسم٢ ص٣٠٩ .

(٤) ومما يذكر ان بدر الدين لؤلؤ كان قد بنى قلعتها وكانت له فيها خزانة . ابن شداد الاعلاق الخطيرة (مخطوطة الجزيرة) الورقة ٤١أ .

(٥) ن٠م٠ الورقة ٤١أ .

وانخذال جيوشه وانكسارها واستيلاء الحلبيين على ذخائره وخيمه أدى الى بسط سيطرتهم عليها[1] .

وفي ٦٥١هـ/١٢٥٣م قصدها الملك السعيد صاحب ماردين فاستولى عليها وبقيت في يده حتى سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م حيث ان رسول الخليفة نجم الدين الباذرائي هو الذي سعى الى ان تكون تحت سيطرة بدر الدين لؤلؤ وقد بقيت في يده حتى وفاته في سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م[2] .

حروب بدرالدين لؤلؤ مع مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل :

كان الاتفاق المبدئي الذي سبق ذكره بين الملك نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود صاحب الموصل وبدر الدين لؤلؤ مدبر دولته آنذاك من جهة وبين مظفرالدين كوكبرى صاحب اربل من جهة اخرى قد نص على تقييد الأخير بعدم التعرض للموصل واعمالها[3] ولكن بعد سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م وهي السنة التي توفى فيها نور الدين ارسلان شاه حيث ازداد نفوذ بدرالدين لؤلؤ في الدولة واصبح صاحب الكلمة العليا فيها اخذ عماد الدين زنكي يثير الفوضى ويعمل على التآمر ضده . ومعروف ان مظفر الدين كوكبرى كان يسانده في ذلك المسعى ، وبالرغم من

---

(١) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر جـ٦ ص٨٤ ، اليونيني ذيل مرآة الزمان جـ١ ص١٥٥ . وجاء ايضا ان الحلبيين ضربوا الحصار حول دارا لمدة ثلاثة اشهر واخضعوها كما فعلوا مثل ذلك مع قرقيسيا ، ويمكن اعتبار دارا وقرقيسيا تابعتين الى نصيبين في هذه الفترة . انظر ابو الفدا ، المختصر جـ٦ ص٨٤ ابن الوردى ، تتمة جـ٢ ص١٨٢ .

(٢) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة (مخطوطة الجزيرة) الورقة ٤١أ ـ ٤١ ب .

(٣) ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص١٣٨ ، ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم٢ ص٧٢٦ ـ ٧٢٧ ، ابن العبرى ، تارخ مختصر الدول ص٢٣٢ .

تحذير بدر الدين لؤلؤ له بالكف عن مساندة الطامع في الملك عماد الدين زنكي ليس فقط من اجل تمكينه في الحصول على حكم امارة الموصل خلفاً شرعياً للأتابكة والقضاء على بدرالدين لؤلؤ ولكن من اجل مكاسب مادية ومعنوية كان يسعى بكل جهده هو الآخر للحصول عليها في حالة سقوط الموصل بيده • ويبدو ان تحقيق ذلك كان صعبا ولا يمكن الوصول اليه فمنذ سنة ٦١٥هـ الى ٦٣٠هـ كان سعير الحرب بينهما قائماً كما ان صاحب اربل لم يحقق ما كان يصبو اليه •

ولابد من استعراض لاهم وقائع الحروب التي اثارها صاحب اربل في هذه الفترة ضد بدرالدين لؤلؤ •

ففي ٦١٥هـ/١٢١٨م قام مظفرالدين كوكبرى بتزويد عماد الدين زنكي بالرجال والعساكر[1] غير ان استعداداتها للأشتباك مع جيش بدرالدين لؤلؤ قد تأخرت حتى سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م حيث توجهت عساكر مظفرالدين كوكبرى نحو الموصل تريد احتلالها فاسرع صاحب الموصل بالخروج من المدينة والعبور الى الجهة الاخرى من نهر دجلة والتصدى للجيش الغازي وهو في طريقه الى المدينة[2] • وقد اورد ابن الاثير وصفا لهذا الهجوم الذي هُزم فيه الموصليون وتقدم صاحب اربل بعساكره وهو ينظر الى نهر دجلة لتحقيق امله في احتلال المدينة التي تقع في الجانب الآخر منه ، غير ان هذا النهر قد حال دون ذلك كما يبدو لأول وهلة لأن الموصليين قد عرقلوا العبور على الجسر ، ويضاف الى ان جواسيس بدرالدين لؤلؤ قد نشروا الرعب في عسكر العدو مما اضطره في نهاية الأمر للتراجع سرا الى

---

(١) ن٠م٠ نفس الصفحات ، أنظر أيضا أبو الفدا ، المختصر في اخبار البشر جـ٦ ص١٦ •

(٢) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٣٨ •

اربل خوفا من ان يباغته صاحب الموصل بجيشه ليلا[١] .

وفي ٦١٧هـ/١٢٢٠م تجدد النزاع بينهما واخذ مظفر الدين كوكبرى يستجمع قواه للألتقاء بجيش بدر الدين لؤلؤ مرة اخرى . ولم تنفع محاولات الخليفة الناصر لدين الله في عقد صلح بين الاطراف المتنازعة والانصراف الى محاربة الصليبيين في سورية وفلسطين[٢] مما حمل الملك الأشرف موسى صاحب دمشق على اتخاذ اجراء رادع ضد صاحب اربل انتصارا لحليفه حيث هدده باسقاط اربل والدخول فيها ، لذلك اعلن مظفر الدين كوكبرى قبوله الصلح ثم تعهد بعدم التعرض لأمارة الموصل[٣] .

وفي ٦٢١هـ/١٢٢٤م اخفق مظفر الدين كوكبرى في محاولته الاستيلاء على مدينة الموصل فبالرغم من اخفاق الحلف العسكري الثلاثي الذي سعى الى تكوينه مع الملك شهاب الدين غازي صاحب خلاط والملك المعظم عيسى صاحب دمشق فأنه لم يستطع الدخول الى المدينة لمناعة اسوارها واحكام بدر الدين لؤلؤ خطة دفاعه[٤] .

وابقى مظفر الدين كوكبرى حصاره على المدينة املا في استسلامها ، وقد شجعه على ذلك ارتفاع الاسعار داخلها واستشراء الغلاء وندرة الاقوات، ولكن ذلك لم ينفعه في اجبارها على الاستسلام فقد ظهر ان قوة البلد وكثرة من فيه على حد قول ابن الأثير وما عندهم من الذخائر ما يكفيهم زمانا طويلا

---

(١) ن٠م٠ ص١٤٠ ، ١٤٧ ، ابن العبرى مختصر الدول ص٢٣٢ ٠

(٢) ابو الفدا ، المختصر جـ٦ ص٢١ الذهبي تاريخ الاسلام الورقة ١٢٩ ٠

(٣) الكامل جـ١٢ ص٤١٢ ٠

(٤) ن٠م٠ ، سبط بن الجوزي مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٦٣٣ ، ابن كثير ، البداية جـ١٣ ص١٠٤ ٠

حال دون ذلك[1] مما جعل صاحب اربل يأمر عسكره بالانسحاب الى قواعده في اربل لأنه كان يخشى ايضا الملك الأشرف أن ينجد حليفه فتدخل جيوشه اربل[2] •

وبدأ مظفر الدين كوكبرى في ٦٢٣هـ/١٢٢٦م ما يدل على اهتمامه الكبير لغزو الموصل فقد عقد حلفا عسكريا مع السلطان جلال‌الدين منكبرتي سلطان الدولة الخوارزمية والملك المعظم صاحب دمشق ثم انضمت اليه آمد وماردين وهي من دويلات الجزيرة حيث اتفق هؤلاء فيما بينهم على اقتسام الغنائم بعد ان يلحق الهزيمة بالملك الاشرف وبدرالدين لؤلؤ[3] • والظاهر ان البداية لتنفيذ خطة هذا الحلف الهجومي هي قيام مظفر الدين كوكبرى على رأس الجيوش الحليفة لغزو الموصل واحتلالها ولكن لم يقدر لها ان تحقق شيئاً حيث اظهر بدرالدين لؤلؤ من القوة العسكرية والتأثير

---

(١) لقد اشار معظم المؤرخين الى حصانة مدينة الموصل فقد ذكر ابن جبير سنة ٥٨٠هـ بأنها مدينة عتيقة فخمة حصينة قد طالت صحبتها للزمن فأخذت اهبة استعدادها لحوادث الفتن ويمضي هذا الرحالة مشيرا الى بيوتها المستديرة والملاصقة لسورها العظيم والى ابراجها التي وضعت للمقاتلة وهي مرافق حربية (رحلة ابن جبير ص٢١٠) اما الرحالة المغربي ابن بطوطة فيصفها عند مروره بها سنة ٧٤٨هـ فيذكر بانها مدينة عظيمة الشأن شهيرة الامتناع عليها سور محكم البناء مشيد البروج (تحفة النظار في غرائب الانصار جـ١ ص٢٣٥) • وقد اتفق بذلك ابن جبير وابن بطوطة على الرغم من تباعد الزمن بينهما على حصانتها وقوة اسوارها وامتناعها • وقال ابو شامة وهو معاصر (ان بلد الموصل عظيم لا يتحصل منه شيء بالمحاصرة وذلك لمناعته) (الروضتين جـ٢ ص٣٣) ونوه ايضا الى ان السلطان صلاح الدين الايوبي قد حاصر الموصل ثلاث مرات ولم ينل منها (ن٠م٠) انظر ايضا النعيمي ، الدارس في اخبار المدارس جـ٢ ص١٨١ •

(٢) ابن الاثير ، الكامل جـ١٢ ص١٨٧ •

(٣) ن٠م٠

الدبلوماسي ما قوض احلام صاحب اربل مما كان يستهدفه •

اما في ٦٣٠هـ/١٢٣٢م فقد بدأت نوايا بدرالدين لؤلؤ تتكشف بالقيام بمحاولة غزو بالاستيلاء على اربل لأخماد محاولات صاحبها الرامية للأستعداء عليه والتأليب ضده ولما اشرفت ترتيبات صاحب الموصل العسكرية ببدء العدوان على الانتهاء توجس مظفر الدين كوكبري خيفة فاستنجد بالخليفة المستنصر بالله فنهاه عن ذلك[١] فأرسل بدرالدين لؤلؤ رسالة الى الخليفة يطلعه على جلية الأمر ، واهم ما جاء فيها ان مظفر الدين كوكبرى تحالف مع السلطان جلالالدين منكبرتي لتصفية الامارات والمدن في الشام والجزيرة تمهيدا لتهديد الخلافة في بغداد كما انه لا يذعن لأوامر الخلفاء بالكف عن تحرشاته المستمرة بهذه الامارات[٢] • وقد استهدف بدرالدين لؤلؤ على ما يظهر من كتابه هذا اضعاف عدوه بتأليب الخليفة عليه • ولكنه لم يوفق بسياسته هذه حيث ان الخليفة لم يبد كثير اهتمام بالرسالة ففي ٦٣٠هـ زار مظفر الدين كوكبري بغداد فاستقبل استقبالا حافلا ثم قدم الى الخليفة مفاتيح اربل فجلس له جلوسا عاما وحضر ارباب الدولة وتقدم لمبايعة الخليفة[٣] •

ولدى عودة مظفر الدين كوكبرى الى اربل بعث الخليفة المستنصر بالله في السنة نفسها رسولا للتوفيق والمصالحة مع بدرالدين لؤلؤ[٤] وهنا نستنتج مع قلة المعلومات ان الخليفة لم يكن صادق النية فيما كان يسعى اليه لأنه كان يريد ابعاد بدرالدين لؤلؤ عن نواياه بالقيام في محاولته لأحتلال اربل ومما يعزز ما ذهبنا اليه هو استدعاء عساكره (اي الخليفة) لأحتلال

---

(١) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٦٨٠ •
(٢) رسائل ابن الأثير ص٦٩ وما بعدها •
(٣) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٦٨٠ •
(٤) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ١٨٠ •

اربل بقيادة شرف الدين اقبال الشرابي سنة ٦٣٠هـ عند وفاة مظفر الدين كوكبرى في هذه السنة[١] خوفا من ان يسبقه بدرالدين لؤلؤ الى ذلك على اقرب الاحتمال ٠

حروب بدر الدين لؤلؤ مع عماد الدين زنكي بن نور الدين ارسلان شاه :

اوصى الملك نور الدين ارسـلان شاه بن عزالدين مسـعود صاحب الموصل ان يودع حكم قلعتي عقر الحميدية والشوش الى ابنه الاصـغر عماد الدين زنكي[٢] وكان الملك القاهر عزالدين مسعود اخو عماد الدين زنكي قد خلف اباه فحلف له الجند والرعايا والاعيان[٣] وكان بدرالدين لؤلؤ المدبر للدولة مصرا على تنفيذ وصية الملك نورالدين ارسلان شاه بعد وفاته في ٦٠٧هـ/١٢١٠م والتي كانت تقضي بان يحكم عماد الدين زنكي قلعتي العقر والشوش فقط ٠

وربما كان ابن الأثير وهو معاصر يبالغ فيما كان يقوم به عمادالدين زنكي ضد بدرالدين لؤلؤ بأثارته الفوضى ضده وذلك للنفوذ العظيم الذي كان للأخير في الدولة حينذاك ، ولكنه كان يوضح بعض الحقائق فيلقي الاضواء على نوايا كل منهما للآخر ، فيذكر (ان عماد الدين زنكي تارة يكون بولايته وتارة يكون بالموصل متجنياً لكثرة تلونه) ، حيث كان يرى ان بدرالدين لؤلؤ مغتصب لملك آبائه واجداده[٤] فأن صحت هذه الاتهامات

---

(١) ابن الطقطقى ، الفخرى ، ص٣٣٠ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ١٨٠ ٠

(٢) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٢٢ ، نقل عنه ابن واصل ، مفرج الكروب جـ٣ ص٢٠٦ ، ابن العبرى ، مختصر الدول ، ص٢٩٩ ٠

(٣) ن٠م٠ نفس الصفحات ٠ انظر ايضا ابن الفوطي ، تلخيص جـ٤ قسم٢ ص٧٢٦ ٠

(٤) الكامل ، جـ١٢ ص١٣٨ ٠

صحت اتهامات ابن الفوطي له ايضا حيث اشار الى ان عماد الدين زنكي كان يطمع في حكم الموصل وقد ظن ان الملك يصير اليه بعد اخيه[1] ولذلك فلابد لبدرالدين لؤلؤ ان يوقف نشاطه المتزايد بالعمل العسكري ضده ، فكانت اولى محاولاته عزل مستحفظ العمادية الذي كان يجرى مع عماد الدين زنكي مراسلات بشأن تسليمها اليه • وقد أستفز هذا العمل عمادالدين زنكي حيث راح يجند اتباعه ويبث فيهم روح العزيمة وقد سانده كما هو معروف مظفر الدين كوكبرى في تآمره ضد بدرالدين لؤلؤ[2] ولكن الاخير اوقع هزيمة منكرة في جيش عمادالدين زنكي حيث هرب الى اربل فتدخل الخليفة الناصر لدين الله وعقد صلحاً بين الاطراف[3] •

وفي ٦١٦هـ/١٢١٩م تشبث عماد الدين زنكي بالبقاء في قلعتي الاكراد الهكارية والزوزان بالاضافة الى قلعتيه العقر والشوش وذلك بالرغم من تحذير بدرالدين لؤلؤ له بعدم المضي في سياسته هذه ، ولكن عمادالدين زنكي أخذ يتعمد اثارة صاحب الموصل الذي راح يرد على تحرشاته هذه بارسال طائفة من عسكره الى أطراف بلد الموصل لكي يحموها[4] ، غير ان جماعة من هؤلاء الجند ساروا قاصدين عمادالدين زنكي وهو في قلعته العقر بدون ان يخبروا بدرالدين لؤلؤ ، حيث اوقعوا هزيمة أخرى بجيشه مما حمله على الهرب الى اربل مرة ثانية[5] •

---

(١) تلخيص جـ٤ قسم٢ ص٧٢٦ • انظر ايضا الخزرجي ، العسجد المسبوك الورقة ١٢٦ •

(٢) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٣٨ ، ابن العبري ، تلخيص جـ٤ قسم٢ ص٧٢٦ •

(٣) الكامل جـ١٢ ص١٣٩ •

(٤) ن•م• ص١٣٨ •

(٥) ن•م• ص١٤٧ •

وفي هذه السنة نفسها تجدد النزاع بينهما أيضا ، فقرر بدرالدين لؤلؤ ان يضع حداً للنشاط المعادي الذي كان يقوم عمادالدين زنكي ضد أعمال الموصل ، فأرسل جيشا نحو قلعة الشوش وفرض حولها الحصار لمدة طويلة ، ثم دخلتها الجيوش الموصلية واحتلتها ، غير ان عمادالدين زنكي لم يكن هناك في ذلك الوقت ، فعمل هو الآخر على تكوين جيش من الاكراد والتركمان حيث أغراهم ببذل الاموال لهم ، وتوجه به نحو قلعته فاستعادها بعد معركة شديدة[١] • اما بعد هذه السنة فليست لدينا معلومات وافية عن أعماله العسكرية الموجهة ضد بدرالدين لؤلؤ ، ولكن أحد المؤرخين أشار الى انه كان محتفظا بقلعتيه سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م[٢] •

ولابد من الاشارة هنا الى ان بدرالدين لؤلؤ لم يكن يبدو عليه الاهتمام بمصير قلعتي العقر والشوش أو الهكارية والزوزان بقدر ما يتعلق الامر بنشاط عمادالدين زنكي المعادي له ، حيث كان يقف بوجهه ويعمل على تأجيج أحقاد الاسرة الاتابكية في داخل الموصل وخارجها ، بأظهاره بدرالدين لؤلؤ بمظهر المغتصب للملك •

جزيرة ابن عمر(٣) :

لقد بدأت العلاقات بين بدرالدين لؤلؤ والملك المعظم محمد بن سنجر شاه بن غازي بن مودود والذي دام حكمه لجزيرة ابن عمر قرابة ثلاثة

---

(١) ن٠م٠ ص١٦٩ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ١٤٩ ٠

(٢) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ١٨٠ ٠

(٣) بلدة تقع شمال الموصل ، يحيط بها نهر دجلة من ثلاث جهات ، وقد حفر خندق في الجهة الرابعة (ياقوت ، معجم البلدان جـ٢ ص٧٩) واشار ابن العبري الى ان اول من بناها هم بنو عمر المعديون ، واطلقوا عليها اسمهم (جزيرة ابن عمر) أو الجزيرة (تاريخ مختصر الدول ص٢٦١ ، تاريخ الدول السرياني ، مجلة المشرق مجلد ٥٠ ص١١) ٠

وأربعين عاما[1] في وقت مبكر من تولي بدرالدين لؤلؤ السلطة الفعلية لامارة الموصل ، فطيلة هذه المدة لم يحاول التحرش به فقد كان يستهدف بدرالدين لؤلؤ من وراء ذلك كما يبدو اضفاء صبغة شرعية على حكمه هو للموصل وتفنيد الادعاءات القائلة بانه كان (أي بدرالدين لؤلؤ) يستأصل الاتابكيين ويعمل على ابادتهم للتخلص من آخر شخص منهم ، فقد أشير الى ان صاحب الموصل كان يراسل الملك المعظم ويقدم له الهدايا لكونه بقية البيت الاتابكي[2] وقد توسعت هذه العلاقات ونمت نموا ظاهرا بعد ان طلب الملك المعظم ابنة بدرالدين لؤلؤ ليزوجها من ابنه وخليفته الملك المسعود[3] .

وفي ٦٤٣/١٢٤٥م بدأ تدهور خطير في العلاقات بين الملك المسعود الذي خلف أباه وبدرالدين لؤلؤ ولكن الاخير كان حذراً من الاصطدام به ، لانه كان يتطلع في ذلك الوقت لتطور الاحداث هناك فيكون لديه مبرر للقضاء على زوج ابنته الذي بدأ هو نفسه بأثارة الخلافات[4] ولذا حاول استغلال حدوث بعض الاضطرابات والفوضى بسبب ارتفاع الضرائب والمكوس التي كان الملك المسعود قد فرضها على السكان[5] ، حيث وعدهم بدرالدين لؤلؤ بأزالتها عندما تسنح له الفرصة بالاستيلاء على المدينة .

وفي ٦٤٨هـ/١٢٥٠م شكت ابنة بدرالدين لؤلؤ لأبيها سوء معاملة زوجها الملك المسعود لها ، وعند ذلك لم يكن أمام صاحب الموصل سوى

---

(١) الصفدي ، الوافي به الوفيات (مخطوطة مصورة) جـ١ قسم ٢ الورقة ٢٩٣ .

(٢) ن٠م٠ جـ٣ الورقة ١٤٠ .

(٣) ن٠م٠ الورقة ١٤٠ .

(٤) الصفدي ، الوافي بالوفيات (مخطوطة مصورة) جـ١ الورقة٢٩٣ .

(٥) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٣٨ .

الأيعاز الى جيشه بالتحرك والتوجه نحو المدينة فأفتتحها وقبض على الملك المسعود[1] وقتله[2] ثم عهد بولاية المدينة بعد احتلالها الى ابنه الملك المجاهد سيفالدين اسحق الذي عمل على ازالة الكثير من المكوس والضرائب[3] ٠

ويبدو ان جزيرة ابن عمر بقيت في يد الملك المجاهد حتى سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م وهي السنة التي لجأ فيها هذا الملك مع اخوانه وعدد من ملوك المنطقة وامرائها[4] الى الظاهر بيبرس البندقدارى ملك مصر الذي كان يقف ضد الغزو المغولي[5] ٠ حيث انتشرت في المدينة الجنود المغولية في هذه السنة ورتب فيها رجلا نصرانيا اسمه « مرحسيا » يحكمها بأسم المغول[1] ٠

---

(١) وذكر ابن العبرى ان بدر الدين لؤلؤ كان يقول له في مكاتباته انك قد بعتني الجزيرة وذلك لما كنا في نصيبين ، ولكن الملك المسعود اجابه بعدم التنازل عنها (تاريخ الدول السرياني ص١١) ويضيف ايضا ان الملك المسعود عندما شعر بالخطر ارسل يطلب الأمان من بدرالدين لؤلؤ فوعده بمنحه قلعة اخرى (ن٠م) ٠

(٢) لقد خدعه في بادىء الامر ، حيث اوثقه واركبه سفينة ليوهمه انه سيمضي به الى الموصل ثم اسر الى الملاحين ان يغرقوه وينهزموا الى سورية ويذيعوا بانه هو الذي رمى بنفسه وقد هربوا خوفا من مولاهم الذي ادعى بانهم اغرقوه وقد امتثلوا للأمر ونفذوا الخطة وبعد مكوثهم سنة في سورية عادوا الى الموصل (ن٠م) ٠

(٣) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٣٨ ـ ٢٦٦ ، انظر ايضا أبن أياس ، بدائع الزهور جـ١ ص١٠٣ ٠

(٤) ابن العبرى ، تاريخ الدول السرياني ص١٤٢ ٠

(٥) انظر الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، حول علاقة الظاهر بيبرس بالمغول كتابه (الظاهر بيبرس) ص٨٨ ـ ١٠٠ ٠

(٦) ابن العبرى ، تاريخ الدول السرياني ص١٤٢ ، كما جاء في الحوادث الجامعة ، ان المغول افتتحوها بدون اثارة حرب بعد قتل حاكمها الذي استولى عليها بعد هروب الملك المجاهد ص٣٤٨ ٠

الفصل الرابــع

نظم الأدارة والقضاء لأمارة بدرالدين لؤلؤ

في الموصل

الفصل الرابـع

نظم الأدارة والقضاء لأمارة بدرالدين لؤلؤ

في الموصل

لقـد رسم الامراء الذين حكموا بأسم السلاجقة في الموصل سـنة ٤٨٩ ـ ٥٢١هـ/١٠٩٥ ـ ١١٢٧م[١] خطوطا عامة لادارتها كانت تتمشى مع ادارة الدولة السلجوقية الكبرى التي كانت تشتمل على بلاد واسعة ، ولذلك كانت ادارة دولة اتابكة الموصل فيمـا بعـد تمثل مظهرا عامـا للأدارة السلجوقية • وبالاضافة الى ما كان يترسـمه الاتابكة في ادارة دولتهـم الصغيرة ، المحدودة المساحة ، التي كانت تشتمل على الموصل وأعمالها وهي اربل وجزيرة ابن عمر وسنجار ونصيبين[٣] ، على ما تركه الميراث الاداري السلجوقي من أثر ، كما اقتبسوا كذلك شيئاً من التنظيمات الادارية السائدة في الدولتين الايوبية والمملوكية أيضا • لقد كان الاتابكة في الموصل يحكمون دولتهم بأدارة بسـيطة ذات وظائف محدودة ، واعتمـدوا في ذلك على الاساليب المركزية •

اما في عهد بدرالدين لؤلؤ خليفة الاتابكيين ، فكانت بعض التنظيمات

---

(١) ومن هؤلاء الأمراء : كربوغا وموسـى التركماني وجكرمش وجاولي ومودود بن طغتكين وقسيم الدولة سيفالدين أبو سعيد آقـسنقر البرسقي ومسعود بن آقسنقر • انظر ابن الأثير ، الباهر ص١٥ ـ ٣٢ •

(٢) ن•م• ص٨٣ •

(٣) ن•م• ص٢٤ •

الادارية في الامارة استمرارا لما كان عليه العهد الاتابكي[1] • ولكن مع ذلك تغيرت بعض أسس الادارة بمجيئه الى الحكم ، حيث احدث مناصب ادارية لم يكن لها وجود في العهد الاتابكي • فاستلزم ذلك منه اعادة النظر بطبيعة ادارته ووظائفه مما قد يستوجب تقليصها أو تبسيط بعضها ، كما سعى كذلك الى التشديد على أساليب المركزية في الحكم اضعاف ما كانت عليه أيام الاتابكة •

لقد ابقى بدرالدين لؤلؤ على التنظيمات التي كانت سائدة في العهد الاتابكي والتي تتعلق بخدمة واقع امارته أكثر مما تقوم على اشباع مركزه الاسمي فكان يراعي بذلك الظروف الجديدة التي كانت تواجهها امارته والتي نشأت بعد وفاة الملك الاتابكي نورالدين ارسلان شاه بن الملك القاهر عزالدين مسعود سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م وهي السنة التي بدأ فيها صراعه العسكري على أشده • وأخذ هذا الوضع الجديد يتطلب منه الانصراف الى مضاعفة قواته الداخلية والحصول على مقومات أساسية لبناء جيش قوي منظم • يواجه به هذه الظروف واشاعة الامن العام وتيسير متطلباته والتقرب من السكان وارضائهم ومعالجة قضاياهم وشؤونهم العامة فاحتفظ بالوظائف المهمة الضرورية كمنصب الوزير والنائب أي الموظف والامير والقاضي ورئيس الديوان وكاتب الانشاء والغي وظائف أخرى كانت ترتبط بديوان الجيش أو الجند[2] •

---

(١) ان ثناء المؤرخين على حسن ادارة بدرالدين لؤلؤ وسياسته ، يدل على انه ابقى بعض التنظيمات التي عمل هو على رعايتها في ظل الاتابكة (انظر ن•م ص٢٠٤ ، الكامل جـ١ ص٣ ، ابن واصل مفرج الكروب جـ٣ ص٢٦٢ ، الحوادث الجامعة ص٣٣٧ ابن كثير البداية جـ١٣ ص٢١٤)•

(٢) لقد اوجد هذا الديوان في الموصل عمادالدين زنكي ابن اقسنقر مؤسس الدولة الاتابكية في الموصل ، انظر حول نظم جيش الاتابكة ، عمادالدين خليل ، عماد الدين زنكي (اطروحة ماجستير) الورقة ١٩٢ •

وكانت أهم مراكز الحكومة في الموصل وهي (دار المملكة)[1] أو (دور المملكة) التي كانت المقر الرسمي للملوك الاتابكيين[2] وبدرالدين لؤلؤ[3] وتسمى أيضا (الدار السلطانية)[4] ويبدو انهـا بيت السلطان الخاص له ولحاشيته وأفراد اسرته بالاضافة الى كونها المقر الرسمي له • ولم نسمع ما يشير الى اتخاذ بدرالدين لؤلؤ مقرا رسميا آخر له غير دور المملكة ، فقد أشار ابن الأثير الى انه كان يجلس في دار المملكة (لكشف الظلامات)[5] بعد موت الملك الاتابكي نورالدين ارسلان شاه سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م[6] وذكر ان أهـل البلد (باتوا يترددون الى الدار السلطانية) وكان موقعها في وسط المدينة مقابل المدرستين النورية والعزية[7] • وقد أكد ابن خلكان ذلك بقوله انها تقـع في وسط المدينة بجوار المدرسـة البدرية[8] • ويرى الاستاذ سعيد الديوهجي ان دار المملكة التي تعـرف

---

(١) ابن الأثير ، الباهر ص١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص١٦٦ •

(٢) اتخـذ عمادالدين زنكي (دار السـلطنة) التي كـان الامراء السلاجقة قد اوجدوها ، ثم بنى الى جانبها عدة دور اخرى اطلق عليها اسم (دور المملكة) ابن الأثير ، الباهر ص١٣٩ •

(٣) وقد ادخل عليها بدر الدين لؤلؤ كثيرا من التحسينات فكـان يجلس فيها للحكم ويستقبل الوفود ويجتمع بالعسكريين والامراء والرسل وينظر في شكاوى الناس ومظالمهم ، ابن الاثير ، الكامل ص١٣٧ ـ ١٣٨ ، الباهر ص١٩٨ •

(٤) الباهر ص١٩٨ •

(٥) الكامل جـ١٢ ص١٣٨ •

(٦) الباهر ص١٩٨ •

(٧) ن٠م٠ ص١٨٦ ، ١٩٨ •

(٨) وفيات الاعيان جـ١ ص١٦٦ •

اليوم بأسم (قره ـ سراى) تقع على نهر دجلة بالقرب من القلعة[1] اما دار العدل التي أسسها الملوك الاتابكة فيحتمل ان بدرالدين لؤلؤ اهملها ولم يعمل فيها • ولم نسمع أيضا عن وجود مقرات أخرى اتخذها بدرالدين لؤلؤ مثل (دار الوزارة) أو (مقر الديوان) أو (دار القضاء) أو (دار الضيافة) كما كان شائعا في البلاد الاسلامية الاخرى ، فيما عدا وجود بيت أسكن فيه بدرالدين لؤلؤ رسل المغول يقال له (ثوين)[2] • يبدو انه كان بيت اقامة للرسل والمبعوثين والقصاد وغيرهم •

لقد كان منصب الوزير قائما منذ العهد الاتابكي في الموصل حيث كان يسمى أحيانا وزير الموصل[3] • فالملك الاتابكي سيف‌الدين غازي بن عمادالدين زنكي ٥٤١ ـ ٥٤٤هـ/١١٤٦ ـ ١١٤٩م قد استوزر جمال‌الدين ابن علي الاصفهاني[4] • كما ان خليفته قطب‌الدين مودود بن عمادالدين زنكي ٥٤٤ ـ ٥٦٥هـ/١١٤٩ ـ ١١٦٩م قد استوزره أيضا فأصبح (مشرفا لمملكته كلها فحفظ الدولة)[5] • واتخذ الملك الاتابكي سيف‌الدين غازي ابن قطب‌الدين مودود ٥٦٥ ـ ٥٧٦هـ/١١٦٩ ـ ١١٨٠م أبا الحسن جلال‌الدين علي بن جمال‌الدين وزيرا له (ومكنه في ولايته وفوض اليه أمور دولته فظهرت منه كفاية وبدا منه معرفة بقواعد الدول وأوضاع الدواوين وتقرير الامور واطلاع على دقائق الحسابات وعلم بصناعة الكتابة

---

(١) الموصل في العهد الاتابكي ص١١٧ ـ ١١٨ •

(٢) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة (المخطوطة قسم الجزيرة) الورقة ٦٤ أ •

(٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر ج٩ ص١٦٦ •

(٤) ابن الاثير ، الباهر ص٨٦ •

(٥) ابن الأثير ، الباهر ص١١٨ ـ ١١٩ •

الحسابية)[١] .

كما سعى الملك القاهر عزالدين مسعود بن نورالدين ارسلان شاه ٦٠٧ - ٦١٥هـ/١٢١٠ - ١٢١٨م الى الحصول على من (يشد ازره بمن يجعله له وزيرا وعلى ما فوض اليه من اعباء المملكة ظهيرا ليكون مدبرا لدولته وناظرا في مهام مملكته ونائبا عنه في ولاية رعيته فاختار بدرالدين لؤلؤ الذي لم يكن أكثر منه للحق اتباعا ولا اعدل منه احكاما ولا اعلم بما يكسب الدولة انتظاما)[٢] . ان ذلك في الواقع يلقي ضوءاً على طبيعة منصب الوزير في عهد الاتابكة ومدى صلاحياته التي لم تكن تقتصر على توجيه شؤون الدولة الادارية كالاشراف على أوضاع الدواوين والنظر في الامور المالية بل تجاوزتها الى القيام بدور سياسي وخاصة فيما يتعلق بالمفاوضات السياسية الخارجية والاشتراك في الحروب القائمة وتقرير الموقف آنذاك . ومما يجدر ذكره ان وظيفة وزير الاتابكة تشابه في طبيعتها الى حد ما وظيفة وزير خلفاء بني العباس وخاصة المتأخرين منهم[٣] .

ويبدو ان نفس صلاحيات وسلطات وزير الاتابكة كانت لوزير بدرالدين لؤلؤ أيضا فقد ذكر ابن الفوطي ، ان فخرالدين كان من أعيان أهل الموصل وأكابرها وكان مقدما عند بدرالدين لؤلؤ واستوزره وفوض أموره اليه واعتمد في جميع مهماته عليه[٤] .

ولكنه من الناحية الاخرى كان يراقب تصرفات الوزير ويقيد

---

(١) ن.م. ص١٧٧ .

(٢) ن.م.ص ٢٠٣ .

(٣) انظر حول الوزارة في العصر العباسي الاخير (ابن الطقطقى ، الفخري في الآداب السلطانية ص٣١٩ - ٣٣٩) .

(٤) تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب جـ٤ قسم٣ ص١٧١ .

اجراءآته التي كان يتخذها حيث لا يسمح له الا بعد موافقته هـو (أي بدرالدين لؤلؤ) وبأشرافه • ومع قلة المعلومات التي وصلتنا عن دور وزير بدرالدين لؤلؤ الاداري والسياسي فأن الاشارات تدل على انه كان يخول النظر في الامور المالية وخزانة الدولة أكثر من أية صلاحيات أخرى فقد استوزر بدرالدين لؤلؤ تاج‌الدين محمد بن نصر فأصبح بيده توزيع الهبات والعطايا وأموال الرفد والمساعدات المالية التي كان يقررها صاحب الموصل لبعض الاشخاص[١] وربما يتجاوز الى الاشراف على توزيع رواتب الجند والموظفين والقادة العسكريين أيضاً • ولذلك فقد أصبح يلزم على الوزير ان يكون صاحب كفاية ومقدرة وعفة[٢] وان يكون من ذوي الاخلاق العالية والشرف الرفيع وان تتوفر فيه الصرامة ورجاحة العقل والشهامة[٣] •

وبينما كان هنـاك وزير الاتابكة جلال‌الدين أبو الحسـن علي بن جمال‌الدين محمد بن منصور الاصفهاني قد أناب عنه في ديوان الموصل أبا السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن الاثير[٤] فأننا لا نسمع بمثل ذلك في عهد بدرالدين لؤلؤ ، فلم يرد ما يشير الى انه كان يوكل الى وزيره الاشراف على الديوان أو يخوله انابة أحد عنه فيه بل كان (يفوضه أموره في جميع مهماته)[٥] • كما ورد أيضا ان الاتابكة كانوا يستوزرون ممن اشغل وظيفة سابقة في الديوان واثبت دراية وكفاية فيه ، فقد ندب نورالدين

---

(١) ابن الأثير ، البـاهر ص١٧٧ ، محمد بن يوسف القرشـي ، الكنجي ، كفاية الطالب في مناقب امير المؤمنين علي بن ابي طالب (طبعـة النجف) المقدمة ص٣ •

(٢) الباهر ، ص١١٨ •

(٣) القرشي ، كفاية الطالب ص٣ •

(٤) ياقوت ، معجم الادباء جـ٦ ص٢٣٨ •

(٥) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم٣ ص١٧١ •

ارسلان شاه المتوفى سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م الى وزارته المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الأثير الذي كان قبل ذلك متوليا لديوان الجزيرة أي جزيرة ابن عمر[١] . ولم نسمع في عهد بدرالدين لؤلؤ بمثل ذلك أيضا فيما عدا وجود أشخاص من أصحاب العلم والادب والفقه ولهم دراية بعلم الديوان لم يكونوا وزراء وانما كانوا مرشحين للوزارة[٢] مثل كمال‌الدين محمد بن مهاجر الموصلي الذي وصف بالصدر الاعظم وكان على جانب كبير من القدر فقد كان من المرشحين لتولي منصب الوزارة[٣] . ومن المحتمل جداً ان هؤلاء كانوا بمثابة مستشارين لدى صاحب الموصل يقومون بتقديم المشورة اليه وذلك باتخاذ مواقف أو اجراءآت معينة أزاء بعض القضايا والامور الادارية والسياسية التي تهم الامارة . وكان مثل هؤلاء الاشخاص موجودين في العهد الاتابكي أيضا ، فقد جاء ان أبا السعادات المبارك محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م (كتب لامراء الموصل وكانوا يحترمونه ويعظمونه ويستشيرونه وكان بمنزلة الوزير الناصح الا انه كان منقطعا الى العلم)[٤] .

---

(١) ابن الساعي ، الجامع المختصر جـ٩ ص٢٩٩ ، ياقوت ، معجم الادباء جـ٦ ص٢٣٨ .

(٢) كان المبارك بن احمد بن المستوفي المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٦٣٧هـ قد قصد الموصل واقام فيها وله راتب يصل اليه من بدرالدين لؤلؤ وكانت له معرفة بعلم الديوان وضبط قوانينه وحسابه وقد ولي نظر الديوان لأربل وكانت له خلة شبيهة بالوزارة . انظر ياقوت ، معجم الادباء جـ١ ص١٨٦ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ٣ ص٢٩٧ ، السيوطي ، بغية الوعاة (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط١) جـ٢ ص٢٢٧ .

(٣) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب العدد ١ ص٢٦٤ Oriental College Magazin (الهند) .

(٤) ابو شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص٦٨ .

كما ان المماليك اتخذوا لهم وزراء كانوا يقومون بمثل هذه المهمة فهم بمثابة الاستشاريين[١] وقد وصفهم القلقشندي بقوله (انهم ليسوا وزراء وإن كان الجاري على ألسنة العامة اطلاق لفظ الوزير عليهم)[٢] •

لقد اشغل بدرالدين لؤلؤ وظيفة المدبر للأتابكة حيث كان المملوك القديم لنورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود صاحب الموصل[٣] ، وكانت سلطاته تعادل سلطات الوزير حينذاك[٤] فقد تركزت بيده مقاليد الامور الادارية والسياسية ، بحيث أتاحت له سلطاته الواسعة هذه العمل على التخلص من حكم الملوك الاتابكيين وتركيز السلطة الكاملة بيده • ولذلك فأن الوزارة في عهده أي بعد انتهاء حكم الاتابكة لم تكن مستقرة الأسس واضحة المعالم بل كان يبدو على بدرالدين لؤلؤ التردد وعدم الميل الى اتخاذ وزير له يفوضه سلطات حقيقية ودائمية مستقرة يقابل سلطاته هو في ظل الملوك الاتابكيين وذلك لانه كان يحذر من تضخم سلطات وزيره وتدخله في كل شيء مما قد يؤدي في نهاية الامر الى تعاظم نفوذه واستبداده بالامور وتمويهها لاغراضه فينجم عن ذلك ما يعرض سلطة بدرالدين لؤلؤ الى الخطر •

كانت الدواوين[٥] في البلاد الاسلامية تمثل أهم مظهر من مظاهر

---

(١) القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٤ ص١٨٨ •

(٢) ن•م• ص ١٨٨ ، جـ٣ ص٤٢٤ •
The Encyclopaedia of Islam, Art, Baddr al—Din Lulu, P. 40, (K.V. Zettersteen).

(٣) ابن الأثير ، الباهر ص٢٠٣ •

(٤) يطلق على وظائف الادارة المدنية في معظم الدول الاسلامية في هذه الفترة اسم وظائف الاقلام تمييزا لها عن الوظائف العسكرية التي اطلق عليها اسم وظائف السيوف • وقد اقتصرت الوظائف الاولى على

التنظيم الاداري[١] ، ففي الدولة العباسية وخاصة في عصورها الاخيرة كانت بغداد مركزا لدواوين عديدة تشرف على ادارة العراق العام كديوان الزمام الذي كان يوصف بالعزيز وديوان الانشاء وديوان الجوالي وديوان عرض الجيش وديوان المقاطعات وديوان التركات وديوان الابنية وديوان العقار[٢] • لذلك اتخذت الدول والامارات والممالك الاسلامية بغداد حاضرة الخلافة العباسية قدوة لها في هذا الشأن فأوجدت الدواوين المناسبة لها لكي تشرف على ادارتها ويبدو ان الاتابكيين في الموصل قد تأثروا بهذا النوع من التنظيم الاداري فادخلوه في بلادهم التي كانت صغيرة لا تستوعب مثل هذا العدد من الدواوين ، اذ اوجدوا ديوانا واحدا فقط عرف (بديوان الجيش)[٣] وهو نموذج لما كان عليه ديوان عرض الجيش في الدولة العباسية لان هذه الامارة لم تكن تهتم الا بالامور العسكرية شأنها في ذلك شأن الامارات والمدن في بلاد الجزيرة والشام •

أما بدرالدين لؤلؤ فقد اتخذ له ديوانا اطلق عليه اسم (ديوان

الدواوين حيث اطلق عليها اسم الوظائف الديوانية • وتشمل وظائف الاقلام الوظائف الدينية ايضا • انظر القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٤٨٦ و ٤٨٩ •

(١) اتخذت الادارة الاسلامية كلمة (ديوان) لتدل على سجلات الدخل والصادرات ، وفيما بعد اطلقت على المكان الذي يعمل فيه ارباب الوظائف المالية ، واخيرا اطلقت على جميع فروع الادارة الاسلامية سواء المدنية منها أو العسكرية أو الادارية انظر :

Encyclopaedia of Islam : 2, P, 323 Art, Diwan, (A.A. Duri).

(٢) أنظر الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الأيلخانين ص ٦٦ ــ ٦٧ •

(٣) وكان يشرف على شؤون الجند وأحوالهم وتنظيمهم • وكان يطلق عليه أحيانا اسم (الديوان) فقط • أنظر ابن الأثير الباهر ص ٨٣ •

الموصل)[١] ومع انه كان على غرار ديوان الانشـاء في الدولة العباسية[٢] فقد اقتبس شـيئا من تنظيم دواوين دولة المماليك حيث كان يعمل فيهـا الموظفون المدنيون وليس العسكريون[٣] ولم نعد نسمع ديوانا لبدرالدين لؤلؤ باسم ديوان الجند أو الجيش ، ويبدو ان ديوان الموصل أخذ يشمل اختصاصات ديوان الجيش الذي كان موجودا في العهد الاتابكي وكان يضم أسماء القواد ومناصبهم والجند وطوائفهم ورواتبهم واعطياتهم واقطاعاتهم أو ما يتعلق بأحوالهم الاخرى •

لقد ظهر ديوان الموصل في الواقع نتيجة لحاجة بدرالدين لؤلؤ الى التنظيم الاداري المـدني والعسكري ، فهو يقوم بتنفيـذ أوامره ومكاتباته وايصالهم في الداخل والخارج • فقد أصبح بمثابة المركز الذي تمثل فيه شؤون الادارة الرئيسة • وكان هـذا الديوان يشمل اختصاصات ديوان المالية الذي كان بمثابة ديوان الخراج في أيام الدولة العباسية[٤] •

وكان يرأس ديوان الموصل في العهد الاتابكي موظف باسم (نائب الديوان) فقد كان المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الاثير نائبا في الديوان عن الوزير جلال‌الدين أبي الحسن علي بن جمال‌الدين بن

---

(١) أبو البركات ، ابن المستوفي ، تاريخ اربل (كما جاء في وفيات الاعيـان ج٣ ص٢٩٧) أنظر أيضـا ابن تغرى بردى ، المنهل الصـافي والمستوفي بعد الوافي ج ١ ص ٨٤ •

(٢) وكان يسمى أحيانا (ديوان الرسائل) أنظر مقدمة الدكتور مصطفى جـواد لكتاب تاج‌الدين علي ، المعروف بابن الساعي ، الجـامع المختصر •

(٣) وقال بان دواوين الجيش كانت ضمن دواوين أرباب الاقـلام (القلقشندي ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣) •

(٤) وقد صار يسمى هذا الديوان أيضا (المخزن) أنظـر مقـدمة الدكتور مصطفى جواد لكتاب ابن الساعي ، الجامع المختصر •

منصور[١] حيث كان يقوم بادارة الديوان والمراسلات[٢] • وكان يسمى هـذا الموظف أيضا (صاحب الديوان) كما هـو الحـال في الدولة العباسية[٣] حيث أشار ابن الاثير الى ان ديوان الموصل كان يتولاه صاحب الديوان[٤] • اما في عهد بدرالدين لؤلؤ فكان يسمى هذا الموظف (رئيس الديوان) أو (متولي الديوان) أو (كاتب الديوان)[٥] • وكان يقوم بواجبات تشبه الى حد ما واجبات صاحب الديوان في الدولة العباسية في آخر عهدها حيث يكون له التصرف المطلق في الولاية فيعين كبار الموظفين ويعزلهم وله (حق العطاء والمنع)[٦] •

ولكن مع مراعاة اشراف بدرالدين لؤلؤ الدقيق عليه وذلك لتركيز الاخير على المركزية في الحكم وقد رتب بدرالدين لؤلؤ سنة **٦١٨هـ/١٢٢١م** نصر الله محمد بن عبدالكريم بن الاثير المتوفى سنة **٦٣٧هـ/١٢٣٩م** كاتبـاً للديوان[٧] ، فكان يقوم بوظيفتـه على جانب كبير من المقـدرة

---

(١) أنظـر ابن الأثير ، الباهـر ص ٨٤ ـ ٨٦ ، ١١٨ ـ ١١٩ ، ١٢٧ ـ ١٢٨ •

(٢) ياقوت ، معجم الادباء ج ٦ ص ٢٣٨ •

(٣) العراق في عهد المغول الايلخانين ص ٦٧ ـ ٦٨ •

(٤) الباهر ص ٨٣ •

(٥) ابن الصابوني ، تكملـة اكمال الاكمال ص ١٥٤ ابن كثـير ، البداية ج ١١٣ ص ١٣٠ ابن قطلوبغا ، تاج التراجم ص ٤ •

(٦) ابن الساعي ، الجامع المختصر ج ٩ ص ٣٠٠ ، العراق في عهد المغول الايلخانين ص ٦٨ •

(٧) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩٩ ، ج ٥ ص ٣٢ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٦٥ •

والكفاية[1] . ويبدو ان ديوان الموصل ضم عددا من كتاب الانشاء في عهد بدرالدين لؤلؤ[2] كانوا يشغلون وظائف يقوم أصحابها بانشاء الرسائل وتحريرها[3] وذلك على غرار وظيفة كاتب السلة العباسية الذي كان صاحبها يشغل رئاسة كتاب الوزير في أواخر أيام الدولة العباسية[4] حيث كان يطلق عليه اسم (كاتب الديوان)[5] . وقد أصبح بيد كاتب الانشاء بديوان الموصل أسرار سياسة بدرالدين لؤلؤ وخفاياها ، كما كان لديه الاطلاع الكافي على أحوال الادارة وأسرارها ..

ومن الجدير بالذكر ان أغلب كتاب الانشاء في ديوان الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ كانوا واسعي الاطلاع في الكتابة واللغة ، فقد كان نصر الله ابن الاثير كاتبا للأنشاء قبل ان يتولى رئاسة الديوان وكان من طبقة الادباء البارزين في عصره[6] وله مؤلفات عديدة في هذا الباب[7] وكان ابراهيم بن عبدالرزاق بن أبي بكر بن رزق الرسعني المعروف بابن المحدث المتوفى

---

(١) الحوادث الجامعة ص ١٣٦ .

(٢) ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٣ ، الحوادث الجامعة ص ٣٤٨ .

(٣) أنظر رسائل ابن الأثير (الرسائل التي كتبها عن بدرالدين لؤلؤ الى الخلفاء العباسيين) ص ٦٠ فما بعد .

(٤) العراق في عهد المغول الايلخانين ص ٦٨ .

(٥) الحوادث الجامعة ص ١١ .

(٦) أنظر كتاب رسائل ابن الاثير ص٩ . ويذكر ان ابن الطقطقى ، ان بدرالدين لؤلؤ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، الفخري في الآداب السلطانية ص ١٨ .

(٧) ومن أهم مؤلفاته التي صنفت في البلاغة والنقد الادبي هي « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » ورسائله التي ضمها كتاب (رسائل ابن الاثير) .

سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م الذي رتبه بدرالدين لؤلؤ كاتبا للانشاء في ديوان الموصل له باع في النظم والنثر[١] فقد ذكر ابن تغرى بردى نقلا عن الحافظ البرزالي في معجم شيوخه : ان الرسعني « قد فاق أبناء جنسه معرفة وذكاءاً وله منظوم ومنثور »[٢] • كما كان محي‌الدين أبو المحاسن يوسف ابن سلامة الهاشمي المعروف بابن زبلاق المتوفى في ٦٦٠هـ/١٢٦١م الكاتب للانشاء في الديوان سيدا كبيرا وعالما واسع الاطلاع ومن فضلاء الشعراء المجيدين « حسن الكتابة ونظمه حسن المعاني »[٣] وينطبق ذلك على الاخرين الذين شغلوا هذه الوظيفة أيضا في ٦٢٨هـ/١٢٣٠م مثل ابراهيم ابن عبدالكريم بن أبي السعادات الموصلي[٤] •

ولعل بدرالدين لؤلؤ كان يختار كتاب الانشاء للديوان فيراعي ان يكونوا على جانب كبير من المقدرة والكفاية والاطلاع باللغة وفنون الادب الاخرى لكي يضفي ذلك على وظائفهم البهاء والكفاءة والقوة •

وقد استقال كاتب الانشاء ابراهيم بن عبدالكريم بن أبي السعادات من وظيفته في الديوان سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م[٥] وذلك لاسباب لم توضحها المصادر ، ولكن على ما يبدو ان سياسة بدرالدين لؤلؤ هي التي دفعت به الى الاستقالة وخاصة ما يتعلق بسياسته الخارجية وعلاقاته غير المستقرة ،

---

(١) القرشي ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ص ١ ص ٤١ •

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ج ١ (القسم الادبي) ص ٨٤ •

(٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٥١٤ •

(٤) ابن الصابوني ، تكملة اكمال الاكمال ص ١٥٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٠ ، ابن قطلوبغا ، تاج التراجم ص ٤ •

(٥) ابن الصابوني ، تكملة اكمال الاكمال ص ١٥٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٣٠ ، ابن قطلوبغا ، تاج التراجم ص ٤ •

فلعله كان يجبر على انشاء رسائل لا يقر هو مضمونها أو يكلف بمهمات لا يحبذ القيام بها •

ونجد الى جانب وظيفة رئيس الديوان أو كاتبه أو متوليه ، وظيفة كاتب الانشاء في الديوان من الوظائف الصغيرة الثانوية في أهميتها ؛ وظيفة « النسّاخ » الذين كانوا يقومون بنسخ الرسائل التي يعدها كتاب الانشاء • ووظيفة « الخازن » الذي كان يهيىء للديوان الاوراق التي تشتمل على الامور المهمة للنظر فيها ووظيفة « الحاجب » الذي كان ينظم الدخول والخروج على باب الديوان(١) وذلك على غرار ما كان موجودا في دواوين الدولة المملوكية(٢) •

وهناك دواوين أخرى غير ديوان الموصل كديوان الجزيرة(٣) أي جزيرة ابن عمر وديوان سنجار(٤) ويبدو ان هناك دواوين أخرى لكل مدينة أو قرية من أعمال الموصل(٥) ومع انه ليس لدينا ما يلقي ضوءاً على طبيعتها ولكن اشارات قليلة وردت عنها توضح انها كانت تشرف على ادارة المدينة أو القرية العامة التي تقع في أعمال الموصل وترتبط بديوان الموصل الذي يمثل الادارة المركزية •

وأخيرا يبدو ان جانبا مهما من نشاط هذه الدواوين أخذ يتناول الامور العسكرية وذلك لاهميتها بالنسبة الى بدرالدين لؤلؤ كالاشراف على

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ج ١ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ، أنظر أيضا المقريزي ، الخطط ج ١ ص ٤٠٢ •

(٢) ن • م • نفس الصفحات •

(٣) ياقوت ، معجم الادباء ج ٦ ص ٢٣٨ ، ابن الساعي ، الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٩٩ •

(٤) ابن الساعي ، الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٥٧ •

(٥) ابن الاثير ، الباهر ص ١٤٧ •

شؤون الجند وأحوالهم ، حيث كانت لهم أهميـة كبيرة في المحافظة على الممتلكات هناك • كما ان الرسائل التي كانت ترد منها الى ديوان الموصل كانت تتناول شرح الموقف العسكري الراهن هناك • وهذا يتطلب بطبيعة الحال ان يكون متولو هـذه الدواوين[1] من المشهود لهـم بفنون الادب والسياسة والاخلاص للسلطان[2] ليمكنهم ذلك من توضيح هذا الامر بكل مقدرة وكفاية ، ولكي لا يخفون عليه الاسرار العسكرية المهمة التي تتعلق بمصير هذه الممتلكات والمدن حين تعرضها للمخاطر •

وكان ممن تولى ديوان الجزيرة أي جزيرة ابن عمر أبو السعادات ابن محمد بن محمـد بن عبدالكريم بن الأثير الذي عهـد اليه الاتابك سيفالدين غازي بن قطبالدين مودود **٥٦٥ ــ ٥٧٦هـ/١١٦٩ ــ ١١٨٠م** بهذه الوظيفة نظرا لما هو معروف عنه بأنه رجل خدم العلم واشتهر عنـه ذلك في جميع البلاد ، كما كان عظيم النفـوذ لدى الاتابكة الذين خلفوا سيفالدين غازي[3] •

وكان الحسن بن محمود بن الحسن الخجندي بن الحكاك شاعرا وأديبا معروفا وقد نشأ في سنجار وتولى ديوانها في عهد عمادالدين زنكي بن مودود[4] • ومن الجدير بالاشارة هنا ان ديوان الموصل ودواوين المـدن التابعة لها في العهد الاتابكي كانت دواوين جند وربما استمر ذلك فقط بالنسبة لدواوين المدن التي تقع ضمن أعمال الموصل في عهـد بدرالدين اؤلؤ خليفة الاتابكيين •

---

(١) ياقوت ، معجم الادباء ج ٦ ص ٣٨ ، ابن الساعي ، الجـامع المختصر ج ٩ ص ٢٥٧ ، ٢٩٩ •

(٢) ن٠م٠ نفس الصفحات •

(٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر ج ٩ ص ٣٠٠ •

(٤) ن٠م٠ ص ٢٥٧ •

ولضمان ورود واصدار المكاتبات بين ديوان الموصل ودواوين المدن الاخرى استخدم البريد لهذا الغرض والظاهر ان الوسائل التي كانت تستخدم بنقل البريد في العهد الاتابكي ظل معمولا بها في عهد بدرالدين لؤلؤ حيث استخدم الاتابكيون نوعاً خاصاً من الحمام كان يطلق عليه اسم (الحمام الهوادى)[١] لنقل الرسائل الى ديوان الموصل بسرعة وانتظام[٢] • وقد ذكر القلقشندي ان الملوك الاتابكة اعدوا لنقل البريد الخيول والنجب أي الجمال السريعة التي هي أسرع من الخيل واصبر على السير منها ، وكذلك الرجال العدائين[٣] وذلك لاتساع مملكتهم وترامي أطرافها[٤] • ولذلك فأن بدرالدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح ظلا متمسكين بهذا التنظيم ، فقد أشار رشيدالدين فضل‌الله الى ما يدل على ذلك[٥] فالرسائل التي كانت تحمل مهام ادارتهما وأسرارها أو التي كان يوجهها بدرالدين لؤلؤ الى الخلفاء العباسيين أو الى ملوك المنطقة وامرائها لابد من تأمين ايصالها بانتظام • وكان يتم ذلك على يد رجال مرتبطين بالديوان حيث يعتبر قيامهم بهذا العمل جزءاً من وظيفتهم فيه[٦] •

---

(١) ويسمى الحمام الزاجل أيضا ، وهو نوع خاص لنقل الرسائل من مكان الى آخر ، وقد اتخذه الاتابكة لهذا الغرض • وكان يعرف حتى وقت متأخر •

(٢) كان في كل ثغر من ثغور الدولة الاتابكية في الشام والعراق رجال يقومون بتربية عدد معين من الحمام ففي كل مدينة ينقل الحمام الرسائل الى المدينة المجاورة لها ولا يتعداها لمدينة أخرى (أنظر ابن الاثير ، الباهر ص ١٥٩) •

(٣) صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٧ •

(٤) ن•م• ابن الاثير ، الباهر ص ١٥٩ •

(٥) جامع التواريخ ج ٢ ق ١ ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ •

(٦) ابن الاثير ، الباهر ص ١٥٩ •

وليست لدينا معلومات تشير الى استعمال الخيول في البريد على نطاق واسع أيام بدرالدين لؤلؤ وابنه الملك الصالح كما هو الحال في الدولة الاتابكية ٠

ولاجل ان يسيطر بدرالدين لؤلؤ على ادارة ممتلكاته بكل حزم وقوة بث الجواسيس في أنحائها ليوصلوا اليه ما جدّ من أخبار ليقوم باصلاح ما فسد[١] حتى ان أعمال الموصل كان يطلق عليها أحيانا اسم (أعمال بدرالدين لؤلؤ)[٢] مما يدل على هيمنته وقوة نفوذه الاداري فيها ٠

اما وظيفة القاضي فهي من الوظائف الجليلة[٣] التي ذكرها القلقشندي ضمن أرباب الوظائف الدينية[٤] حيث كان يقوم بالفصل بين الخصوم وحل المنازعات واصدار الاحكام بمقتضى الشريعة الاسلامية[٥] ٠ وكان قاضي القضاة في بغداد هو الذي يتولى تعيين القضاة في الموصل وأعمالها ويشرف على مراقبتهم ونقلهم وعزلهم[٦] ٠ فقد أشار ابن الفوطي الى ان قاضي قضاة بغداد عمادالدين ابي نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر المتوفى سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م[٧] قلّد قضاء الموصل موفق‌الدين أبا المحاسن القاسم بن هبة‌الله بن

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٠ ٠

(٢) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ قسم ٣ ص ٦٠٨ ٠

(٣) وكانت من اشرف مناصب الاسلام لان القضاة كانوا يستقون احكامهم من الشريعة الاسلامية ٠

(٤) وقال عنها (وهي من ارفع الوظائف الدينية وأعلاها قدرا واجلها رتبة) صبح الاعشى ج ٤ ص ٣٤ ـ ٣٥ ٠

(٥) ابن الاثير ، الباهر ص ١٨٨ ٠

(٦) العراق في عهد المغول الايلخانين ص٧٠ ـ ٧١ ٠

(٧) أنظر ترجمته في تلخيص مجمع الآداب ج ٤ قسم ٢ ص ٨٧٣ ٠

محمد بن أبي الحديد المدائني[١] .

والظاهر ان ذلك لم يكن يجري الا في أيام الاتابكة ، اما في عهد بدرالدين لؤلؤ فقد تغير الحال عما كان عليه حيث أصبحت لديه سلطة ترشيح القضاة لمناصبهم أو عزلهم أو نقلهم ، فذكر ابن الدبيثي ان قاضي الموصل عمادالدين محمد بن يونس قد عزله بدرالدين لؤلؤ أكثر من مرة واحدة[٢] وأشار السبكي الى ان عبداللطيف بن أحمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري قد ولي القضاء في الموصل عدة مرات[٣] كما تولى أبو اسحق ابراهيم بن نصر بن عسكر الشافعي قضاء السلامية حيث ابقاه بدرالدين لؤلؤ مدة طويلة في وظيفته[٤] .

وفي ٦٢٩هـ/١٢٣٢م رتب بدرالدين لؤلؤ أبا الفضل ابراهيم بن أحمد بن غازي بن محمد شرف‌الدين المعروف بأبن فلوس قاضيا في مدينة الرها وهي من أعمال الموصل[٥] وكان لكل قاضٍ من هؤلاء القضاة عدد من العدول[٦] يختارهم بنفسه من بين الاشخاص المعروفين بالتقوى وحسن

---

(١) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ج ٢ ص ٣٣٧ ، السبكي طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٥٨ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٣٣١ .

(٢) ذيل تاريخ بغداد (مخطوطة مصورة) ج ٢ الورقة ١٨٩ .

(٣) طبقات الشافعية ج ٥ ص ٥٤ .

(٤) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ١٧ (السلامية وقد اجاد ياقوت في وضعها وذكر محاسنها ورجالها وقال بانها من قرى الموصل في يومنا هذا ، انظر معجم البلدان ج٣ ص١١٣) .

(٥) عبدالقادر النعيمي ، الدارس في اخبار المدارس ج ١ ص ٥٤١ .

(٦) ابن الاثير ، الباهر ص ١٢٩ . ويرى الدكتور جعفر خصباك ان هؤلاء كانوا يؤلفون هيئة محترمة بين الناس يرشح افرادها لتولي مناصب القضاء والحسبة وادارة الاوقاف وكثير من مناصب البلاط والادارة العباسية . (العراق في عهد المغول الايلخانين ص ٧١) .

الخلق حيث يقومون بمساعدته بالشهادة بين يديه أو تزكية الشهود[1] • وكان القاضي يحتاج الى خدماتهم لمعاونته في مهمته • وكان القضاة يجلسون في مكان معين للأجتماع بالمتخاصمين يعقدون (مجلس الحكم)[2] وهو مكون من القاضي والشهود العدول والموقعين والحجاب[3] وينظرون في القضايا المعروضة بين أيديهم • وكانت الجوامع هي المكان التي تعقد فيها مجالس الحكم في أغلب الاحيان • وقد ورد ما يشير الى ان قاضي الموصل ويسمى (الحاكم)[4] كان يقيم (بدار العدل)[5] وخاصة في الفترة الواقعة من ٦٠٧ – ٦١٥هـ/١٢١٠ – ١٢١٨م[6] للفصل في المنازعات الناشئة بين المسلمين وغيرهم واصدار الاحكام • غير ان بدرالدين لؤلؤ لم يسمح للقضاة بالجلوس في دار العدل فقد كان يسعى الى الغائها وفقا لسياسته الداخلية لاعفاء مخلفات وآثار الملوك الاتابكيين •

وكانت القضايا التي يتناولها القضاة للفصل فيها متنوعة منها ، قضايا السرقات وشرب الخمر والزنا والمواريث والوصايا والمناكحات والطلاق

---

(١) ويطلق عليهم أيضا اسم (الشهود العدول) • وكان القاضي يتصفح أحوالهم ويراقبهم ويعاقب من يسيء استعمال السلطة وكانوا يتولون احيانا الفصل في المنازعات نيابة عن القاضي •

(٢) ابن الاثير ، الباهر ص ٢١ ، ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٢٦٥ – ٢٦٦ •

(٣) ويرجح كذلك اشتراك صاحب الشرطة في مجلس الحكم للعمل على استتباب النظام وتنفيذ الاحكام وخاصة في الدول الاسلامية ولكننا لم نسمع بمثل ذلك في الموصل •

(٤) ابن الاثير ، الباهر ص ١٨٨ •

(٥) ن•م• ص ٢٠٣ •

(٦) كان الملوك الاتابكة يجلسون في دار العدل ويحضرون القاضي ليشرع في الفصل في المنازعات ويقومون في أغلب الاحيان بمباشرة بعض القضايا بأنفسهم (ن•م• ص٢٠٣) •

وقضايا جنائية • وربما كان القضاة في الموصل يقومون بواجبات وظيفة الحسبة وصاحبها المحتسب وموضوعها كما قال القلقشندي « التحدث في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراقبة المعايش والصنائع ومعاقبة من خرج عن الطريق السوي في معيشته وصناعته »[١] • لاننا لا نسمع بوجود وظيفة المحتسب في عهد بدرالدين لؤلؤ • فقد ذهب الاستاذ الدكتور جعفر خصباك الى ان وظيفة المحتسب كانت شديدة القرب من وظيفة القاضي حتى انه كان يكلف بها في كثير من الاحيان[٢] •

وكان قاضي الموصل يقوم بواجبات قاضي العسكر[٣] أيضا فيفصل في الخصومات الناشئة بين الجند لاننا لا نسمع بوجود هذه الوظيفة التي كانت من الوظائف الدينية الجليلة في الدول الاسلامية حيث كان قاضي العسكر يحضر بدار العدل مع القضاة ويسافر مع السلطان ويصاحب الجيش أثناء الحروب[٤] • ولذلك اكتسبت وظيفة القاضي في الموصل أو في أعمالها أهمية كبيرة في عهد بدرالدين لؤلؤ حتى انه صار يختار قضاته من بين الاشخاص المخلصين له فقد ابقى ضياءالدين القاسم بن يحيى الشهرزوري قاضيا للموصل سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م وذلك لانه سعى الى الحصول على تقليد الخليفة الناصر لدين الله في ابقاء بدرالدين لؤلؤ مدبرا للدولة وقائما بشؤونها[٥] كما ورد ان عمادالدين محمد بن يونس الموصلي قد ولي

---

(١) صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٧ •

(٢) العراق في عهد المغول الايلخانين ص٧٢ •

(٣) أنظر حول واجبات قاضي العسكر ، محمود بن محمد بن عرنوس ، تاريخ القضاء في الاسلام (القاهرة ، المطبعة الاهلية المصرية الحديثة) ص ٨٠ •

(٤) ن•م• ص ١٩٩ •

(٥) انسان العيون في مشاهير سادس القرون (مخطوطة في مكتبة المتحف) الورقة ١٤٠ •

قضاء الموصل في عهد الاتابك نورالدين ارسلان شاه بن مسعود ولكنه عزل عن وظيفته ، ومن المحتمل ان عزله كان بسبب عدم اطمئنان بدرالدين لؤلؤ الذي كان مدبراً للاتابك اليه[1] .

وهناك نوع من القضاء كان يمارسه بدرالدين لؤلؤ بنفسه وذلك تشبها بالملوك الاتابكيين حيث كانوا (يجلسون بدار العدل للانصاف والاشراف والاخذ من الاقوياء للضعفاء)[2] وكانوا يحكمون بما تقضي به الشريعة الاسلامية فيأمرون القاضي بتدوين اللوائح ضد الاشخاص الذين يدانون وبكتابة الاثبات لاصحاب الحق والاشهاد على الجميع[3] . ومع ان بدرالدين لؤلؤ اهمل دار العدل وابطل العمل فيها فأنه كان (يجلس لكشف ظلامات الناس وانصاف بعضهم من البعض الآخر في دار المملكة)[4] مما جعله على حد قول ابن الأثير (أكثر ملوك الاتابكة للحق اتباعا واعدلهم احكاما)[5] وقد ساعد ذلك بطبيعة الحال على (احياء العدل بين الرعية)[6] . ويبدو ان قيام بدرالدين لؤلؤ بأنصاف الناس عن طريق ممارسة صلاحيات القضاة واختصاصاتهم قد اتخذه وسيلة للتقرب من الرعية لتنفيذ أغراضه السياسية في تثبيت سلطته وتركيزها وتحويل الانظار نحوه وصرف تعلق الناس بالملوك الاتابكيين .

وبالاضافة الى ما مرّ كانت هناك وظيفة (المماليك) الذين كانوا

---

(١) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ج ٤ قسم ٢ ص ٨٥٦ .

(٢) ابن الاثير ، الباهر ص ٢٠٣ .

(٣) ابن الاثير ، الباهر ص ١٨٨ .

(٤) ن٠م٠ ، الكامل ج ١٢ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ ، ونقل عنه ابن واصل مفرج الكروب ج ٣ ص ٢٦٢ .

(٥) الباهر ص ٢٠٣ .

(٦) الكامل ج ١ ص ٣ .

يمثلون في البلاد الاسلامية طبقة اجتماعية متميزه يخرج منها موظفو الدولة واعيانها من المدنيين والعسكريين • وقد كانت وظيفة الشرطة التي لا نسمع بوجودها في هذه الفترة في الموصل لذلك كانت واجبات المماليك تشابه الى حد كبير ما كان يقوم به الشرطة في البلاد الاسلامية الاخرى ، فكانت تقوم على المحافظة على الامن العام في الموصل بالقضاء على حوادث الثورات والعصيان والتمرد والشغب بالاضافة الى قيامهم بواجب المحافظة على حياة بدرالدين لؤلؤ بتمثيل دور الحرس الخاص به[1] • كما انهم كانوا يقومون بمراقبة الموظفين ورؤساء الادارة حتى انهم أصبحوا عين بدرالدين لؤلؤ على الموظفين المدنيين والعسكريين •

ويبدو ان بدرالدين لؤلؤ قد استكثر منهم[2] حتى أصبحوا أعدادا كبيرة ، وكان مصدرهم في الغالب مناطق اواسط آسية وبلاد الروم السلاجقة ، حيث كانوا يجلبون رقيقاً عن طريق الشراء ويستخدمون في الدولة للاغراض التي ذكرناها ، كما ان فيهم من أهل الموصل أيضا أو المدن الاخرى اذ انهم كانوا يؤلفون جماعة مرتزقة •

ونجد الى جانب هذه الوظائف وظيفة النائب واهميته تتبيّن خارج الموصل أي في المناطق التي من أعمالها وخاصة البلاد المفتوحة ، والنائب موظف اداري يمثل رئيس وحدة ادارية وأهم واجباته الاشراف العام على ادارة المدن والبلاد المفتوحة وتوجيهها نيابة عن بدرالدين لؤلؤ[3] وكان (أمين الدين لؤلؤ) خير من يمثل بدرالدين لؤلؤ وينوب عنه وخاصة في مدينة العمادية حيث أشرف على ادارتها المدنية هناك[4] •

---

(١) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١١٥ •

(٢) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١١٥ ـ ١١٦ •

(٣) ابن الاثير ، الكامل ج ١٢ ص ١٨٣ و ١٨٤ •

(٤) ن٠م٠ ص ١٨٤ •

ويبدو ان النائب كان يصحب جيش الموصل في تنقلاته فاذا ما أتمَّ فتح مدينة تولى الاشراف على ادارتها ، وقد ذكر ابن الاثير عبارات (النائب البدري) و (نائب بدرالدين لؤلؤ) و (نواب بدرالدين)[1] مما يدل على وجود عدد كبير منهم كان صاحب الموصل يستخدمهم لادارته في البلاد المفتوحة ٠

ويشغل الامراء (جمع أمير) وهي وظائف ادارية مختلفة سواء في الجيش[2] أو في الادارة المدنية[3] وتكون واجباتهم متنوعة ومتميزة بحسب اهمية ومكانة كل منهم لدى بدرالدين لؤلؤ فالقائد أو الرئيس الاداري أو النائب وغيرهم من أصحاب النفوذ كانوا يسمون أحيانا امراء ، وكانت كلمة أمير شائعة في البلاد الاسلامية وصاحبها كل من له منزلة اجتماعية أو سياسية ويكون على جانب من المهارة والادراك الاداري أو السياسي ٠

ومن الجدير بالذكر ان تولية المناصب في عهد بدرالدين لؤلؤ لم يكن يلتزم أسلوبا مستقرا بل كان عرضة لأهوائه الشخصية ولذلك أصبحت سلطته على رعيته غير محدودة كما انه لم يكن للرعية حقوق بل عليهم واجبات من أهمها دفع الضرائب والطاعة التامة ٠

غير انه من الناحية الاخرى كان يحسن الى الرعية ويقطعهم الاقطاعات الجليلة[4] فيميلون اليه ويطمئنون الى حكمه ، فقد أرسل اليه أهل قلعتي الهكارية والزوزان يطلبون منه الانضمام الى حكمه في ٦١٨هـ/١٢٢١م

---

(١) ن٠م٠ ص ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٨٣ ٠

(٢) الحوادث الجامعة ص ١٤٤ ٠

(٣) ابن الاثير ، الباهر ص ٢٠٣ ، الكامل ج ١ ص ٣ ، ج ١٢ ص ١٣٨ ٠

(٤) ابن الاثير ، الكامل ج ١٢ ص ١٤٣ ٠

(٥) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٣٨ ٠

فسارع الى ذلك ووصلهم بالاموال الجزيلة والخلع السنية[1] •

وأخيرا لابد لنا في هذا الفصل من ان نتطرق الى دراسة الاحوال الادارية العامة لامارة الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ ، فنذكر بعض التقسيمات الادارية التي نوهت بها المصادر ؛ وبالرغم من غموض بعض تعابير الاصطلاحات الادارية التي وردت بهذا الصدد ، فأن هناك نصوصا مهمة تلقي ضوءاً مفيد على هذه التقسيمات •

لقد شمل البلاد الأسلامية في بداية القرن الخامس الهجري اضطراب داخلي افقدها وحدتها الأدارية والسياسية بالاضافة الى ان الغزو المغولي والصليبي كانا يهددان سلامتها أيضا ، وكانت سورية وفلسطين بصورة خاصة تعانيان من هذا الاضطراب أسوة بالعالم الاسلامي فاتاح هذا الجو المضطرب الفرصة للأمراء المحليين بالشام والجزيرة الفراتية حيث استقل بما تحت يده ، ثم عملوا بعد ذلك على توسيع نفوذهم وسيطرتهم الى ما وراء حدود اماراتهم فتوزعت هذه المنطقة الى امارات عديدة لم تكن لها حدود ثابتة دائمة ، وحتى اذا ما جاء القرن السابع الهجري أصبحت هناك في هذه المنطقة مجتمعات منعزلة حيث استقل كل منها بمواجهة مشكلاته الداخلية فتكون لكل وحدة من هذه الوحدات السياسية الاجتماعية كيان خاص بها ، غير انها مع ذلك لم تستطع التحكم في تثبيت حدودها ، وقد كانت لهذه الوحدات الاقليمية حكومة تقوم بادارتها وتفرض سيطرتها على المناطق التابعة لها مع محاولة توسيع هذه المناطق ان امكن •

وكانت امارة الموصل التي استقل في حكمها الملوك الاتابكيون منذ سنة **٥٢١هـ/١١٢٧م** قد تكوّن لها مثل هذا الكيان الاقليمي ، فضمت اليها بالاضافة الى الموصل بضع مدن ونواح كان يطلق عليها اسم (أعمال

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ج ١٢ ص ١٨٣ •

الموصل)[1] وأهم من يمثلها جزيرة ابن عمر وسنجار ونصيبين[2] وأصبح هناك نوع من التمييز بين المدينة والقرية وخاصة ما يتعلق الامر بادارتها ، فالمدينة كانت تتطلب ادارتها شيئاً من التعقيدات على عكس القرية التي أصبحت ادارتها بسيطة لا تتعدى الاشراف الاداري على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وتنظيمها في اطار بسيط ٠

وفي عهد بدرالدين لؤلؤ لا نسمع ما يشير الى وجود مناطق ادارية ثابتة وواضحة المعالم تنقسم اليها الامارة ، ولكن على ما يبدو كانت التقسيمات الادارية لامارته تظهر بصورة أوضح مما كانت عليه أيام الاتابكة ، حيث أصبح يحكمها حكما قويا حازما ولا يفرط في مصيرها ، مما جعله يسعى الى تنظيم ادارتها لتشديد قبضته عليها ، يضاف الى ذلك ان اربل وأعمالها كانت تابعة لامارة الموصل في العهد الاتابكي[3] مما جعل ادارتها صعبة ولا يمكن التحكم فيها ، وقد أشار ابن شداد الى (أرض الموصل وأرض اربل)[4] وهما منفصلتان كل امارة لها تنظيماتها وادارتها وهي تتألف من مناطق معينة وتشتمل على عدد من المدن والقرى والنواحي[5] وهي عبارة عن وحدات ادارية متميزة في ادارتها ومرتبطة بالموصل وان جميع ما كان يتبع الموصل من هذه المناطق الادارية بالتبعية والولاء لبدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل[1] ، مما يدل على وجود مناطق وضعت لها اسس وتنظيمات

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ج ١٢ ص ١٣٩ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، معجم البلدان ج ١ ص ١٨٦ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥ ٠

(٢) ابن الاثير ، الباهر ص ٢٤ ٠

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ج١ ص١٨٦ ، أبو شامة ، (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين) ج٢ ص٥٣ ٠

(٤) الاعلاق الخطيرة (مخطوطة قسم الجزيرة) الورقة ٦٤أ ــ ٦٤ب ٠

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ١٨٦ ٠ ابن الفوطي ، تلخيص ج ٥ ، مجلد ٢٣ ، عدد ٢ ص ٢٢٧

Oriental College Magazin (الهند)

(٦) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، الورقة ٦٤أ ــ ٦٤ب ٠

معينــة لادارتها • كان يقــوم بدرالدين لؤلؤ بتعيين حكام هــذه المناطق[٢] ويقيّدهم بترسم أسلوب شديد من المركزية ، ولم يكن من الضروري ان يعيّن حاكما خاصا لكل مدينة أو قرية ، بل انه قد يمنح بضع قرى أو مدن لحاكم واحد يدير شؤونها بواسطة النواب[٣] • مما يدل على ان هذه المدن والقرى تقع في منطقة ادارية واحدة فيسهل على الحاكم ادارتها فقــلاع (أروخ وألقا وبأخوخا) كانت من أعمال مدينة الزوزان ، وكان يحكم هذه القلاع حاكم الزوزان نفســه الذي كان يدين بالولاء والتبعية لبدرالدين لؤلؤ[٤] وكان النائب يحكم هذه المراكز في ادارة مدنيــة بينمــا يفرض المستحفظ[٥] عليها حكما عسكريا يقابل في سلطاته الآن ما ندعوه بالحاكم العسكري ، ويذكر ابن الاثير ان الحكام الذين كانوا يعينهــم بدرالدين لؤلؤ في هذه المراكز لم يكونوا في أغلب الاحيان حكاما دائمين فيها فلم يلبثوا ان عادوا بعد مدة وجيزة الى الموصل بعد ان رتبوا أمورها الادارية أي نظموها[٦] فكان بدرالدين لؤلؤ عندما يخضع المدن والقرى له يصلح أمرها ويعمل على تعميرها مما يدل على اهتمامه بادارتها ففي ٦٤٦هـ/١٢٤٨م اخضع تصيبين له فعمل على بناء قلعتها وتشييدها[١] وتعيين الولاة من الحكام عليها ممن يسهر عليها ويدافع عنها ويقوى على ترتيب أمورها بكل مهارة وكفاية[٢] •

---

(١) الكامل ج ١٢ ص ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٣ • أنظر أيضا الحوادث الجامعة ص ١٤٤ • الاعلاق الخطيرة ، الورقة ٤١أ •

(٢) ن•م• نفس الصفحات •

(٣) ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٤ •

(٤) الكامل ١٤ ج ١٢ ص ١٣٨ ، ابن العبرى الدول الســـرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص ١٣٣ •

(٥) الكامل ج ١٢ ص ١٦٩ •

(٦) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، الورقة ٤١أ •

(٧) ن•م• الورقة ٤٤ب •

الفصل الخامس

الحركة العلمية والادبية في الموصل

في عهد بدرالدين لؤلؤ

الفصل الخامس

الحركة العلمية والثقافية

شهدت العصور الاسلامية المتأخرة ازدهار كثير من العلوم والمعارف فظهرت عدة مراكز للثقافة العلمية ، ولكن بغداد احتفظت بمركزها الخاص وكان تأثيرها العلمي يظهر في البلاد القريبة منها كالموصل حيث انتقلت اليها الافكار العلمية عن طريق العلماء والفقهاء والمدرسين ورواد العلم ، الذين تلقوا معارفهم في مدارس بغداد الشهيرة وعندما بدأ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) أصبحت الموصل أحد المراكز الثقافية والعلمية المهمة في العالم الاسلامي ، كما انها صارت لا تقل أهمية ونشاطا عن مراكز الثقافة الاخرى في بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها •

والحق ان النشاط الثقافي والعلمي في الموصل كان يحظى بأهتمام بدرالدين لؤلؤ ورعايته ، فأخذ بيد العلماء والفقهاء وبذل لهم الاموال الكافية وسد نفقاتهم المختلفة[١] وانشأ المدارس وعين لها المدرسين من أشهر العلماء ، حيث كانوا يقومون بتدريس العلوم الاسلامية والفلسفة والآداب والعلوم العقلية ، فوفد الطلاب الى الموصل من البلاد الاخرى للتفقه والتعلم والدراسة[٢] •

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ج ١٢ ص ٣ ، الباهر ص ٢٠٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢١٤ •

(٢) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ج ٥
Oriental College Magazin (الهند)
العدد ٨٦ ص ٢٩٣ ، ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج ٢ ص ٢٧٣ — ٣٣٩ ، السبكي طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٥٨ •

ولم يقتصر نشاط بدرالدين لؤلؤ على ذلك بل كان يتخذ لنفسه الندماء من العلماء والادباء والشعراء[1] ويقربهم من بلاطه ويأمرهم بملازمة مجلسه الذي كانت تجرى فيه المناظرات وقراءة الكتب التي تحوى صنوفا من المعرفة مثل التاريخ الذي يشتمل على السيرة والاخبار المتعلقة بأخبار العالم والفقه والفلسفة ، وكان هذا النشاط يجرى في مواسم معينة من كل سنة حيث كان الكاتب المشهور ضياءالدين بن نصرالله بن محمد بن الاثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م وأخوه المؤرخ الشهير عزالدين علي بن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م يقومان بقراءة هذه الكتب وتوجيه النشاطات العلمية في بلاطه . ولابد من الاشارة الى اهتمام بدرالدين لؤلؤ في الناحية العلمية فيما ذكره ابن الطقطقى في كتابه الفخري في الآداب السلطانية فيقول انه (كان يستنبط المعاني والاستدلالات الجميلة ويهتم اهتماما عظيما بما يجرى في مجلسه من عرض لصنوف المعرفة)[2] ان الدور الكبير الذي كان يقوم به بدرالدين لؤلؤ في تشجيع العلماء والفقهاء وتيسير نشاطاتهم العلمية المختلفة قد أثمر بايجاد حركة علمية لها خصائص متميزة .

ولعل من المفيد ان نستعرض أهم ما ورد من النشاطات العلمية والثقافية التي كان يقوم بها العلماء الموصليون لنتفهم دور بدرالدين لؤلؤ في خلق الحركة العلمية وتطويرها :

لقد كان كمالالدين موسى بن أبي الفضل بن محمد بن منعه بن يونس الموصلي المتوفى سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م من أبرز علماء الموصل الذين شملهم بدرالدين لؤلؤ برعايته . وقد أورد ابن خلكان وهو معاصر معلومات

---

(١) ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج اليه ج ١ ص ١٦٢ ، ابن المستوفي تاريخ اربل (كما جاء في وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٤ ص ٣٩٨) .

(٢) أنظر ص٨ ، ١٨ .

مفصلة عن نشاطه ودوره العلمي في هذه الفترة فقال : ان كمال الدين بن يونس قد اشتهر فضله وانثال عليه الفقهاء وتبحر في الفنون واشتغل في العلوم كما جمع حوله في الموصل سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م الكثير من الطلاب ، حيث اتقن أربعة وعشرين فناً دراية متقنة[١] . وكان يدرس الحكمة والمنطق والطبيعي والطب والرياضيات والجبر والموسيقى ويبحث في العربية والتصريف بحثا تاما مستوفيا ويقرأ كتاب سيبويه وكتاب الايضاح وكتاب التكملة لأبي علي الفارسي وكتاب المفصل للزمخشري ، وكان له في التفسير والحديث وما يتعلق بهما وأسماء الرجال جهود مثمرة ويحفظ من التواريخ وأيام العرب ووقائعهم والاشعار شيئا كثيرا ، ويمضي هذا المؤرخ المطلع قائلا : ان مجموع ما كان قد تعلمه ابن يونس من العلوم والفنون لم يسمع عن أحد ممن تقدمه أو ممن عاصره انه جمع الاشتغال فيها . ويضيف ان أثيرالدين المفضل أبو عمرو بن المفضل الابهري المتوفى سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م (صاحب التعليقة في الخلاف واحد فقهاء العصر) كان احد تلامذته . وقد قصد أربل سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م ليقوم بعمله في التدريس هناك . وقد لاحظ ابن خلكان بينما كان يتلقى علومه الفقهية عليه ان اثيرالدين قال لأحد فقهاء بغداد : كيف كان اقبال الديوان العزيز عندما دخل كمال الدين بن يونس الى بغداد في طريقه الى الحج ؟ فقال له الفقيه : ما انصفوه على قدر استحقاقه . فقال أثيرالدين : ما هذا الاعجب ، والله ما دخل بغداد مثل الشيخ . فاستعظم ابن خلكان منه هذا الكلام وقال له : يا سيدنا كيف تقول هذا ؟ فقال : يا ولدي ما دخل بغداد مثل أبي حامد الغزالي ، والله ما بينه وبين الشيخ ابن يونس نسبة[٢] . ويستطرد قائلا : ان اثيرالدين على جلالة قدره في العلوم كان يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه ويقرأ عليه والناس

---

(١) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩٦ .

(٢) ابن خلكان وفيات الاعيان ص ٣٩٩ .

يومذاك يشتغلون في تصانيف أثيرالدين المفضل ابن عمرو[1] ٠

ونقل ابن خلكان عن ابن المستوفي الذي كان زميلا لكمالالدين ابن يونس ما يشير الى منزلته العلمية وشهرته في البلاد ، ففي **٦٣٧هـ/١٢٣٩م** كان في مدينة حلب عالم اشكلت عليه مسائل في علم الحساب والجبر والمقابلة والمساحة فأرسل الى كمالالدين بن يونس يطلب اليه حلها وبعد اشهر (عاد جوابه من الموصل وقد كشف عن خفيّها واوضح غامضها وذكر ما يعجز الانسان عن وصفه)[2] وذكر ابن ابي اصيبعة ان كمالالدين بن يونس (كن علاّمة زمانه وأوحد أوانه وقد اتقن الحكمة وتميّز في سائر العلوم وكان عظيما في العلوم الشرعية والفقه)[3] ٠ ونوه ابن الفوطي الى

---

(١) ن٠م٠ ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ٠

(٢) كان كمالالدين بن يونس في هذه الفترة يتولى التدريس في مدارس الموصل ومنها العلائية والقاهرية والكمالية والبدرية ٠ وكان يحضر في دروسه جماعة من المدرسين أرباب الطيالس (أي الذين يرتدون الارواب تجلة للعلم) وفي أحد الايام كان الشاعر العماد أبي علي عمر بن عبدالنور ابن يوسف الصنهاجي اللزني النحوي حاضرا في بعض دروسه فأنشد قائلا [من الطويل] :

كمال كمالالدين للعلم والعلى ... فهيهات ساع في مساعيك يطمع
اذا اجتمع النظار في كل موطن ... فغاية كل ان تقول ويسمعوا
فلا تحسبوهم عن عناد تطيلسوا ... ولكن حياء واعترافا تقنعوا

وقال أيضا :

تجر الموصل الاذيال فخرا ... على كل المنازل والرسوم
بدجلة والكمال هما شفاء ... لهيم أو لذي فهم سقيم
فذا بحر يدفق وهو عذب ... وذا بحر ولكن من علوم

وفيات الاعيان ص ٤٠٠ ٠

(٣) عيون الانباء في طبقات الاطباء ج ٢ ص ٣٣٧ ٠

انه (شيخ وقته في علم الاصول والحكمة ، متفق على فضله ومعرفته وكان يدرّس في عدة مدارس في الموصل ويقصد من الشرق والغرب للقراءة عليه والاستفادة منه)[1] . وأفاد زكريا بن محمد القزويني المتوفى سنة **٦٨١هـ/١٢٨٢م** ان الشيخ كمال‌الدين بن يونس (كان جامعا لفنون العلوم عديم النظير في زمانه واذا ما نوقش في أي علم أو فن ظهر كأنه صاحبه)[2] ويشير السبكي الى انه (كان موصوفا بالذكاء المفرط واليه مرجع أهل الموصل وما والاها[3] ويورد ياقوت أبياتا لأحد الشعراء ممن عاصر الشيخ كمال‌الدين بن يونس يمدحه فيها وهي تلقي ضوءاً مفيدا على مركزه العلمي هذا : [من البسيط]

حيـــا نداك كمال‌الدين احيـانا ونشر فضلك عن محياك حيانا
فضاع نشرك في الحدباء واشتهرت آيات فضلك ارسالا ووحدانا
يا افضل الناس في علم وفي ادب وارجح الخلق عند الله ميزانا[4]

ويذكر الاستاذ (الدوميلي) Aldo-Mielli ان (فردريك الثاني) انبراطور رومه[5] اقترح عرض عدة مسائل على كمال‌الدين بن يونس

---

(١) مجمع الآداب ج ٥ Oriental College Magazin (الهند) العدد ٨٦ ص ٢٩٣ .

(٢) اثار البلاد واخبار العباد ص ٤٦١ ـ ٤٦٣ .

(٣) وقال أيضا :

وكان من العلوم بحيث يقضي له في كل علم علم بالجميع

طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٥٨ .

(٤) معجم الادباء ج ٦ ص ٤١ .

(٥) نصب فردريك الثاني ٦١٣هـ/١٢١٥م انبراطورا لروما وكان قد سبق له ان تلقى علومه على يد المعلمين العرب كما انه اتصل اتصالا وثيقا بالمسلمين في صقلية وسورية خلال الحروب الصليبية فأصبح من المعجبين بثقافة المسلمين . وكان محبا للحكمة والمنطق والطب (أنظر كتاب

وأجاب عنها(١) ٠

ان نشاط كمال الدين بن يونس العلمي وشهرته التي أخذت تتعاظم في نفوس علماء وفقهاء عصره جعلتهم يشدّون الرحال اليه للأجتماع بـه وتبادل المعرفة معه، وقد أشار ابن خلكان بهذا الصدد الى ان أحد علماء بغداد كان يقول : (ما تركت بلادي وقصدت الموصل الا للاشتغال على الشيخ كمال الدين بن يونس)(٢) ٠ ويورد ابن أبي اصيبعة نقلا عن نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي ، ان نجم الدين القمراوي وشرف الدين المتاني وهما من علماء ذلك العصر المشهورين (قصدا الموصل) طلبا للعلم واجتمعا الى كمال الدين بن يونس وانتفعا به)(٣) ٠ ويضيف هذا المصدر ، ان رشيد الدين بن خليفة قرر السفر الى الموصل ليجتمع بالشيخ كمال الدين ابن يونس فيشتغل عليه وذلك لما بلغه (من علمه وفضله الذي لم يسبق اليه أحد(٤)) ٠ ويشير السبكي الى ان العالم الرياضي علم الدين قيصر أبي القاسم المعروف بتعاسيف كان يتلقى معارفه في الموسيقى على يد الشيخ

المكتبة العربية الصقلية ، تحقيق ميخائيل اماري ـ ليبسك ـ ١٨٥٧م) ص٥١١ ، الدومييلي ، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي (ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى ط ١ ١٩٦٢) ص ٤٤٥ وما بعدهـا ، M. M. Sharif الفكر الاسلامي منابعـه وآثاره (ترجمة الدكتور أحمد شلبي) ص ١٧٦ ٠

(١) العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ٠ أنظر أيضا :

G. Sarton, Introduction to the History of Science vol. II, P. 600.

(٢) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩٨ ٠

(٣) عيون الانباء ج ٢ ص ٣٣٨ ٠

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ١٦١ ٠

كمال‌الدين بن يونس[١] • ويضاف الى هؤلاء عدد كبير من الطلاب كانوا يفدون الى الموصل من البلاد الاخرى للتعلم والدراسة على يده أيضا[٢] •

وكان كمال‌الدين بن يونس يلقى الرعاية والتأييد في نشاطه هذا من بدرالدين لؤلؤ الذي كان يرى ان عليه ان يكون راعيا للعلم واهله كما هو شأن ملوك وامراء الدول الاسلامية حينذاك ، فيشير ابن ابي اصيبعة الى ان بدرالدين لؤلؤ كان يسأل كمال‌الدين بن يونس عن حاجاته فيقضيها له[٣] كما ذكر السبكي ان هذا العالم كان يرسل في كل مرة الى بدرالدين لؤلؤ ليشفع عنده في كثير من القضايا المهمة[٤] •

لقد كانت جهود كمال‌الدين بن يونس تؤثر تأثيرا بالغ الاهمية في حركة العلوم والثقافة في الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ ففعالياته وجهوده المتنوعة[٥] التي لم تكن تقتصر على التدريس والمناظرة والمشاركة ووضع

---

(١) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ج ٥
Oriental College Magazin (الهند) العدد ٨٦ ص ٢٩٣ •

(٢) قال نقلا عن جلال‌الدين ، انه كان للشيخ كمال‌الدين عند بدرالدين لؤلؤ حاجة ، فركب عند الصبح ليلقاه فيها ، وكانت عادة بدرالدين لؤلؤ ان يركب الخيل والبغال السريعة المشي ، فلما قدموا له في السحر فرسا وركبه لم ينبعث في السير ، فنزل عنه وركب غيره فلم يستطع السير خطوة ، فبقي متحيرا واذا بالشيخ قد وصل اليه فقال له عن حاجته فقضاها له ثم قال : ما كان الفرس امتنعت عن المشي الا حتى تقدم انت) عيون الانباء ج ٢ ص ٣٣٧ •

(٣) طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٥٨ •

(٤) لقد سبق كمال‌الدين بن يونس غاليلو في معرفة بعض القوانين التي تتعلق (بقانون الرقاص) ، فقال سمث (مع ان قانون الرقاص هو من وضع غاليلو ، الا ان كمال‌الدين بن يونس لاحظه وسبقه في معرفة شيء مهم منه ، فقد وجد ان مدة الذبذبة تتوقف على طول البندول وقيمة

المؤلفات التي كان لها قيمة كبرى عند علماء عصره[1] ، ساعدت الى حد كبير على تطوير هذه الحركة وازدهارها فتشير المصادر الى ان معظم اهتمامه كان منصبا حول العلوم العقلية[2] (أي النظرية) فقد كان يكرس جهودة في التعمق والبحث في دقائقها ويقضي معظم وقته فيها[3] • وقد لمع بصورة

عجلة التثاقل) وكان الفلكيون يستعملون هذا القانون لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد أنظر قدري حافظ طوقان ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (ط ٣ ص ٣٩٨) •

(١) وقال G. Sarton ان كمال‌الدين بن يونس من اعلم علماء زمانه ومن كبار المعلمين ـ أو هو المعلم العظيم ـ ومن أصحاب النتاج الضخم وهو مجموعة معارف شتى من العلوم والفنون أنظر :
Introduction to the History of Science vol. II, P. 600.

ومن مؤلفاته :

١ ـ كتاب كشف المشكلات وايضاح المعضلات في تفسير القرآن •

٢ ـ شرح كتاب التثنية في الفقه •

٣ ـ كتاب مفردات ألفاظ القانون •

٤ ـ كتاب في الاصول •

٥ ـ كتاب عيون المنطق •

٦ ـ كتاب لغز في الحكمة •

٧ ـ كتاب الأسرار السلطانية في النجوم •

(٢) وهي العلوم التي نقلت الى اللغة العربية مثل الطب والهندسة والرياضيات والفلسفة والفلك وسائر العلوم الطبيعية • ويرى الاستاذ M. M. Sharif ان وضع أفكار بعضها الاساسية وتطويرها يرجع الى العلماء المسلمين (الفكر الاسلامي : منابعه وآثاره ص ٧٥ ـ ١٠٧) أنظر أيضا جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي (دار الهلال) ج ٣ ص ٤٢ •

(٣) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩٦ ، القزويني آثار البلاد واخبار العباد ص ٤٦١ ـ ٤٦٣ ابن الفوطي ، تلخيص ج ٥ Oriental College Magazin (الهند) العدد ٨٦ ص٢٩٣ •
وجاء في وفيات الاعيان أيضا ان بعض معاصري كمال‌الدين بن يونس اتهموه =

خاصة في علوم الرياضيات ، فيذكر ابن خلكان (ان معرفته في الرياضيات والمخروطات والمتوسطات و (المجسطي)[١] كانت معرفة لا يشاركه فيها احد الا في ظواهرها دون دقائقها والوقوف على حقائقها)[٢] هذا فضلا عن اطلاعه الكبير في العلوم الاسلامية[٣] • والحكمة والمنطق والاصول والعلوم الشرعية[٤] ولذلك يمكن القول ان الموصل كانت مركزا له اهمية خاصة في علوم الرياضيات وفروعها من تأثير كمال‌الدين بن يونس الذي أصبح مرجعاً مهماً لعلماء بغداد ودمشق في هذا الصنف من العلوم ، كما ان ذلك يجلب انتباه علماء الغرب أيضا •

وهناك ما يشير الى وجود علماء آخرين لمعـوا في العلوم الاسلامية والمنطق والحكمة أو في علوم اللغة العربية والتاريخ والجغرافية ، وقد زود هؤلاء العلماء الحركة في الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ بدفع علمي هام ، فقد كان أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الانباري المتوفى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م[٥] من أكبر ائمة العربية في الموصل ، ماهرا في النحو والصرف وتتلمذ على يديه أغلب علماء حلب وفقهائها[٦] • ووضع أحمد بن الحسين ابن أحمد بن معالي بن منصـور بن علي المعروف بأبن الخباز الموصلي

= في دينه وذلك لشدة ميله لهذه العلوم أولا ولتفسير بعض الظواهر الطبيعية تفسيرا يتفق مع النتائج التي كان يتوصل اليها أثناء بحوثه العلمية ثانيا وهذا لا يتفق كما يرون مع بعض النصوص الدينية (أنظر ج٤ ص٤٠٠) •

(١) أنظر ص ١٦١ •

(٢) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩٦ •

(٣) أنظر ص ١٥٥ •

(٤) وفيـات الاعيـان ج ٤ ص ٣٩٦ ، ابن الفوطي تلخيص ج ٥ العدد ٨٦ ص ٢٩٣ • (الهند) Oriental College Magazin

(٥) ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج اليه ج ١ ص ١٦٨ •

(٦) السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص ٤١٩ •

النحوي المتوفى سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م كتابا في النحو أسماه (النهاية في النحو)[١] الذي كان له تأثير لدى علماء النحو وطلابه في هذه الفترة ، كما قام تقي‌الدين أبو العباس أحمد بن المبارك بن نوفل النصيبي المتوفى سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م بوضع كتاب في العروض[٢] استكمالا لجهود الآخرين في هذا الباب ، يضاف الى انه اشغل وظيفة مدرس لأولاد بدرالدين لؤلؤ حيث كان يقرئهم علوم العربية[٣] .

وأصبح علي بن عدلان بن حماد بن علي عفيف‌الدين أبو الحسن الموصلي عالما نحويا وأديبا مشهورا فكان يقرىء الطلاب النحو والادب[٤] . وكان نصرالله بن محمد بن محمد بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م من أشهر العلماء الذين برعوا في النحو واللغة وعلم البيان وقد كانت مؤلفاته[٥] تتميز بالفصاحة وحسن التعبير وسبك العبارة ، حتى ان الملك الافضل علي بن السلطان صلاح‌الدين الايوبي قد استوزره وعهد كتابة الانشاء اليه غير انه عاد الى الموصل واشتغل فيها أيام بدرالدين لؤلؤ[٦] .

---

(١) ن٠م٠ ، الاصبهاني ، روضات الجنات (الطبعة الحجرية) ص ٨٥ ٠

(٢) السيوطي ، بغية الوعاة ص ١٥٤ ٠

(٣) السبكي ، طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٣ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٦ ص ١٢٣ السيوطي بغية الوعاة ص ١٥٤ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٤٣ ٠

(٤) السيوطي ، بغية الوعاة ص ٣٤٣ ، الصفدي الوافي بالوفيات (مخطوطة مصورة) ج ١٢ قسم ١ الورقة ١١٥ وما بعدها ٠

(٥) واشهرها (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) و (ديوان رسائل) و (الموشي المرقوم في حل المنظوم) و (المعاني المخترعة في صناعة الانشاء) ٠

(٦) وفيات الاعيان ج ٥ ص ٣٢ ، بغية الوعاة ص ٤٠٤ ٠

وأشار ياقوت الى المنزلة الرفيعة التي كان عليها المبارك بن محمد بن محمد بن الاثير فقال : لقد كان ضليعا في سائر علوم اللغة والحديث والتفسير[١] وقد اوجد حوله الكثير من الطلاب تتلمذوا عليه في علوم اللغة والنحو[٢] . ويذكر ابن الساعي فيما يتعلق به أيضا فيقول : انه كان عالما ذا فنون ماهرا في علم العربية والقرآن الكريم ومعرفة واتقان الحديث[٣] الى جانب كونه فقيها في المذهب الشافعي[٤] . وقد انقطع الى العلم والادب والحديث فصار بمنزلة المستشار للأتابكين في الموصل[٥] كما رفض ان يكون وزيراً أيضا[٦] . ونوه السيوطي الى انه كان أحد مشاهير العلماء وأكابر النبلاء وتلقى علوم النحو على العالم البغدادي سعيد ابن المبارك بن علي بن الدهان بن عبدالله المتوفى سنة ٥٦٩هـ/

---

(١) معجم الادباء ج ٦ ص ٢٣٨ .

(٢) بغية الوعاة ص ٣٨٥ ومن مؤلفاته (النهاية في غريب الحديث) .

(٣) الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ وذكر من مؤلفاته (جامع الاصول في أحاديث الرسول) .

(٤) ن.م. نفس الصفحات .

(٥) أبو شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص ٦٨ .

(٦) ذكر ابن الساعي ان أخاه ضياءالدين بن الاثير حدثه فقال : ان سيفالدين غازي اتابك الموصل ولاه ديوان الجزيرة ثم عاد الى الموصل واتصل بمجاهدالدين قايماز مدبر الاتابكة حينذاك وبعد موته اتصل بعزالدين مسعود ثم اختص بولده نورالدين ارسلان شاه ، وعندما أراد الاخير ان يستوزره لم يوافق على ذلك وانهى بدرالدين لؤلؤ اعتذاره بالمرض والعجز عن الحركة فقصده نورالدين ارسلان شاه الى منزله وقال له : قد جئت عائدا ومعاتبا والله ما علمت ان احدا يكره ما كرهته فقال : يا مولانا أنا رجل كبير قد خدمت العلم عمري وقد اشتهر ذلك عني في جميع البلاد (الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠) .

١١٣٧م[١] .

ومن نحاة الموصل وأدبائها المشاهير الذين حظوا بتكريم بدرالدين لؤلؤ أيضا يحيى بن سعيد بن المبارك بن علي بن عبدالله البغدادي الانصاري المعروف بأبن الدهان المتوفى في ٦١٩هـ/١١٢١٩م وقد كان نحويا وأديبا وشاعرا مجيدا ؛ وكان ياقوت قد التقى به في الموصل سنة ٦١٣هـ/١٢١٥م فنوه بفضله على النحو والادب[٢] هناك . ويبدو ان ابن الدهان تلقى علومه اللغوية عن أبيه النحوي الشهير الذي سبقت الاشارة اليه[٣] . واشتهر فخرالدين أبو جعفر بن مكي بن علي بن سعيد البغدادي في البلاغة والبيان ، وكان يشغل وظيفة الخازن لمكتبة الخليفة الناصر لدين الله العباسي واتخذ الموصل مقاما له في سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م فنع الناس وذع صيته[٤] وبرع ياقوت بن عبدالله الرومي الذي درس الادب والنحو على ابن الدهان في جودة الخط واتقانه ، وكانت مؤلفاته النحوية التي كتبها بخطه يتداولها الناس ويتغالون في أثمانها[٥] وبعد انتشار الجنود المغولية في اربل[٦] هرب

---

(١) بغية الوعاة ص٣٨٥ ـ ٣٨٦، القفطي، انباه الرواة على انباه النحاة ج ٢ ص ٤٨ وقال بانه كانت له معرفة كاملة في النحو ويد باسطة في الشعر ، رحل الى اصبهان وسمع بها ثم عاد الى بغداد واستوطنها ثم قصد الموصل فصدر للاقراء بها والافادة والتصنيف (أنظر ياقوت ، معجم الادباء ج ٦ ص ٢٣٨) .

(٢) معجم الادباء ج ٧ ص ٢٧٩ .

(٣) ن.م. ابن الساعي ، الجامع المختصر ج ٩ ص ٩٢٣ ، القفطي ، انباه الرواة ج ٢ ص ٤٧ .

(٤) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ج ٤ قسم ٣ ص ١٤١ .

(٥) ياقوت ، معجم الادباء ج ٧ ص ٢٦٧ ، انسان العيون في مشاهير سادس القرون (مخطوطة مصورة) الورقة ١٢٠ .

(٦) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٩٧ ، السيوطي ، بغية الوعاة ص ٣٨٤ .

المبارك بن أحمد بن أبي البركات بن موهوب بن غنيمة بن علي شرف الدين الاربلي المعروف بابن المستوفي الى الموصل واقام فيها حيث اكرمه بدرالدين لؤلؤ وشمله برعايته ، وبقى في (حرمة وافرة وله راتب يصل اليه)[1] حتى وفاته سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م . وكان ابن المستوفي اماما في الحديث وماهرا في فنون الادب مثل النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان واشعار العرب واخبارها وامثالها[2] .

ومما يؤكد الدور البارز الذي كان يقوم به بدرالدين لؤلؤ في توسيع حركة العلوم والآداب وتطويرها في الموصل تقديمه العون والمؤازرة لابي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الاثير المتوفى في ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م بوضع مؤلفه الشهير « الكامل في التاريخ »[3] الذي اغنى هـذا الكتاب الجليل التراث الاسـلامي في موضوع التاريخ اغناءاً عظيمـاً .

اما في علوم الرياضيات فيذكر المؤرخون[4] أسماء عدد من العلماء الموصليين ممن اشتغلوا فيها ، وكانت لهم جهود كبيرة في هذا المضمار ، فمن الاختصاصيين في علم الهندسة علم الدين قيصر بن ابي القاسم بن

---

(١) وفيات الاعيان ، ج ٣ ص ٢٩٧ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ج ١ ص ١٨٦ ، ومن مؤلفاته المشهورة « شرح ديوان المتنبي وابي تمام » و « اثبات المحصل في نسبة ابيـات المفصل » و « تاريخ اربل » .

(٣) وقد سجل ابن الاثير اعترافه بفضل بدرالدين لؤلؤ عليه في كتابه هذا ، الجزء الاول ، ص ٣ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩٨ ، ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ج ٢ ص ٣٣٤ ، أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ج ٦ ص ٩١ ، ابن الوردي ، تتمة المختصر ج ٢ ص ١٧١ ، السبكي ، طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٥٨ – ١٦١ .

عبدالغني بن مسافر المعروف بتعاسيف المتوفى سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م وكان اماما في العلوم الرياضية[١] وقد عرف بالمهندس[٢] لكثرة اشتغاله في الهندسة العملية ، ويشير « ابن خلكان » الى ان معظم معارفه في هذا العلم قد تلقاها عن استاذه العالم كمال‌الدين بن يونس الموصلي وعن علماء مصريين وشاميين[٣] ومع ان العرب المسلمين كانوا يطبقون الحلول المنطقية في الهندسة فأن علم الدين قيصر كان يطبق حلولا عملية لكل ما يتوصل اليه من نتائج خلال ابحاثه[٤] ، فيرى الاستاذ آلدوميلي ان اسم علم الدين قيصر قد اتصل بفن السواقي وتحسينها كما اتصل عن طريق غير مباشر بالتقدم الذي تمّ في البلدان المسيحية نتيجة لتقليد الآلات التي رآها الصليبيون في المشرق أو عرفها المسيحيون في بلاد الاندلس[٥] .

كما انه جرى الاهتمام بهذه العلوم في الموصل نتيجة لموقعها على نهر دجلة وهو مصدر مائي تعتمد عليه الزراعة التي كان ازدهارها يقوم على نظام الري وتحسينه وتطويره بشق الترع والجداول لقلّة الامطار التي تسقط في هذه المنطقة .

---

(١) أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ج ٦ ص ٩١ .

(٢) أنظر الدوميلي ، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٣) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٩٨ ، نقل عنه السبكي طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٦١ .

(٤) لقد كان علم‌الدين قيصر رياضيا وفلكيا فعمل كرة تسمى الكرة السماوية Celestial Clobe وهي لا تزال محفوظة في متحف نابولي (العلم عند العرب - ص ٣٠٦ ، قدري حافظ طوقان ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ٤٠٢) .

(٥) كما انه كتب رسالة في بديهيات اقليدس العالم الرياضي اليوناني المشهور (أنظر الدوميلي ، العلم عند العرب ص ٣٠٦) .

واشتهر أيضا عن المؤرخ الشهير المبارك بن أحمد بن أبي البركات ابن المستوفي الذي استوطن الموصل حتى سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م انه كان بارعا في علم الحساب[١] وقد احدث استيطانه في الموصل اهتماما ملحوظا في هذا العلم[٢] فأشار السيوطي الى استخدام ابن المستوفي علم الحساب في تنظيم الديوان وضبط قوانينه[٣] • ومع انه ليست لدينا معلومات مفصّلة عن ذلك فمن المحتمل جدا ان حسابات دقيقة كانت توضع للأستعانة بها في ضبط ديوان الموصل بتأثير ابن المستوفي في الامور المالية كتعيين رواتب الموظفين وأرباب الدولة والجند وحساب استحقاقاتهم كما هو عليه الحال في البلاد الاسلامية الاخرى •

لقد كان الفلكيون والمهندسون وسائر علماء الطبيعة يستخدمون علم الحساب ويستعينون به في حل مسائل العلوم الطبيعية والفلكية والهندسية والمثلثات لذلك أصبحت له أهمية كبيرة في معرفة هذه العلوم والتوصل الى نتائج مفيدة • فأخذ العلماء الموصليون يحاولون الالمام به وادراك بعض أسسه ومبادئه ، مما جعل هذا الفريق من العلماء يتوصلون الى استنتاجات كان لها اعظم الاثر في الحركة العلمية في الموصل في هذه الفترة •

اما في علم الجبر الذي اعتبره الاستاذ آلدوميلي أهم النتاج الرياضي في الاسلام[٤] فأننا لا نسمع بوجود علماء موصليين اختصوا به فيما عدا

---

(١) السيوطي ، بغية الوعاة ص ٣٨٤ •

(٢) نقل العرب المسلمون الحساب والارقام الهندية واستعملوها ثم أخذها عنهم الافرنج • أنظر قدري طوقان ، تراث العرب العلمي ص ٤٤ ــ ٦٠ ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٢١٦ •

(٣) بغية الوعاة ص ٣٨٤ •

(٤) ان علم الجبر يرتب الصور المختلفة للمعادلات ذات الدرجة الثانية والثالثة ترتيبا منظما (العلم عند العرب) ص ٢٢٢ •

كمال الدين بن يونس الذي كان يتقن هذا العلم ويلم بدقائقه[١] وكانت جهوده عن طريق محاضراته ودروسه في مدارس الموصل قد اثمرت بخلق الاتجاه لدراسة هذا العلم وفهم أسسه ، وتعني كلمة (مجسطي)[٢] اليونانية مجموعة العلوم الرياضية مثل الجبر والمقابلة وحساب الخطأين[٣] والموسيقى والمساحة[٤] • وقد ذكرت المصادر ان كمال الدين بن يونس كان يقوم بتفسيرها وحل الكثير من الغازها ومسائلها ووضع الرموز والأصطلاحات الخاصة بابحاثها ومعادلاتها ، وكان يضع الشروح اللازمة لطلابه لتوضيح هذه الرموز والأصطلاحات[٥] •

وظهر في الموصل علماء في الطب والكيمياء والعلوم الطبيعية[٦] وعلم الفلك (النجوم) ، كانوا موضع رعاية بدرالدين لؤلؤ وتكريمه لأنهم اتقنوا علومهم وعرف عنهم ذلك في البلاد الاسلامية الاخرى •

ومن الأطباء الذين كنا نسمع عن جهودهم علي بن احمد بن علي ابو الحسن البغدادي المعروف بأبن هبل المتوفى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م الذي ولد ونشأ في بغداد وقرأ الطب هناك[٧] ثم استوطن الموصل فأخذ الناس

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ٤ ص٣٩٩ فما بعدها •

(٢) وهو اهم العلوم التي نقلتمن التراث اليوناني الى اللغة العربية •

(٣) انظر حول حساب طريقة الخطأين ، قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمي ص٥٦ •

(٤) السبكي ، طبقات الشافعية جـ٥ ص١٥٨ •

(٥) وفيات الاعيان جـ٤ ص٣٩٦ ثم طبقات الشافعية جـ٥ ص١٥٨ •

(٦) ويطلق على هذه المجموعة من العلوم (العلوم التجريبية) •

(٧) ان الطب الاسلامي كان خلاصة ما بلغ اليه علم الطب عند الأمم الاخرى قبل الاسلام وقد كان للأطباء في الاسلام نظام خاص به فكان عليه رئيس يمتحنه فيجيز من يرى فيه الكفاءة للتطبيب ، وكان من الاطباء أو الصيادلة من هو خاص بالجند حيث يرافق الجيش في اسفاره ومنهم من هو

يترددون اليــه أو يقرأون عليــه الطب والأدب ، وقد وضــع كتابا اسماه (المختار في الطب) وذكر ابن العبري ان علي بن احمد بن علي بن هبل قد حصل على ثروة طائلة من جراء اشتغاله بالطب في الموصل[1] وقصــد اذربيجان لهذا الغرض ثم اقام في خلاط ليقوم بمعالجة صاحبها شاه ارمن ويقدم له المشورة الطبية اللازمة[2] ، غير ان هذا الطبيب اعتزل مهنته ولزم منزله لانه عمي بماء نزل في عينيه عن ضربة وانقطع للتأليف ووضع كتابا آخر اسماه (الطب الجمالي)[3] وذكر الصفدي ان هذا الطبيب دخل بلاد الروم الســـلاجقة وصار طبيب الســلطان هناك ((فكثر مالــه وارتفع مقداره))[4] . ومن الأطباء الآخرين الذين ذكرهم القفطي ، الطبيب ابن ابي البقاء بن ابراهيم النيلي ، أبو الخير المعروف بابن العطار[5] الذي طلب

خاص بالخلفاء أو الأمراء ، وكان لهؤلاء رواتب معينة ، وهم طبقات واصناف فمنهم الجراح والفاصد والكحال والاسناني (اي طبيب الاسنان) ومن يطب النساء . انظر جرجي زيدان ، التمدن الاسلامي جـ٣ ص٢٠٢ ـ ٢٠٣ . وقد استخلص الدكتور احمد شلبي ان السبب في قلة مدارس الطب في البلاد الاسلامية يرجع الى عدم تدريسه في المدارس الا قليلا فالغالب ان تدريسه كان يقوم في المستشفيات لكي يمكن التطبيق العملي للنظريات العلمية الطبية (تاريخ التربية الاسلامية) ص١٠٥ .

(١) ابن العبرى ، مختصر الدول ص٢٤٠ ـ ٢٤١ .

(٢) القفطي ، انباه الرواة جـ٢ ص٢٣١ ، تاريخ الحكماء ص٢٣٨ .

(٣) الصفدي ، نكت الهميان في نكت العميان ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ (وكان يلقبه هذا المصدر البيّع مهذب الدين) ويعرف أيضاً بالخلاطي . أما كتابه المذكور « المختار في الطب » فكان يشتمل عــلى علم وعمل . انظر أيضــاً ابن ابي اصيبعه ، عيون الانباء في طبقات الاطباء جـ٢ ص٤٠٧ .

(٤) وقد ارسل من خلاط الى الموصل وديعة مقدارها ستة وثلاثين الف دينار حصل عليها من مزاولته مهنة الطب هناك ، نكت الهميان في نكت العميان ص٢٠٥ .

(٥) تاريخ الحكماء ص٣٣٢ .

من بغداد وارسل الى الموصل لكي يشرف على علاج الملك نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م . وقد وصف بأنه كان خبيراً بالعلاج قيّماً به كما عرف عنه انه كان طبيبا خاصا بالنساء(١) .

ومما يدل على مدى الاهتمام الذي كان يوليه بدرالدين لؤلؤ بالطب والمشتغلين فيه من اطباء ومدرسين ، انه في ٦٥٦هـ/١٢٥٨م أسـر المغول خلال سقوط بغداد عبدالجبار بن عبدالخالق بن محمد بن ابي نصر بن عبدالله ن عبدالباقي بن عكبر(٢) الذي كان مدرسا في المدرسة المستنصرية ومشتغلاً بالطب فافتداه بدرالدين لؤلؤ وجلبه الى الموصل(٣) لكي يتوفر الانتفاع به . يضاف الى ذلك اشتغال كمال‌الدين بن يونس بالطب ودراسته ومعرفة اصوله والاسناد الذي لقيه من بدرالدين لؤلؤ ايضا(٤) .

ويبدو ان الطب في الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ لم يقتصر عـلى ما كان يقوم به الاطباء أو المشتغلون فيه ولا على الدراسات والابحاث الفردية التي كـان يقوم بهـا كمال‌الدين بن يونس ، بل شـمل كذلك عمـل

---

(١) كان الخليفة العباسي الناصر لدين الله قد خصه بالتكريم وقدمه على امثاله لبراعته (ن٠م٠) وعندما حضر الى الموصل اشار على الملك نورالدين ارسلان شاه بالاستحمام في عين القيارة التي تقع في جنوب الموصل (انظر ابن واصل ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب جـ٣ ص٢٠٢) .

(٢) وفيات الاعيان جـ٢ ص٢٨٦ ، ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة جـ٢ ص٣٠٠ .

(٣) وقد اعيد ثانية الى بغداد للتدريس في المدرسـة المستنصـرية الذيل على طبقات الحنابلة جـ٢ ص٣٠٠ . ويقول ابن رجب « ان بدرالدين لؤلؤ اشتراه من المغول » .

(٤) وفيات الاعيان ، جـ٤ ص٣٩٦ ، طبقات الشافعية جـ٥ ص١٥٨ .

البيمارستانين[1] اللذين كانا يضمان عددا من الاطباء والصيادلة يقومون بمعالجة المرضى أو بتعليم الطب حيث الحالات المرضية ماثلة امام اعين المتعلمين ، والأدوية والعلاجات قريبة متوافرة •

وقد حظي علم الكيمياء باهتمام كمال‌الدين بن يونس ، فيشير ابن ابي اصيبعة نقلا عن موفق الدين عبداللطيف الطبيب البغدادي ، ان كمال الدين قد احب الكيمياء فكرس فيها معظم وقته واصرف انصرافا كليا للعمل فيها ودراستها حتى انه كان يفضلها على باقي العلوم[2] • ويبدو ان علم الكيمياء كان ضروريا ونافعا في مهنة الطب[3] فاشتغال الطبيب البغدادي موفق الدين على كمال الدين بن يونس واقامته بالموصل سنة كاملة في عمل متواصل[4] دليل على ذلك • ان هذه الاشارة تساعد على الاستنتاج بان

---

(١) الأول ، الذي اشار اليه ابن الأثير ، وهو الذي بناه مجاهدالدين قايماز سنة ٥٧٢هـ (الكامل جـ١٢ ص١٢٢) وقد اكد ابن جبير على وجود هذا البيمارستان فقال : ان مجاهد الدين قايماز انشأ البيمارستان على الربض الكبير الذي يقع داخل المدينة (رحلة ابن جبير ص٢١٠) • اما الثاني فهو ما اشار اليه ابن الفوطي حيث ذكر ان موقعه كان على نهر دجلة وقد بناه مجاهد الدين قايماز ايضا وانفق على تشييده ما ينيف على مائة الف دينار احمر (تلخيص مجمع الآداب جـ٥)
Oriental College Magazin
(الهند) العدد ١ ص٨٣ وكان هذا البيمارستان قد حظى بأشارة ابن جبير ايضا (الرحلة ص٢١١) ويبدو ان البيمارستان الأول ظل باقياً حتى فترة متأخرة حيث اشار اليه الرحالة المغربي ابن بطوطة في مشاهداته في مدينة الموصل في اوائل القرن الثامن الهجري (تحفة النظار في غرائب الأمصار) ص٢٣٥ •

(٢) عيون الانباء جـ٣ ص٣٣٤ •

(٣) ان الكيمياء تهيء الحصول على العقاقير الطبية من الزروع والاعشاب أو من تفاعل المواد الكيمياوية المختلفة •

(٤) عيون الانباء جـ٣ ص٣٣٤ انظر الدكتور اسماعيل محمد هاشم ، محاضرات في نصيب العرب في تقدم العلم والحضارة (دار الجامعات المصرية ١٩٦٠) ص٥٠ ــ ٥١ •

الموصل قامت بدور مهم في علم الكيمياء ، حيث ان الاطباء كانوا يبذلون جهوداً كبيرة للألمام بعلمي الطب والكيمياء معاً[٥] وكان فريق من العلماء في البلاد الاسلامية يقصدون الموصل لحضور دروس كمال الدين بن يونس ومحاضراته في الطب والكيمياء أو علم الاحياء الذي يشتمل على الكثير من المعلومات الكيمياوية .

ويشير ابن خلكان الى اتقان ابي الفضل احمد بن الشيخ كمال الدين ابي الفتح يونس بن محمد بن منعة الاربلي الملقب شرف‌الدين المتوفى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م علم الأحياء ، حيث كان كثير الحفظ غزير المادة في هذا العلم[٢] وقد تخرج عليه جماعة كبيرة لسعة اطلاعه ومواظبته على الأشتغال والافادة في الموصل منذ سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م حتى وفاته[٣] .

وأخيراً يبدو ان هناك جهوداً كبيرة كان يبذلها علماء الموصل في علم الفلك (النجوم) والذي كان يطلق عليه اسم (الالهي) وكان كمال‌الدين ابن يونس في مقدمة هؤلاء الذين نشطوا في هذا المضمار . فقد قام بتدريس اصول هذا العلم للطلاب والف كتاباً اسماه (الاسرار السلطانية في النجوم)[٤] وأجاب عن الاسئلة التي كان يطرحها العلماء الغربيون فيه[٥] ، فيتحدث ابن ابي اصيبعة وهو معاصر فيقول :

---

(١) وكانوا بذلك يتشبهون باعظم اطباء المسلمين الذين كانوا يجيدون الطب والكيمياء معاً مثل الطبيب ابي بكر الرازي المتوفي سنة ٣١٣هـ / ٩١٥م .

(٢) وفيات الاعيان جـ١ ص٩٠ .

(٣) ن٠م٠ ص٩٠ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ٤ ص٣٩٦ ، ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء جـ٢ ص٢٢٧ ، ابن الوردي ، تتمة المختصر جـ٢ ص١٧١ ، السبكي ، طبقت الشافعية جـ٥ ص١٥٨ .

(٥) ابن ابى اصيبعة ، عيون الانباء جـ٢ ص٣٣٧ ـ ٣٤٠ .

ان فردريك الثاني امبراطور روما[1] بعث رسلا الى بدر الدين لؤلؤ يحملون اسئلة في علم النجوم يريد جوابها ، فطلب الأخير الى كمال الدين ابن يونس الاجابة عنها فكتب الأجوبة عن تلك المسائل بأسرها[2] ٠

يبدو مما ورد ان اسناد بدرالدين لؤلؤ وتشجيعه المستمر للعلماء والمدرسين وانفاق الاموال لهم وتيسير احتياجاتهم المختلفة خلق اهتماماً متزايداً في مختلف أوجه المعرفة ، مما كان له اعظم الأثر في تكوين الحركة العلمية التي برزت معالمها واضحة في هذه الفترة وذاع لها صيت بين جمهرة العلماء في البلاد الاسلامية الأخرى ٠ والجدير بالاشارة ان اهم نتائج هذه الحركة هي تعميق وتطوير العلوم ٠

المدارس :

عرف القرن الخامس الهجري بانه عصر سيادة المذاهب السنية بانتصار السلاجقة الذين نصبوا انفسهم حماة للخلافة العباسية وتتابع الهزائم للحركات الشيعية سياسيا وفكريا بأندحار البويهيين الذين كانوا قد اخضعوا الخلافة لحمايتهم ، ولكي يضمن السلاجقة السيادة لمذاهبهم ودحر المذاهب الشيعية التي اصبحت لها قوة سياسية وفكرية كبيرة عمدوا الى تأسيس المدارس على اساس اتخاذها مراكز لمذاهبهم ودحر المذاهب الشيعية لنشر الفكر الاسلامي السني والعمل على تقويته ٠

ان هذه الحركة الواسعة لتأسيس المدارس التي ولدت بتأثير العامل المذهبي قد تمت على يد وزير السلاجقة العالم نظام الملك الطوسي ٤٠٨ ـ ٤٨٦هـ / ١٠١٧ ـ ١٠٩٣م[3] حيث قام بانشاء مدارس في ابرز مدن العراق وفارس مثل بغداد والبصرة والموصل وبلخ ونيسابور وهراة واصبهان ومرو

---

(١) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء جـ٢ ص٣٣٧ ـ ٣٣٨ ٠

(٢) ن٠م٠ ص٣٣٨ ٠

(٣) انظر ترجمته في وفيات الاعيان جـ١ ص٣٩٥ ـ ٣٩٨ ، السبكي، طبقات الشافعية جـ٣ ص١٣٥ ـ ١٤٥ ٠

وآمد ، وقد عرفت بالمدارس النظامية[1] والحديث عن هذه المدارس ونشأتها وبنائها واخبارها لا يعنينا هنا ، ولكن يهمنا من ذلك القاء ضوء على المدرسة النظامية في الموصل • اذ اننا لا نشك في ان تأثيرات واضحة المعالم بدأت تظهر في المدارس التي انشأت بعدها اي في العهد الاتابكي ، من حيث طبيعة عملها والقائمون بها ، فالمدرسة النظامية كانت مظهرا من مظاهر النشاط العلمي الحكومي الرسمي كما هو حال المدارس النظامية الاخرى ، مما جعل احتضان الدولة لفكرة المدرسة فيما بعد تطوراً جديداً في الحركة المدرسية في الموصل ، اذ ان الاتابكة انشأوا مدارس لهم على غرار المدرسة النظامية كانوا يقومون برعايتها وتهيئة الموارد الدائمة لها •

وكان ذلك في الواقع خطوة مهمة لأزدهار المدارس وانتشارها لا في الموصل وحدها وانما في انحاء البلاد الاسلامية ، وقد أفاد الاستاذ ارنست دايز بهذا الصدد قائلا : (ان اهمية قيام نظام الملك بتأسيس المدارس النظامية هي انها كانت بداية لعصر جديد من الأزدهار للمدرسة حيث صار السلطان ورجال الطبقة العليا مولعين بتاسيس المدارس)[2] •

ان معلوماتنا عن نظامية الموصل قليلة اذا قورنت بما نعرفه عن نظامية

---

(١) وكان أهمها واعظمها جميعاً نظامية بغداد التي شرع بتشييدها سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م في الجانب الشرقي من بغداد وتمت سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م (ن٠م٠ نفس الصفحات) ويرى الاستاذ آلدوميبلي Aldo Meilli ان المدرسة النظامية هي الأولى في الاهمية وان لم تكن الاولى من حيث التسلسل التاريخي فأليها يرجع اصل المدارس الاخرى المهمة في الشرق بل ان تأسيس جامعات الغرب كان من وحيها وتأثيرها (العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي ص٤٨٦) انظر ايضا M. M. Sharif الفكر الاسلامي منابعه وآثاره ص٥٣ •

(٢) Encyclopeadia of Islam Art. Masjid P. 315—390

بغداد ، ويشير ابن الأثير الى ان نظام الملك هو الذي انشأ نظامية الموصل واختار قاضي الموصل ابي بكر محمد بن ابي علي الحسن بن ابي خالد الخالدي المعروف بالسديد ليكون مدرسا فيها[١] • واضاف الى انها تقع بالقرب من الجامع النوري[٢] • والمعروف ان فكرة المدارس النظامية قد بنيت على اساس واحد حيث رسمت لها مناهج واحدة ونظام واحد معين ، وكانت مناهج الدراسة فيها تقوم على تعليم العلوم الدينية الاسلامية وتدريس الفقه الشافعي والفنون الادبية وتعليم القرآن الكريم[٣] كما ان فكرة الاستاذ الواحد ، اي ان يقوم استاذ واحد لتدريس جميع المواد المقررة كانت سائدة فيها ، ولذلك يمكن القول بأن نظامية الموصل قد طبقت هذه المناهج وسارت عليها • ففي سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م اخذت نظامية بغداد بنظام تعدد الاساتذة[٤] للمواد المختلفة فتبعتها نظامية الموصل في ذلك ، فيشير ابن خلكان الى اشغال ابي حامد محمد بن القاضي كمال‌الدين بن الشهرزوري وظيفة التدريس في نظامية الموصل سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م[٥] كما يذكر مصدر آخر

---

(١) اللباب في الانساب جـ١ (مكتبة القدس ١٣٥٧هـ) ص٣٩٩ •

(٢) ن•م• ص٣٩٩ •

(٣) يرى الاستاذ M. M. Sharif ان المدارس النظامية هي مدارس دينية على العموم ، وقد توجهت العناية فيها الى احياء الدراسات اللاهوتية وهو اتجاه اخذت به الجامعات الاوربية عندما انشأت بعد هذا التاريخ (الفكر الاسلامي منابعه وآثاره ص٥٣) •

(٤) ذكر ابن الاثير ان في محرم سنة ٤٨٣هـ قدم الامام ابو عبدالله الطبري بغداد بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس النظامية • ثم ورد بعده في ربيع الآخر من السنة نفسها ابو محمد عبدالوهاب الشيرازي ومعه اذن بالتدريس فاستقر ان يدرس الشيرازي يوما والطبري يوما (الكامل جـ١٠ ص٦٨) •

(٥) وفيات الاعيان جـ٣ ص٣٧٩ •

ان في نفس السنة كان محيي الدين الشهرزوري مدرساً فيها ايضا[1] • ومن الجدير بالذكر ان اغلب من تولى التدريس في نظامية الموصل كان من القضاة وذلك لأنهم على ما يبدو كانوا يتقنون اصول الفقه الشافعي الذي اسست المدرسة من اجل تدريسه •

وحافظت المدرسة النظامية على بنايتها حتى سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م ويبدو انها استمرت في نشاطها الى ذلك التاريخ حيث اتخذ بدرالدين لؤلؤ منها مشهدا للأمام علي الأصغر بن محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب[2] ، ومحافظتها على البقاء حتى عهد بدر الدين لؤلؤ دليل على استمرارها في عملها اذ اننا لم نسمع عن اتخاذ بنايتها لأي غرض من الاغراض قبلهذا التاريخ •

وانشأت بعد نظامية الموصل بضعة مدارس كان لها دور كبير في الموصل ايام الاتابكة ، حيث نشرت العلوم والمعارف الاسلامية للاستزادة من العلم والمعرفة وكانت المدرسة الاتابكية العتيقة هي اولى مدارس الموصل التي اشارت المصادر الى تأسيسها بعد المدرسة النظامية ، فيذكر ابن الأثير ، ان سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي ٥٤١ ـ ٥٤٤هـ / ١١٤٦ ـ ١١٤٩م هو الذي انشأها • وكانت من احسن المدارس واوسعها[3] وأضاف الى انها جعلت للفقهين الشافعي والحنفي[4] • وقد خالفت بذلك المدرسة النظامية التي كان يسود فيها الفقه الشافعي دون سواه • ومن مدرسيها

---

(١) انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، الورقة ١٣١ •

(٢) ذهب الاستاذ سعيد الديوهجي الى ان المدرسة النظامية لا تشمل المرقد وانما هي قسم منفصل آخر وهي عبارة عن غرفتين • وان تجديدها كان في القرن الثامن للهجرة (نظر الموصل في العهد الاتابكي ص١٣٤) •

(٣) الباهر ص٩٣ •

(٤) ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج اليه جـ٢ ص١٤٣ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى جـ٤ ص٢٣٤ •

ابي البركات عبدالله بن الحسين المعروف بأبن الشيرجي المتوفى سنة ٥٧٩هـ الذي كان فقيها حنفيا • وعبدالسلام بن محمد ظهير الدين الفارسي المتوفى سنة ٥٩٦هـ الذي فوض اليه تدريس الفقهين الشافعي والحنفي[(١)] •

ومع ان المدرسة الاتابكية العتيقة اضافت في مناهجها التعليمية مادة جديدة هي تدريس الفقه الحنفي الى جانب الفقه الشافعي ، فقد حافظت كما يبدو على الخطوط الرئيسة التي رسمتها المدرسة النظامية لكونها مدرسة لها كيان وتنظيمات محددة وثابتة لا يمكن تجاوزها فهي لم تأخذ بالعلوم الاخرى مثل الرياضيات والحكمة والمنطق والعلوم التجريبية ، اما المدارس الاخرى التي انشأت بعد المدرسة الاتابكية فبالرغم من احتفاظها بالعلوم الاسلامية والفنون الأدبية والشعر فأنها طرقت اصنافا اخرى من العلوم والفنون الى جانب تدريس اصول الفقه على المذاهب الاربعة ، الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي • كما اصبحت هذه المدارس تفيد من اختصاصات عدة مدرسين للتدريس في مدرسة واحدة وان الاستاذ الواحد اصبح بامكانه ايضا التدريس في عدة مدارس فضلا عن ان هؤلاء المدرسين كان يجمعون حولهم من كل مدرسة أو من عدة مدارس طلابا ومريدين فيما اختصوا به من علوم •

ولعل اهم اثر تركته مدرسة نظامية الموصل في المدارس التي انشئت بعدها هو انها اصبحت مدارس داخلية تُعنى بشؤون الطلاب والمدرسين واعاشتهم وتوفير ما يحتاجون اليه وسد نفقاتهم ، وقد كان لذلك تأثيره الواضح على حياة المدرسة ووظيفتها الثقافية والعلمية واصبحت لها مكانة فريدة اذ كان ينظر اليها نظرة احترام وتقدير ، وخاصة في فترة حكم بدر الدين لؤلؤ للموصل الذي كان يعتبر عهده عهد ازدهار العلوم ونشاط

---

(١) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى جـ٤ ص٢٥٤ •

المدرسة في وظيفتها الثقافية والعلمية .

ومن مدارس الملوك الاتابكيين التي كان لها شأن يذكر ، المدرسة العزية التي انشأها الملك عزالدين مسعود بن قطبالدين مودود ٥٧٦ – ٥٨٩هـ/١١٨٠–١١٩٣م[١] وهي تقع داخل المدينة ومقابلة لدار المملكة[٢]. وكانت لها اهمية خاصة وتأتي اهميتها من كونها تحت رعاية الملك عزالدين مسعود وموضع اهتمامه ، فيذكر ابن الاثير ان الملك عزالدين مسعود قرر ان يرفع منزلة مدرسي مدرسته ويمنحهم امتيازات كثيرة قلما تتوفر لمدرسي المدارس الاخرى التي انشئت بعدها ، فقد أمر ان تقدم اليهم الفواكه والحلوى وان يزودوا بالشيرج والفحم للوقود وان يدعوا للحضور عند اقامة الدعوات والاحتفالات في المواسم والاعياد الى جانب ارباب الدولة واكابر المجتمع ، كما اغدق عليهم الهبات والصدقات في كل اسبوع وفي الايام الشريفة والليالي المباركة[٣] . وقد وصف ابن خلكان المدرسة العزية بأنها كبيرة ومن احسن المدارس وهي تقابل المدرسة النورية وبينهما ساحة كبيرة[٤] .

واتخذت المدرسة العزية العلوم الاسلامية مواد ثابتة للدراسة فيها كما ان الملك عز الدين مسعود قد رسم لها تدريس الفقهين الحنفي والشافعي[٥]

---

(١) ابن الاثير ، الباهر ص١٨٦ ، ابن الفوطي تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم٢ ص٨٥٦ ، العسجد المسبوك ، الورقة ٩٨ ، ١٥٣ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر جـ٢ ص١٣٠ ، انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، الورقة ٤٧ ـ ٤٨ و ١٤٠ .

(٢) الباهر ، ص١٨٦ .

(٣) ن٠م٠ ص١٨٩ .

(٤) وفيات الاعيان جـ٢ ص٩٥ .

(٥) الباهر ، ص١٨٩ ، وفيات الاعيان جـ٢ ص٩٥ .

ولم نسمع بوجود ما يشير الى علوم الرياضيات أو العلوم التجريبية فيها • وسبب ذلك يعود الى ضعف الفكرة العامة عن العلوم العقلية في هذه الفترة والى صعوبة الاشتغال فيها بينما كان الاهتمام الشديد متجها نحو العلوم الدينية الاسلامية في جميع المدارس في البلاد الاسلامية •

قرر الملك عز الدين مسعود وقف اموال الصدقات التي كان يستحصل عليها من الناس وجعلها ايرادات ثابتة للمدرسة لتأمين الانفاق عليها والصرف على شؤونها المختلفة رواتب للمشتغلين فيها مثل المدرسين والبوابين او اعانات للفقهاء والطلاب الذين يتلقون فيها دروسهم[1] • ومن مدرسيها عمادالدين محمد بن يونس بن منعة المتوفى سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م الذي تلقى علومه الفقهية في المدرسة النظامية ببغداد وعاد الى الموصل ودرس في المدرسة العزية[2] وقام بتصنيف عدة كتب في المذهب[3] وقد اتقن المذهب الشافعي[4] على اشهر مدرسي بغداد ومنهم السديد محمد السلماسي وشرف الدين يوسف بن بندار الدمشقي[5] ويبدو انه قام بتدريس الفقه الشافعي فيها •

واغلب الظن ان هذه المدرسة استمرت في عملها خلال فترة بدرالدين لؤلؤ وخاصة بضع السنين الاولى منها ، فقد ذكر ابن خلكان ان العالم الموصلي المعروف كمال‌الدين بن يونس الذي كان يحظى برعاية بدرالدين لؤلؤ قد درّس فيها[6] وان دروسه اشتملت على اصول الدين والفقه

---

(١) الباهر ص١٨٩ •

(٢) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم٢ ص٨٥٦ •

(٣) ومنها (المحيط بين المهذب والوسيط) و (شرح الوجيز) انظر ن٠م٠

(٤) ابن العماد ، شذرات الذهب جـ٥ ص٣٤ •

(٥) انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، الورقة١٤٠ •

(٦) وفيات الاعيان ، جـ٤ ص٤٩٨ •

والادب • اما في الفقه فقد درس الفقه الحنفي بصورة خاصة لأنه كان وحيد زمانه فيه[1] غير انه لم ترد اية اشارة فيما يتعلق بتدريسه علوما اخرى كان يلمّ بها الماما كافياً •

وقد اظهرت الآثار ان المدرســـة العزية قـد اتخذت مقامـا للأمام عبدالرحمن بن الحسن بن علي بن ابي طالب في عهد بدرالدين لؤلؤ[2] حيث نشط الأخير بتحويل المدارس الاتابكية الى مقامات لأبناء الامام علي[3] وذلك تحقيقا لسياسته باعفاء آثار الاتابكة وطمس مخلفاتهم[4] لتحويل انظار الرعية نحوه والعمل على نشر التشيع بين السكان[5] •

---

(١) جاء (في وفيات الاعيان جـ٤ ص٣٩٦) ان جماعة من الطائفـة الحنفية كانوا يشتغلون عليه بمذهبهم فكان يحل لهم مسائل الجامع الكبير احسن حل مع ما هي عليه من الاشكال المشهور •

(٢) ذكر احمد بن الخياط الموصلي ، ان للامام عبدالرحمن مشهد قديم من بناء الملك مسعود بن مودود (ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء ، تحقيق سعيد ديوهجي ، مطبعة الجمهورية ــ الموصل ١٩٦٦) ص٥٥ • ولم يبن هذا المشـــهد للامام المذكور بل انشـىء ليكون ضـريحا لقبر الملك عز الدين مسعود • وقــد اتخذه بدر الدين لؤلؤ فيما بعد مشهدا للامام عبدالرحمن • وقد استدل الاستاذ الديوهجي من الكتابة الموجودة على باب المرقد انه كان من بناء الملك عز الدين مسعود (الموصل في العهد الاتابكي ص١٤١) وهو نفسه المدرسة العزية •

(٣) انظر الفصل الاول ص٤٠ ــ ٤١ •

(٤) كانت عادة الملوك الاتابكيين اتخــاذهم المدارس التي ينشئونها مقابر لهم بعد مماتهم حيث يخصص قسم منها باقامة الاضرحة لذلك كانت تبذل عناية كبيرة لاظهارها بالمظهر الجميل ويقوم الناس لزيارتها والتردد اليها ، انظر الباهر ص١٨٦ ، ابن الفوطي تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم١ ص٣٥٨ ، وفيات الاعيان جـ٢ ص٩٥ •

(٥) انظر الفصل الاول ص٣٧ ــ ٤٤ •

وكانت المدرسة النورية التي انشأها الملك نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود **٥٨٩ ـ ٦٠٧**هـ / **١١٩٣ ـ ١٢١٠**م اهم ما قام بـه من أعمال في الموصل[١] فقد اشير الى انها من احسن المدارس واجملها للغاية[٢] وقل ان توجد مدرسة في حسنها[٣] • تقع هـذه المدرسـة داخل المدينـة ومقابلة لدار المملكة[٤] ومجاورة لمدارس الملوك الاتابكيين الآخرين ، حيث كان هؤلاء يراعون هذه الناحية وهي قربها من دار المملكة لتكون دائما تحت رعايتهم واشرافهم • وقد حدد عدد الذين يتلقون دروسهم في المدرسـة النورية بستين فقيها يدرسون الفقه الشافعي[٥] وتصرف لهم الاعانات التي كانت تؤخذ من الوقوف الكثيرة الموضوعة لهذا الغرض ويبدو ان هـذه الوقوف كانت تشمل المساعدات التي تقدمها الدولة او اربابها واكابرهـا والاعيان والامراء ، كما ان ايرادات كثيرة كانت تأتي أيضاً عن طريق ما يتجمع من الرعية على سبيل الهدايا والنذور والصدقات •

وليس لدينا ما يشير الى ان هذه المدرسة كانت تُعنى بتدريس فروع الفقه الاخرى وخاصة الفقه الحنفي ، فقد لوحظ ان تدريس اصول هذا الفقه الى جانب الفقه الشافعي كان معمولا به في اغلب مدارس الموصل كما انه ليس هناك ما يدل على تدريس العلوم العقلية فيها سوى العلوم الدينية الاسلامية •

وكان عماد الدين ابو الفضل محمد بن يونس بن منعه الموصلي يشغل

---

(١) ابن الأثير ، الباهر ص٢٠١ •

(٢) الباهر ص٢٠١ ، الذهبي ، دول الاسلام جـ٢ ص٨٤ •

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ١ ص٦٢ ، جـ٢ ص٩٥ ، ٩٦ •

(٤) الباهر ص١٩٨ ، ٢٠١ •

(٥) ن•م• نفس الصفحات •

تدريس الفقه الشافعي فيها(١) والامام ابو حامد محمد بن منعه الموصلي الذي اشغل تدريس الفقه الشافعي ايضا(٢) • ولذلك فان هذه المدرسة قد امتازت عن المدارس الاخرى بانها اقتصرت على مذهب واحد اقتداء بالمدرسة النظامية ، فقد قال عنها الذهبي انها انشئت لتكون مدرسة للشافعية(٣) • واقتصارها على تدريس المذهب الشافعي دون سواه يدل على تعصب الملك نورالدين ارسلان شاه للمذهب الشافعي(٤) •

ومع ان العلوم الاسلامية كانت شائعة في اغلب المدارس الاسلامية سواء في الموصل أو في غيرها من البلاد ، فأنه لا توجد لدينا تفاصيل كافية عن ذلك فيما يتعلق بالمدرسة النورية فالأدب واللغة(٥) التي اهتم بها المسلمون لانها من ضرورات الثقافة العامة لم تكن تدرس على ما يبدو في هذه المدرسة •

ومن الجدير بالذكر ان نشاط المدرسة النورية وقيامها لم يكن يتوقف بوفاة مؤسسها الملك نور الدين ارسلان شاه في ٦٠٧هـ/١٢١٠م حيث استمر حتى ٦١٥هـ/١٢١٨م على اقرب الاحتمال ، ولذلك يمكن القول بأنها عاصرت عهد بدرالدين لؤلؤ في السنين الاولى ـ وعند انشاء المدرسة

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب جـ٥ ص٣٤ •

(٢) ابن الوردي ، تتمة المختصر جـ٢ ص١٣٠ •

(٣) دول الاسلام جـ٢ ص٨٤ •

(٤) جاء في (تتمة المختصر جـ٢ ص١٣٠) ان ابا حامد محمد بن يونس كان له تأثير على الملك نورالدين ارسلان شاه بحيث حوله من مذهب ابي حنيفة الى مذهب الشافعي فاصبح الشافعي الوحيد في الاسرة الاتابكية •

(٥) كانت علوم اللغة في اول امرها مشتركة مختلطة ثم تميزت وتشعبت علوما عديدة كل منها مستقل عن الآخر مثل النحو والصرف والبيان والبديع والعروض والقوافي واخبار العرب وامثالهم واشعارهم والجدل وغيرها •

البدرية تحول الاهتمام اليها دون المدارس الاخرى فتضاءلت اهمية المدرسة النورية وفقدت مكانتها ، وحتى اذا ما أخذ بدر الدين لؤلؤ بقراره في تحويل بنايات المدارس الاتابكية الى اضرحة ومشاهد ، نرى ان المدرسة النورية اتخذت مرقدا للامام محسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب[١] .

واشار صاحب كتاب انسان العيون الى وجود هذه المدرسة في ٥٩٢هـ[٢] ، ومع انه ليست لدينا معلومات كافية عنها بعد هذا التاريخ سوى ما يتعلق بتحويلها الى مشهد فان ابن تغري بردى ذكر انها كانت تقوم بنشاطها في القرن الثامن الهجري ومن مدرسيها آنذاك ركن الدين حسن ابن محمد شرف شاه الحسيني العلوي الاستراباذي ابو الفضائل المتوفى في ٧١٥هـ الذي تلقى علومه على نصير الدين الطوسي وتولى التدريس فيها بالاضافة الى النظر في اوقافها[٣] ، ونقل السيوطي عن ابن رافع في ذيل تاريخ بغداد ان ركن الدين ابو الفضائل هذا قدم الى مراغه واشتغل على نصير الدين الطوسي فاجاد الحكمة وكتب شروحا مستفيضة عن قواعد العقائد[٤] بعد سنة ٦٧٢هـ استوطن الموصل وتولى التدريس بالمدرسة النورية والنظر في اوقافها[٥] .

ومن المحتمل جدا ان احياء معالم المدرسة النورية في هذه الفترة وأعادة التدريس فيها كان لغرض تدريس العلوم الدينية الاسلامية نظرا

---

(١) كما هو مكتوب على باب مشهده بالخط القديم، انظر ابن الخياط الموصلي ، ترجمة الاولياء ص٥٥ .

(٢) انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، الورقة ١٤٠ .

(٣) النجوم الزاهرة جـ٩ ص٢٣١ .

(٤) ومن اهم مصنفاته « شرح مقدمة ابن الحاجب » بغية الوعاة ص ٢٢٨ .

(٥) ن٠م٠ ص٢٢٨ .

لظهور الاتجاهات الدينية في الدولة الأيلخانية المغولية باتخاذ الدين الاسلامي دينا رسميا[1] هذا بالاضافة الى احتفاظ هذه المدرسة ببنايتها الضخمة الكبيرة والمنتظمة حتى ذلك الوقت •

وأنشأ الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه ٦٠٧ ـ ٦١٥هـ (١٢١٠ ـ ١٢١٨م) المدرسة النورية[2] • وكان كمال الدين بن يونس قد تولى التدريس فيها قبل سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م وقد اشتملت دروسه فيها على العلوم الاسلامية والادب واللغة والمنطق والحكمة والتاريخ والشعر[3]• كما فوّض الى ابي الفضل شرف الدين احمد بن الشيخ كمال‌الدين بن محمد بن منعه الاربلي المتوفى في ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م التدريس فيها سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م[4] حيث درس العلوم الدينية والفقه فيها وذلك لاتقانه كتاب « التنبيه في الفقه » و « أحياء علوم الدين » لابي حامد الغزالي[5] •

ويمكن القول ان المدرسة القاهرية قد استمرت في عملها في عهد بدرالدين لؤلؤ غير انها في سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م بدأت تفقد أهميتها نتيجة لتوجيه الاهتمام نحو المدرسة البدرية التي انشأها بدرالدين لؤلؤ وهو صاحب السلطة السياسية العليا في الموصل ، وقد اهملت اهمالا تاما بعد وفاة الملك القاهر بحيث لم يتسن لبدرالدين لؤلؤ الاستفادة منها باتخاذها

---

(١) ومن ابناء هولاكو الذين حكموا ايران « احمد تكودار ٦٨١ ـ ٦٨٣هـ » الذي اعتنق الاسلام ثم « غازان خان ٦٩٤ ـ ٧٠٣هـ » جعل الاسلام دين الدولة الرسمي •

(٢) الكامل جـ١٢ ص١٣٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٧٩ ـ ٨١ •

(٣) وفيات الاعيان جـ٤ ص٤٠٠ •

(٤) ن•م• جـ١ ص٩٠ •

(٥) ن•م •

مرقدا أو مشهدا • كما انها لم تحظ باشارات المؤرخين لأن آثارها قد زالت ولم يبق اي ذكر لها والسبب كما يبدو ان بنايتها لم تكن في الاصل قد شيدت على اساس اتخاذها مدرسة كما هو الحال بالنسبة للمدارس الاتابكية الاخرى وانما كانت تمثل في الواقع مدفنا وضريحا للملك القاهر وقد ذكر ابن الاثير ما يشير الى ذلك فقال ان الملك القاهر كان دائما ما يخرج من داره فيصل الى التربة التي عملها لنفسه عند داره(١) • ثم ان هذا المؤرخ قد ذكر في موضع آخر من كتابه أن الملك القاهر بنى له تربة في المدرسة التي انشأها(٢) مما يدل على انه لم يكن يوليها اي اهتمام ، ولكنه من الناحية المعنوية كان لابد له ان يحذو حذو اسلافه الاتابكة بايجاد مدرسة تحمل اسمه •

المدرسة البدرية :

انشأها بدرالدين لؤلؤ قبل سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م(٣) وقد انصرف الى الأهتمام بشؤونها دون مدارس الموصل الاخرى ، بحيث صارت لها اهمية خاصة • فأشارات المؤرخين فيما يتعلق برعاية بدر الدين لؤلؤ للعلماء والادباء والفقهاء تؤكد اهميتها باعتبارها ميدانا مهما لنشاطاتهم العلمية المختلفة مثل تدريس العلوم المتنوعة والقاء المحاضرات فيها وتقديم نتاجاتهم في الابحاث واقامة المناظرات والندوات العلمية والأدبية(٤) •

---

(١) الكامل جـ١٢ ص١٣٧ •

(٢) ن•م• ص١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٧ •

(٣) يذكر ابن كثير ان ابا المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي المتوفى ٦١٥هـ كان مدرسا فيها وهذه اقدم اشارة تاريخية لاحد مدرسيها ومما يدل على ان انشاءها قد تم قبل هذا التاريخ •

(٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ٤ ص٣٩٩ فما بعد ، ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء جـ٢ ص٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، السبكي ، طبقات الشافعية جـ٥ ص١٥٨ ـ ١٦١ •

ومع ان تعيين المكان الذي شيدت فيه هذه المدرسة ليس مما يعنينا كثيرا ولكن لابد من الاشارة اليه فالمصادر قد اختلفت في ذلك ، فبينما يشير ابن خلكان الى ان موقعها داخل المدينة بقلعة الموصل[1] يقرر صاحب الحوادث الجامعة انه على شاطىء دجلة[2] • والحق ان الأول يبدو اكثر صوابا فيما ذهب اليه لأن هذا المؤرخ نفسه كان قد تلقى علومه الفقهية فيها في فترة معينة • ويستدل الاستاذ سعيد الديوهجي من مشاهدة الآثار ، ان المدرسة البدرية قد بنيت على انقاض مسجد الحسين بن سعيد بن حمدان التغلبي الذي كان قد بنى في اوائل القرن الرابع الهجري[3] وهذا المسجد يقع كما هو معروف داخل المدينة •

واشارت المصادر الى ان المدرسة قد احتوت على غرف اصلية لجلوس الطلاب والاستماع الى الدروس والمحاضرات التي كانت تلقى ، أو لغرض اجتماع المدرسين بطلابهم ومريديهم[4] • وبيوت للأقامة[5] ملحقة بها ، مما يدل على انها كانت مدرسة داخلية تعنى بما يحتاجه المقيمون من وسائل العيش المختلفة ، وتصرف لهم الاعانات من مواردها الدائمة التي كان قد رسمها بدر الدين لؤلؤ نفسه • واغلب الظن ان هذه البيوت لا تقتصر على الطلاب الذين كانوا يفدون الى الموصل للتعلم والدراسة ، وانما كانت تستقبل ايضا بين حين وآخر العلماء والفقهاء الذين يحضرون دروس العالم

---

(١) وفيات الاعيان جـ١ ص١٦٦ •

(٢) الحوادث الجامعة ص٣٣٧ •

(٣) مقالته ، مدارس الموصل في العهد الاتابكي ، مجلة سومر مجلد ١٣ (١٩٥٧) ص١٠١ ـ ١١٨ •

(٤) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٥
Oriental College Magazin
(طبعة الهند) • العدد ٨٦ ص٢٩٣ •

(٥) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء جـ٢ ص٣٣٨ •

كمال الدين بن يونس بصورة خاصة[1] فيقيمون فيها ضيوفاً تصرف لهم الاعانات من هذه الموارد ايضاً ، ومن هؤلاء العلماء الذين اشارت اليهم المصادر نجم‌الدين القمراوي وشرف الدين المتاني اللذين قصدا الموصل وحضرا دروس كمال الدين بن يونس وهو مقيم في المدرسة[2] ، والقاضي جلال‌الدين البغدادي وكان مقيما عند ابن يونس في المدرسة[3] والطبيب موفق الدين عبداللطيف البغدادي[4] والمهندس علم الدين قيصر بن ابي القاسم[5] والشيخ أثير الدين المفضل ابي عمرو بن المفضل الابهري[6] صاحب التعليقة في الخلاف والتصانيف المشهورة[7] والمؤرخ شمس الدين أحمد المعروف بأبن خلكان المتوفى سنة **٦٨١**هـ والذي تردد اليه دفعات عديدة لما كان بينهم وبين والده من المؤانسة والمودة[8] .

ان توافد العلماء من البلاد الأخرى باستمرار على المدرسة البدرية للقراءة والدراسة على ابن يونس[9] الذي كان مدرسا ومقيما فيها قد

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٤ ص٣٩٩ ، ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء جـ٢ ص٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

(٢) جاء في (عيون الانباء) أنهما طلبا من كمال الدين بن يونس كتابا لأستنساخه فامتنع عن اعطائه في بادىء الأمر ، غير انه استطاع ان يقنعهما باقتنائه لليلة واحدة فقعدا في بيت من بيوت المدرسة ليتوفرا على استنساخه جـ٢ ص٣٣٨ .

(٣) ن٠م٠ ص٣٣٧ .

(٤) ن٠م٠ ص٣٣٤ .

(٥) السبكي ، طبقات الشافعية جـ٥ ص١٦١ .

(٦) وفيان جـ٤ ص٣٩٨ .

(٧) ن٠م٠ ص٣٩٨ .

(٨) وفيات الاعيان جـ٤ ص٣٩٦ .

(٩) الحوادث الجامعة ص١٤٩ .

اكسبها مكانة علمية مرموقة ، فيذكر ابن ابي اصيبعة ان رسول الانبراطور فردريك الثاني الذي كان يحمل مسائل في علم النجوم قد احضر الى المدرسة البدرية ففرش موضع فيها بالبسط الرومية الفاخرة واستخدم جماعة من المماليك بين يدى الرسول ، وعند اقترابه من المدرسة استقبل بما يليق به ثم ادخل اليها فأستقبله كمال الدين بن يونس بأبهة وهو يرتدى ملابس انيقة ورحب به واجلسه[1] • وينقل زكريا بن محمد القزويني ، ان الأفرنج في عهد الملك الكامل بعثوا الى الشام مسائل أرادوا جوابها ، وتشمل هذه المسائل ، الأمور الطبية والحكمية والرياضية • اما المسائل الطبية والحكمية فقد اجاب عنها اهل الشام ولكنهم عجزوا عن حل المسائل الهندسية ولما كان الملك الكامل صاحب دمشق يريد ارسال جميع الاجوبة سوية ارسلوا الى المفضل بن عمرو بن المفضل اثير الدين الابهري في الموصل وكان هذا عديم النظير في علم الهندسة فلم يستطع الاجابة عنها ، فأحالها الى المدرسة البدرية ليقوم مدرسها كمال الدين بن يونس بالأجابة عنها وقد فعل[2] •

وقال هذا المصدر ان فضلاء الشام كانوا يتعجبون من البراهين والادلة التي بعث بها كمال الدين بن يونس واثنوا على استخراجها فانها كانت نادرة الزمان[3] • ويذكر ابن خلكان نقلا عن ابن المستوفى انه في **٦٣٧**هـ / **١٢٣٩**م كان في دمشق عالم اشكلت عليه مسائل في علم الحساب والجبر والمقابلة والمساحة فكتب جميعها وارسلها الى المدرسة البدرية في الموصل حيث توفر مدرسها كمال الدين بن يونس بالأجابة عنها ثم بعد اشهر عاد

---

(١) عيون الانباء جـ٢ ص٣٣٧ •

(٢) آثار البلاد واخبار العباد ص٤٦١ ـ ٤٦٣ •

(٣) آثار البلاد واخبار العباد ص٤٦١ ـ ٤٦٣ •

جوابه وقد كشف عن خفيها واوضح غامضها وذكر ما يعجز الانسان عن وصفه[١] وبالرغم من ان ذلك يوضح اهمية ذلك العالم الموصلي ، غير انه يقدم كذلك صورة واضحة عن المدرسة البدرية حيث كان يجرى فيها مثل هذا النشاط العلمي .

وقد تحدثت المصادر عن حضور المدرسين والعلماء للندوات والمناظرات والمناقشات العلمية التي كانت المدرسة البدرية مسرحا لها[٢] فيذكر ابن خلكان ان كمال الدين بن يونس قد تولى التدريس في المدرسة البدرية في ذي الحجة سنة ٦٢٠هـ وكان مواظبا على القاء الدروس والافادة وكان يحضر في بعض الايام دروسه جماعة من المدرسين[٣] واضاف الى ان الشاعر العماد عمر بن يوسف الصنهاجي حضر هو الآخر وانشد يقول :

اذا اجتمَع النُظّار في كلِ موطنٍ فغايةُ كلٍ ان تقول ويسمعوا[٤]

ويشير ابن ابي اصيبعة الى ان كمال بن يونس يلقى الدروس في المدرسة البدرية بحضور الفقهاء والعلماء[٥] وتجرى مسائل فقهية وعلميـة يتكلمون فيها كثيرا ويبحثون في الأصول[٦] .

---

(١) جاء في (وفيات الاعيان جـ٤ ص٣٩٩) انه كتب في آخر الجواب (فليمهّد العذر في التقصير في الاجوبة فان القريحة جامدة والفطنة خامدة قد استولى عليها كثرة النسيان وشغلتها حوادث الزمان وكثير مما استخرجناه وعرفناه نسيناه بحيث صرنا كأنا ما عرفناه) .

(٢) وفيات الاعيان جـ٤ ص٣٩٨ ـ ٤٠٠ . عيون الانباء جـ٢ ص٣٣٧ ـ ٣٣٨ ، القزويني آثار البلاد ص٤٦١ ـ ٤٦٣ ، طبقات الشافعية جـ٥ ص١٥٨ .

(٣) وفيات الاعيان جـ٤ ص٤٠٠ .

(٤) ن.م. ص٤٠٠ .

(٥) عيون الانباء ، جـ٢ ص٣٣٨ .

(٦) ن.م. ص٣٣٨ .

لقد استرعت على ما يبدو هـذه المدرسـة اهتمام العلمـاء والفقهاء والمدرسـين الى ما كان يلقى من محاضـرات ودروس تعزز اختصاصاتهم بالمعرفة وتفسح لهم المجال بأنمائها والالمام بدقائقها ٠

لقد كان كمال الدين بن يونس من ابرز مدرسي المدرسة البدريـة حيث اشار ابن خلكان الى انه كان يشغل فيها الاعادة والتدريس في الفترة الواقعة من ٦٢٠ ـ ٦٣٣هـ[١] وان دروسـه اشتملت عـلى علوم الرياضيات والعلـوم التجريبيـة والمنطق والحكمـة والفلسـفة بالاضـافة الى العلوم الاسلامية[٢] ٠ مما يدل على ان هذه العلوم قد اتُخذت مواد للدراسة في هذه المدرسة كما هو الحال في اشهر مدارس العالم الاسلامي في هـذه الفتـرة ٠

ويذكر ابن الفوطي ان عماد الدين ابا المجد بن هبة الله بن سعيد بن باطيش الموصـلي الذي تلقى علومـه الفقهية وحصـل علم الأدب وسـمع الحديث ورواه في المدرسة النظامية ببغداد قد رتب معيدا في المدرسة البدرية وخازنا لمكتبتها[٣] ٠

ويبدو انه كان يدرس فيها العلوم التي اتقنها ٠ ويضيف الى انه قام بتصنيف عدة كتب ، من المحتمل جدا ان يكون اشتغاله في مكتبة المدرسة البدرية قد هيأ له الانصراف والاطلاع على المصنفاتوالكتب والمؤلفات التي كانت تحتويها هذه المكتبة[٤] ٠ ويشيرابن تغرى بردى نقلا عن كمالالدين

---

(١) وفيات الاعيان جـ٤ ص٤٠٠ ٠

(٢) ن٠م٠ ص٣٩٨ ـ ٣٩٩ ٠

(٣) تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم٢ ص٦٩٢ ٠

(٤) انظر كوركيس عواد ، خزائن الكتب القديمة في العراق (مطبعة المعارف ١٩٤٨) ص١٢٩ ٠

ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٥هـ الى ان العالم شهاب الدين بن ابي الكرم بن هبة الله المتوفى سنة ٦٤٠هـ قد ولاه بدرالدين لؤلؤ مهنة التدريس في الموصل[١] • ومن المرجح ان يتولى التدريس في مدرسته نظرا لما كان يتمتع به من مكانة محترمة لديه فضلا عن اتقانه الفقه الحنفي[٢] • ويذكر ابن كثير ان ابا المظفر محمد بن علوان بن مهاجر المتوفى ٦١٥هـ قد رتب مدرسا في المدرسة البدرية[٣] وانه اتقن الفقه الشافعي في المدرسة النظامية ببغداد[٤] • وتولي هذين الفقيهين التدريس في المدرسة البدرية دليل واضح على تدريس الفقه على اصول المذهبين الحنفي والشافعي فيها •

غير ان نشاط المدرسة البدرية قد تضاءل كثيرا بعد سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م حيث لم نعد نسمع عنها بعد ذلك كما ان بقية مدارس الموصل هي الاخرى لم يعد لها نشاط يذكر في هذه الفترة • وذلك نتيجة انشغال بدر الدين لؤلؤ في الأمور العسكرية وكثرة مشكلاته الداخلية وانصرافه عن العناية بشؤونها لأخماد الفتن والاضطرابات التي كانت تثيرها الطائفة العدوية وتحالف الامارات والمدن ضد امارة الموصل • لقد اصبحت بذلك ظروف بدر الدين لؤلؤ السياسية اكثر تعقيدا نتيجة لتهديدات الطائفة العدوية بأحتلال الموصل وتفاقم خطرهم الأمر الذي جعله يصرف الاهتمام عن المدارس ويعمد الى تحويل بناياتها الى مراقد ومشاهد لأبناء الامام علي ابن ابي طالب في نطاق ترويجه للمذهب الشيعي • فأتخذت بناية المدرسة

---

(١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي جـ١ (القسم الادبي) ص٢١١ •

(٢) ن•م• ص٢١١ •

(٣) البداية والنهاية جـ١٣ ص٨٢ •

(٤) ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج اليه جـ١ ص١٠٥ •

البدرية مشهدا للأمام (يحيى بن القاسم)[١] بعد ان اجرى فيها ادخال كثير من النقوش والزخارف والكتابات المتنوعة . ومع اننا لا نستطيع تحديد السنة التي كان قد اتخذ فيها بدرالدين لؤلؤ قراره بتحويل بناية مدرسته الى مشهد لهذا الامام ، غير ان ذلك كان قد حدث قبل سنة **٦٤٧**هـ/**١٢٤٩**م وهي السنة التي اشار اليها ابن يوسف الكنجي بعقد المجالس في هذا (المشهد الشريف للتحدث في فضائل ومناقب آل البيت)[٢] .

ويرى الاستاذ الديوهجي ان هذا المشهد الذي يمثل البقايا الوحيدة للمدرسة البدرية هو من انفس العمارات التي شيدت في العصر الاتابكي[٣]. واقتداء بالملوك الاتابكيين حيث كانوا يدفنون في مدارسهم التي شيدوها ، فقد دفن بدرالدين لؤلؤ في مدرسته التي اتخذت مشهدا . ويشير ابن خلكان الى ان بدر الدين لؤلؤ توفى سنة **٦٥٧**هـ ودفن في مشهد يقع في قلعة الموصل[٤] كما ذكر المؤرخون انه دفن في المدرسة البدرية[٥] .

ونجد الى جانب هذه المدارس الحكومية ، مدرسة اهلية كان لها شأن كبير في هذه الفترة هي المدرسة المهاجرية[٦] التي انشأها علوان بن مهاجر

---

(١) انظر الفصل الاول ص٣٧ .

(٢) كفاية الطالب في مناقب الامام علي بن ابي طالب ص٢ .

(٣) مدارس الموصل في العهد الاتابكي (مجلة سومر مجلد « ١٣ » ١٩٥٣) ص١١٦ . وانظر ايضا الموصل في العهد الاتابكي ص١٤٧ ـ ١٥٠ .

(٤) وفيات الاعيان جـ١ ص١٦٦ .

(٥) الحوادث الجامعة ص٢٣٧ . ابن كثير ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٢١٤ .

(٦) واشهر من عرف من الاسرة المهاجرية هم علي بن مهاجر ومحمد ابن مهاجر وعلوان بن مهاجر وابنه محمد بن علوان بن مهاجر وقد اشير الى ان هؤلاء كانوا اهل ثروة ونعمة وعدالة (الصفدى ، الوافي جـ٤ ص٩٨).

وقد اقتصرها على الفقهاء فقط ووقف عليها وقوفا متوفرة الحاصل[١] وهي تقع بالقرب من بيته[٢] • ويبدو ان المدرسة المهاجرية انشئت وافتتحت قبل سنة **٥٨٥**هـ/**١١٨٩**م وان العالم كمال الدين بن يونس كان يدرس فيها الفقه والحكمة والعلوم الاسلامية[٣] كما اشغل ابو المظفر شرف الدين محمد بن علوان بن مهاجر المتوفى سنة **٦١٥**هـ/**١٢١٨**م التدريس في مدرسة ابيه ، وكان قد اتقن علومه الفقهية في المدرسة النظامية ببغداد حيث صار معيداً هناك ثم عاد الى الموصل واخذ يدرس الفقه الشافعي في المدرسة المهاجرية[٤] وفي مدارس اخرى[٥] وولي التدريس فيها ايضا عمادالدين احمد بن محمد بن علوان بن مهاجر الذي كان من بيت العلم والفقه والتدريس[٦] الذي سبق له هو الآخر ان اتقن علومه الفقهية في مدرسة نظامية بغداد ، ويبدو أن المدرسة المهاجرية بدأت تفقد اهميتها وخاصة بعد سنة **٦١٥**هـ/**١٢١٨**م[٧] وذلك نتيجة لظهور عدد من المدارس الاخرى التي كانت تحظى باهتمام الدولة ورعايتها • يضاف الى انها اقتصرت على تدريس الفقه الشافعي ، وبطبيعة الحال فأن ذلك يجعل الاهتمام يتحول عنها الى المدارس الاخرى التي اخذت بالاتجاه الجديد في تقديم العلوم المختلفة الى جانب العلوم الاسلامية •

---

(١) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب جـ٤ قسم٢ ص٦٧٥ •

(٢) الصفدى ، الوافي بالوفيات جـ٤ ص٨ ٩•

(٣) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء جـ٣ ص٣٣٤ •

(٤) ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج اليه جـ١ ص١٠٥ ، الصفدى ، الوافي جـ٤ ص٩٨ ، السبكي ، طبقات الشافعية جـ٥ ص٣٢ •

(٥) الوافي بالوفيات جـ٤ ص٩٨ ، طبقات الشافعية جـ٥ ص٣٢ •

(٦) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم٢ ص٦٧٥ •

(٧) ن•م• قسم١ ص١٩٢ ، ابن الصابوني ، تكملة اكمال الاكمال ص١٥٤ ، ابن رجب ،الذيل على طبقات الحنابلة جـ٢ ص١٤٩ •

وهناك مدارس اخرى انشئت بعد تأسيس المدرسة النظامية في الموصل ليست لدينا معلومات وافية عنها ، ومن اهمها (المدرسة الكمالية) و (المدرسة الزينية) وقد انشأهمها زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين المتوفى في ٥٦٣هـ[١] و(المدرسة الكمالية القضوية) التي انشأها ابو الفضل محمد ابن ابي محمد عبدالله بن ابي القاسم الشهرزوري[٢] . و (المدرسة اليوسفية)[٣] و (المدرسة المجاهدية)[٤] و (مدرسة ام الملك الصالح) اسماعيل بن نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن آق ـ سنقر[٥] و (المدرسة النفيسية)[٦] و (المدرسة العلائية)[٧] .

بدرالدين لؤلؤ والشعراء :

برزت الى جانب الحركة العلمية في الموصل ، حركة ادبية كان من اهم مظاهرها اهتمام بدر الدين لؤلؤ بالشعراء والعناية بشؤونهم ومحاولة

---

(١) ابن الأثير ، الباهر ص٢٤٣ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ١ ص٤٢٥ ـ ٤٢٧ ، ٤٣٥ ، جـ٢ ص٣٢ ، ٤١٩ ، انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، الورقة ١٤٠ .

(٢) وفيات الاعيان جـ١ ص٤٧٢ .

(٣) القرشي ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية جـ٢ ص١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٤) الباهر ، ص١٩٣ ، ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٤ قسم٢ ص٨٣ .

(٥) الباهر ص١٣٠ ، ٣٣١ ، سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٢٣٤ .

(٦) وفيات الاعيان جـ١ ص٤٧٦ .

(٧) ن٠م٠ ص٤٦٧ ، جـ٢ ص١٣٤ ، ابن الوردي ، تتمة المختصر في اخبار البشر جـ٢ ص١٣٠ ، السبكي ، طبقات الشافعية جـ٥ ص١٦١ ، انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، الورقة ١٤٠ .

تقريب اقدرهم الى بلاطه حتى اجزل لهم العطاء • ووردت بهذا الصدد نصوص غير قليلة من الشعر سواء قيلت في مدح بدرالدين لؤلؤ او في مناسبات اخرى ، تلقي اضواء مفيدة على احداث تاريخية معينة في هذه الفترة وتوضح بعض جوانبها التي اهملتها المصادر المتوفرة أو قدمت اشارات مقتضبة عنها •

ولهذا امكن الى حد ما اقرار بعض الحقائق التاريخية لهذه الفترة من خلال دراسة النصوص الشعرية الواردة لدى معظم الشعراء المقربين الى بدرالدين لؤلؤ • ومن هؤلاء الشعراء الذين كانوا يختلفون الى بلاط بدر الدين لؤلؤ الشاعر ابو الطيب بن الحلاوي الموصلي[١] الذي كان قد مدح الخلفاء والملوك • واشار ابن شاكر الكتبي الى انه كان لطيفاً حسن العشرة خفيف الروح وان صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ كان لا يقربه الى مجلسه في بادىء الأمر وانما كان يكتفي بالاستماع الى قصائده في ايام المواسم والاعياد[٣] غير ان بدرالدين لؤلؤ أمره بملازمة مجلسه كسائر الندماء واقطعه اقطاعا[٤] وما زال يواليه بترقياته حتى انه اصبح لا يستطيع

---

(١) وهو احمد بن محمد بن ابي الوفا بن ابي الخطاب شرف‌الدين ابي الطيّب بن الحلاوي الربعي الموصلي • انظر ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات (مطبعة السعادة) جـ١ ص١٢٣ •

(٢) وله قصائد منها في مدح الملك العزيز محمد صاحب حلب والملك الناصر صاحب الكرك ن•م• ص١٢٦ ، ١٢٨ ـ ١٢٩ •

(٣) ن•م• ص١٢٣ •

(٤) جاء في (فوات الوفيات) ان بدرالدين لؤلؤ رأى في الصحراء يوما ابن الحلاوى ويرعى له برذونا ضعيفا في روضة معشبة فقال له : مالي ارى هذا البرذون ضعيفا ؟ فقال له : يا مولانا حاله مثل حالي ، فقال له السلطان : هل عملت في برذونك هذا نظما ؟ قال نعم : وانشده بديهة

فراقه[1] .

ونال الشاعر جمال الدين يحيى بن مطروح الحظوة[2] لدى بدر الدين لؤلؤ[3] فقد كان احد ندمائه الملازمين لمجلسه ومن شعره يمدح بدر الدين لؤلؤ

لله شبّارة حوت ملكاً ... كأنما الأرض في يديه كرة
فأعجب بها اذ جرت به وبها ... انملة وهي ابحر عشرة[4]

وذكر ابن الصابوني ان الشاعر الفضل بن مسعود بن محمد المعروف

فاعجب السلطان بديهته وأمر له بخمسين دينارا وأمره بملازمة مجلسه كسائر الندماء ص١٢٣ . وجاء ايضا ان ابن الحلاوى كان شاعرا مشهورا وقد امتدح الخلفاء والملوك والاعيان فقربه بدرالدين لؤلؤ ولبس زي الجند وكان شعره جزلا جيد المعاني . وكان بدرالدين لؤلؤ يحضره امام الوفود والزائرين والرسل لينشد الشعر وقد رافقه الى بلاد فارس للأجتماع بهولاكو (ن.م. ص١٣٠) انظر ايضا اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٩٦ ، ١٠٤ ، ١٨٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ٧ ص٦٠ .

(١) فوات الوفيات جـ١ ص١٣٠ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٥ ص٣٠٢ .

(٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص١٨٩ .

(٤) ن.م. ويورد له قصيدة اخرى في مدحه ايضا ص٢١٦ ومنها :
[من مجزوء الكامل] :

قسماً بفيكَ وما حوى ... قسم عظيم في الهوى
ما ظلّ صاحبُ مهجة ... ذابت عليك وما غوى
يا ايها القمرُ الذي ... نجم السلوّ به هوى
ماذا أثرت على القلوبِ ... من الصبابة والجوى
واغنّ في اعطافه ... هزءو باغصان اللوى
افدى الذي فاديته ... وركابُه بيد النوى
مولاى حبك نيتي ... ولكل عبد ما نوى

بأبن صباح الموصلي كان موجودا في الموصل حتى سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م اي انه كان معاصرا لبدرالدين لؤلؤ • وقد اجاز هذا الشاعر لأبن الصابوني ذكر كلما سمعه ورواه عنه ثم كتب اليه بخطه فيما يتعلق بذلك(١) غير انه لم يذكر شيئاً من شعره •

اما الشاعر كمال الدين حيدرة بن عبيدالله الحسني الموصلي ، فأنه كان من شعراء بلاط بدر الدين لؤلؤ وقد استماله بما اسداه اليه من الانعام والهبات ويبدو ان موت هذا الشاعر قد ترك تأثيرا واضحا في نفس بدرالدين لؤلؤ فكان لا ينسى زيارة ضريحه عند مروره في المقبرة الجنوبية ويورد ابن الطقطقى نموذجا من شعره في مدح بدرالدين لؤلؤ(٢) •

ويستفاد مما ورد في احدى قصائده انها القيت بمناسبة ورود موافقة الخليفة العباسي الناصر لدين الله على تقليده مدبراً للملوك الاتابكيين • وقد اقيم احتفال كبير حضره الرسل والوفود من البلاد الاخرى فقال : [من الطويل] :

هنيئاً بجدّ ساعدتك سعوده ... وتمّ له يومَ التفاخرِ عيدُهُ
وبشرى باقبالٍ أَهلَّ بشيرُهُ ... كما وفدتْ عند الهناء وفودُهُ
واني لبدرالدين ذي الفخر والعلى ... نديدٌ وكلا ان يصاب نديده(٣)

ويبدو ان هذا الشاعر كان يشير الى الجهود التي بذلها بدرالدين لؤلؤ للأستيلاء على السلطة والى النجاح الذي وفق الى تحقيقه في سياسته فيما بعد •

ومن الشعراء الذين ذكرهم ابن الفوطي محيي الدين ابو طاهر محمد

---

(١) تكملة اكمال الاكمال ص٢٠٤ •

(٢) الفخرى في الآداب السلطانية ص٧١ •

(٣) ن•م• ص٧١ •

ابن كمال الدين ابي الفتوح حيدر بن زيد النقيب الحسني الموصلي المتوفى في ٦٤١هـ / ١٢٤٣م[١] وينقل المؤرخ ابياتا من الشعر نقلها هو الآخر عن مصدر آخر ونسبها الى هذا الشاعر ومما جاء فيها يفيد ان بدرالدين لؤلؤ كان قد ابعده عن بلاطه :

تحيـــة مهجـورٍ الى خير هاجـر   تهيّجه الذكرى الى غير ذاكـرِ
على انــه لو شـقّ قلبي وجدتــه   به ماثلاً أو في ضميري وخاطري
وكيف أرى السلوان عمّن اعزّني   بانعامـهِ الفياض عـزةَ قادرِ[٢]

ومع ان المصادر لم تذكر سـبب ابعاد بدرالدين لؤلؤ له فأن من المحتمل انه كان من معارضيه في سياسته تجاه الاتابكيين التي كانت تتسم بالعنف والشدة .

ووضع ابن الفوطي الشاعر كمال الدين ابا الفضل احمد بن ابي بكر ابن عبدالكريم المعروف بالكميش القزويني الموصـلي في مقدمـة شـعراء

---

(١) تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب جـ٥
Oriental College Magazin

العدد ١ ص٤٠٦ ، واضاف الى ان هذا الشاعر كان من بيت معروف بالعلم والفضل والادب والتقدم والنقابة .

(٢) تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب جـ٥
Oriental Coliege Magazin

العدد ١ ص٤٠٦ . ومن الشـعراء الذين مدحوا بدرالدين لؤلؤ أيضـاً ، الشاعر الفصيح ابو الحسن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن ابراهيم الموصلي الأديب قال :

قليـلٌ عـلى اثـر الحبيب المودعُ   اذا كان من قاني دمي سيل ادمعي
رأى جزعي يوم الفراق فلامنـــي   خليلي من يعرض لـه البين يجزعِ
وليس بصـبٍ من نأى عنه حبـه   اذا قـرّ أو أوى الى طيب مضـجعِ

انظر ابن الفوطـى ، تلخيص مجمـع الآداب جـ٤ قسـم٣ ص٤٧٤ وما بعدها .

الموصل وادبائها في هذه الفترة واضاف الى انه نظم عدة قصائد في مدح السلطان بدرالدين لؤلؤ الاتابكي[1] ولكنه لم يذكر شيئاً منها في كتابه ولا حتى المصادر المعاصرة الاخرى[2] .

وذكرت المصادر ان من شعراء الموصل ايضا ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن سيف التنوخي الموصلي الوتار المتوفى سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٣م[3] وكان ينظم شعرا جيدا . ويبدو انه كان من معارضي بدرالدين لؤلؤ السياسيين ، فقد ذكر ابن الصابوني ان الاقامة لم ترق له في الموصل فاستوطن دمشق ومدح كبراءها ثم تولى الخطابة بالمزة وهي قرية كبيرة غربي دمشق[4] . وكان في اول امره احد شعراء بدرالدين لؤلؤ الملازمين لمجلسه[5] .

والى جانب هؤلاء يذكر ابن الفوطي نقلا عن ابن الشعار ، ان الشاعر ابا حفص المنتجب عمر بن المظفر بن عبدالله بن المبارك بن عثمان البرطلي المتوفى سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م احد شعراء الموصل ، ويمضي هذا المصدر قائلا انه كان في باديء امره حائكا ثم اشتغل بالأدب ونظم الشعر ، وقد

---

(١) ن٠م٠ ص١١٣ ٠

(٢) رحل هذا الشاعر قبل الغزو المغولي من الموصل الى مراغه وهي احدى المدن الفارسية ثم ما لبث ان عاد منها سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م ونعتقد انه انخرط في خدمة المغول (ن٠م٠ ص١١٣) ٠

(٣) ابن الصابوني ، تكملة اكمال الاكمال ص٣٥٧ ، الصفدى ، الوافي جـ٢ ص٢٦٢ ٠

(٤) تكملة اكمال الاكمال ص٣٥٧ ٠

(٥) ومن شعره ما اورده الصفدى (الوافي جـ٢ ص٢٦٢) : [من الطويل] :

وكنت واياها مذ اختط عارضي ... كروحين في جسم وما نقَضتْ عهَدا
فلما اتاني الشيب يقطع بيننا ... توهمتَه سيفًا فالبستُه غِمدا

فاقت شهرته في الموسيقى وفن الطرب[1] .

ومن الجدير بالذكر ان المصادر المارة الذكر لم تنقل لنا نصوصا شعرية كافية لهؤلاء الشعراء مما يجعل هناك صعوبة في فهم بعض الحقائق التاريخية وخاصة ما يتعلق بسياسة بدرالدين لؤلؤ وعلاقاته الخارجية .

والظاهر ان بعض الشعراء من البلاد الأخرى كانوا يقصدون الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ لطلب الرفد أو للحصول على بعض الامتيازات منه ، مستغلين تشجيعه واهتمامه بالشعر واجزاله العطاء والهبات لهم . ان اهتمام بدرالدين لؤلؤ بالشعراء ومبالغته في تكريمهم كان بسبب شعوره بوجوب رعايتهم باعتبارهم لا يقلون اهمية ومنزلة عن العلماء والفقهاء فضلا عن اتخاذهم وسيلة فعالة للدعاية له في البلاد الاسلامية بما ينظمونه من شعر والظهور بمظهر القوة والتفوق .

ومن هؤلاء الشعراء الذين قصدوا الموصل للألتقاء ببدرالدين لؤلؤ الشاعر الاحسائي جمال‌الدين علي بن المقرب العيوني فقد حضر الى بلاطه وانشد بين يديه عدة قصائد طويلة[2] ولدى دراستنا لهذه القصائد أمكننا التوصل الى تأكيد بعض الحقائق التاريخية التي اوردها المؤرخون . ولابد أن نشير هنا الى ان اولى هذه الحقائق هي ما يتعلق بالرخاء الاقتصادي والتقدم الحضاري الذي كانت عليه الموصل خلال عهد بدرالدين لؤلؤ . وقد جاء في مطلع احدى القصائد قوله : [البسيط] :

---

(١) تلخيص مجمع الآداب جـ٥ Oriental College Magazin مجلد ٢٣ عدد ٢ / العدد ٨٨ ص٢٧٧ .

(٢) ديوان الامير جمال‌الدين علي بن المقرب العيوني الاحسائي (تحقيق وشرح عبدالفتاح الحلو ـ مصر ، الطبعة الاولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣) ص٣٩١ ، ٤٢٢ ، ٤٣٩ .

(١) حطوا الرحال فقد اودى بهــا الرحل
ما كلفت ســيرها خيل ولا ابل
(٢) بلغتم الغاية القصـــوى فحسبكم
هــذا الذي بعلاه يضـرب المثــل
(٣) هــذا هو الملك بدر الدين خيرُ فتىً
بــه تعلق للراجــي الغنى أمـــل
(٥٠) طابت به الموصل الحدباء واتســعت
لســاكنيها بهــا الارزاق والســـبل
(٥١) واصــبحت جنـــة لا يبتغي حـــولا
قطانهــا لو الى دار البقا نقلوا[١]

وقال في قصيدة اخرى :

(٢٤) أيامــــه غـــر محجلــــة وقـــد
ضـــمن الأخير بأن يفوق الأولا
(٢٥) زهت البلاد بــه فما من بلــدة
الا تمنت ان تكون الموصـــلا[٢]

ثم قال قصيدة مطلعها :

(٢٢) خليلي ما كل الرجـــال وان علو
كمال ولا كل الاقاليم موصـل[٣]

---

(١) ديوان الأمير جمال الدين بن علي بن المقرب العيوني الاحســاني ص٤٣٩ ، ٤٤٥ .

(٢) ن٠م٠ ص٤٢٤ ، ٤٢٥ .

(٣) ن٠م٠ (ص٤٢٢ ــ ٤٢٥) وتحدث الشاعر ايضا عما كان يحصل عليه من الرفد فقال :

١ــ انزل لتلثم ذا الصـعيد مقبلا شـرفا واجــلالا لمــولى ذا المــلا
٢ــ وقل السلام عليك يا منلم يزل كنـــزاً لابنـــاء الهمــوم ومعقــلا

ويشير الشاعر هنا الى المكانة الاجتماعية الكبيرة للعالم الموصلي كمال الدين بن يونس المتوفى سنة ٦٣٩هـ والتي كان قد استمدها من اشتغاله بالعلم •

وقال ايضا : [من البسيط] :

(٢٥) أرسى قواعد ملك لو يدبّره
كسرى واسكندر اعيتهم الحيل

(٢٦) من بعد ان قيل ضاع الملك وانفصـ
ـمت منه العرى واستوى الرئبال والورل

(٢٧) وقال قوم تولى الملك منصرفا
عن اهله وكذا الدولات تنتقل

(٢٩) اما دروا ان بدرالدين لو رديت
به الشواهق لم يعقل بها وعل

(٣١) ملك تحمل ما لا يستطيع له
حملا ثبير وثهلان فيحتمل

(٣٣) غدا به الملك بالجوزاء منتطقا
وراح وهو بظهر الحوت منتعل

(٤٨) يا عاذلا لامه في البذل دعه وسر
من يعشق الجود لم يعلق به العذل

٣ـ واشكر اياديه التي أولاكها — فلقد أطاب لك العطاء واجزلا
٦ـ ما كنت آمل من نداه انالني — فأنا له رب العلا ما أملا
٧ـ الفامصمتة" أجاز وبغلة — تشأى النعامة والحرون وقرزلا
٨ـ ومن الملابس خلعة" لو قابلت — روض الحمى أنفاً لكانت أجملا
١٩ـ بابي الهمام ابي الفضائل ذي العلى — والمكرمات فما أبر وافضلا
٣٣ـ والمال عندك كالتراب محله — تحبوبه من هان قدراً أو علا

(٥٥) فعاش ما شاء لاما شاء حاسده
في دولة نجمها بالسعد متصل[١]

لقد قدم الشاعر في هذه النصوص الشعرية ما يلقى ضوءاً على الاحوال السياسية والادارية فيوضح الاخطار التي تعرضت لها امارة الموصل في هذه الفترة من جراء تهديدات الاتابكين والوقوف بوجه بدرالدين لؤلؤ ثم يتعرض الى دوره في محاربتهم وصد اعتداءاتهم المتكررة على امارته واعمالها وانصرافه لادارتها ووضع تنظيمات محكمة تضمن سلامتها وقوتها •

ويعود الشاعر فيشير الى سياسته الداخلية التي وصفها بالحزم والعدل فقال :

(٣٥) وأولى الرعايا عدل كسرى وساسها
سياسة ميمون النقيبة حازم[٢]

كما سجل لنا هذا الشاعر احداثا تاريخية مهمة تتعلق بالصراع الحربي الذي كان قائما بينه من جهة وبين مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل وعمادالدين زنكي الابن الاصغر للملك عزالدين مسعود بن نورالدين ارسلان شاه من جهة اخرى فقال :

(٦٧) وعاش حاسدك الاشقى اخا مضض
ومات في الجلد منه ذلك النغل[٣]

وقال ايضاً :

(٥) قد كنت وحدك لا جند ولا عدد
وقد أتوك فقل لي مالذي نالوا

(٦) هل غير احراق غلات وقد شقيت
بهم عجائز همات واطفال

---

(١) ديوان ابن المقرب ص٤٤٢ ـ ٤٤٦ •
(٢) ن•م ص٥١٦ •
(٣) ديوان ابن المقرب ص٤٤٧ •

(٧) وكل ذا ليس يشفى غيض ذى حنق
وكيف يشفى غليل الحائم اللآل

(٩) لكن اباك حلم راسـخ وتقـى
ما لا توهمّـــه غوغـاء جهـــال

(١٠) وانت تعلم لا زلت المنيع حمـى
ان الشـدائد للسـادات غربال[1]

ومن المرجح ان ابن المقرب كان يلمح لمحاولات مظفر الدين كوكبرى لانجاد عماد الدين زنكي في الاستيلاء على الموصل في ٦٢١هـ • والمعروف ان بدرالدين لؤلؤ كان قد احكم خطة الدفاع عن امارته مما اضطر صاحب اربل الى محاصرتها عشرة ايام ولكن بدون ان ينال منها غرضا •

وهناك اشارات كثيرة فيما طرقها الشاعر من موضوعات في قصـائده التي كان قد القاها بين يدي بدرالدين لؤلؤ الى الصراعات والمنازعات الحربية التي سادت المنطقة حيث كانت امارة الموصل قد لعبت دورا فعالا فيها فضـلا عن دورها في المحالفات والمعاهدات والاتفاقيات العسكرية اذ انها كانت طرفا نشطا فيها كما ذكرت المصادر التاريخية قال في احدى القصائد [من البسط] :

(١٥) الخيل تعرف يوم الروع صـولته
بحيث في ملتقاهـا يبطل البطـل

(١٦) كم فارس تحت ظل النقع غادره
بضـربة لم يشـن اخدودها فشـل

(٢٢) محض الضريبة ميمون النقيبة طعـ
ـان الكتيبـة لا غمر ولا وكل

(٢٣) كهل الشبيبة نهـاب الحربية وهـ
ـاب الرغيبة هش بالندى عجـل

---

(١) ن•م ص٣٩٢ •

(٣٦) مقدام معركة كشاف تهلكة
طلاب مملكة تسمو بها الدول[١]

ثم قال ايضا :

(٤) من ذا يهم بغاب انت ضيغمه
وحولك الأُسد في المأذى تختال

(٨) وانت لو شئت اضحت كل ناحية
من ارضهم وبها نوح واعوال[٢]

وله : [من الطويل] :

(١) بسمر القنا والمرهفات الصوارم
بناء المعالي واقتناء المكارم

(٤) وما الفخر الا الطعن والضرب والندى
ورفض الدنايا واغتفار الجرائم

(٢٣) وخف سيف بدرالدين واحذر فاسه
لأغير من ليث جري المقادم

(٢٦) هو الملك السامي الى كل غاية
مراهصها[٣] لا ترتقى بالسلالم

(٤٣) وكم هامة حسناء رحات جباهها
نعالا لأيدي خيله في الملاحم

(٥١) جيوش هي الطوفان لارمل عالج
ولا جبل الأمرار منها بعاصم

---

(١) ن٠م٠ ص٤٤١ ـ ٤٤٤ ٠

(٢) ديوان ابن المقرب ص٣٩٢ ٠

(٣) المراهص ، الصخور المتراهصة الثابتة ٠

(٥٢) معودةً نصـــر الآلـه فما غزت
منيـــع حمى الا انثنت بالغنـــائم
(٥٣) اذا ما دعت يابا الفضـائل أرعدت
فريص الأعادي فاتقت بالهزائم(١)

اما بصدد علاقات بدرالدين لؤلؤ بالخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي تنتهي خلافته سنة ٦٢٢هـ فيلقي الشاعر ضوءا مفيدا عليها حيث يشير الى انها وصلت الى درجـة كبيرة من التفـاهم والاخلاص ، اذ ان مكانـة بدرالدين لؤلؤ لدى الخليفة كانت عظيمة كما يذهب الشاعر ، وان طاعتـه لما يدعوه « خير خليفة لنصر الدين » هي مفخرة له يعتز بها فيقول :

(٤٦) دعاه لنصـر الدين خير خليفـةٍ
وما زال يدعى للأمـور العظـائم
(٤٧) فلبـي مطيعـا للامـام وحسـبه
بذا مفخرا في عربهـا والاعاجم(٢)

ثم يقول :

(٥٢) وحسـبه مفخرا ان الأمام بـه بسر
وان لديـه شـــأنه جلـــل
(٥٣) امامنا الناصر الهادي فما اختلفت
فيـه العباد وما جاءت بـه الرسل
(٥٤) خليفـــة قســما لولا محبتــه
لمـا تقبـل من ذي طاعـة عمل

---

(١) ن٠م٠ ص٥١١ ـ ٥١٨ ٠
(٢) ن٠م٠ ص٥١٧ ٠

(٥٥) هو الذي افترض الرحمن طاعتـــه
ومن سواه فلا فرض ولا نفل[١]

والظاهر ان دعوة الخليفة له لنصر الدين كانت فيما يتعلق بالوقوف في وجه السلاجقة في آسيا الصغرى (سلاجقة الروم) الذين كانوا يغيرون على البلدان والامارات التي لا تخضع لسلطانهم أو لا تدين لهم بالنفوذ فقال :

(٤٨) فقـاد الى الافرنج جيشـا زهاؤه
عديد الحصـا ذا ازمل وزمـازم

(٤٩) وجيشايوارى الشمس ريعان نقعـه
الى الترك اذ جاءوا لهتك المحارم[٢]

وكذلك بالوقوف ضد الغزو الصليبي حيث يقول :

ستبقى به الافرنج والترك ما بقت
كأن حشـاياها ظهـــور الشـــياهم
تقلبهـــا جنبـا فجنبـا مخافـــة
نوت فاستقرت بين تلك الحيازم[٣]

وبالوقوف ضد المغول وخاصة خلال السنين الاولى من عهده فيقول :

(٥٠) اذا التتـر البـاغون ذاقـوا لقاءه
تمنوا بان كانوا دما في المشائم[٤]

غير ان علاقات هذا الشاعر الاحسائي مع بدرالدين لؤلؤ قد سـاءت لأسباب لا نعرفها حيث لم تشر اليها المصادر مما جعل الشاعر يهجوه بقوله :

---

(١) ديوان ابن المقرب ص٤٤٥ ـ ٤٤٦ ٠
(٢) ن٠م٠ ص٥١٧ ـ ٥١٨ ٠
(٣) ن٠م٠ ص٥١٨ ٠
(٤) ن٠م٠ ص٥١٨ ٠

(١) تسلطن بالحدباء عبد بلؤمه
بصير بلى عن نيل مكرمة عم

(٢) اذا أيقظته لفظة عربية
الى المجد قالت أرمنيته : نم[١]

ومع ان العالم الموصلي المعروف كمال‌الدين بن يونس ليس شاعرا الا انه نظم ابياتا في مدح بدرالدين لؤلؤ الذي كان يغمره بالانعامات والافضال • وقد القت هذه الابيات اضواء على ما كان يوصف به صاحب الموصل بالقدرة على الحكم واشاعة العدل بين الرعية وحفظ الامارة من العدوان وارساء قواعدها وانماء قدرتها وقوتها فقال :

لئن شرفت ارض بمالك رقها فمملكة الدنيا بكم تتشرف

بقيت بقاء الدهر امرك نافذ وسعيك مشكور وحكمك منصف

ومكنت في حفظ البسيطة مثل ما تمكن في امصار فرعون يوسف[٢]

---

(١) ن٠م٠ ص٥٠٥ •

(٢) ابن خلكان نقلا عن ابن المستوفي جـ٤ ص٣٩٩ ، ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب جـ٥ Oriental College Magazin العدد ٨٦ ص٢٩٣ ، الحوادث الجامعة ص١٥٠ ، السبكي ، طبقات الشافعية جـ٥ ص١٥٨ •

الفصل السادس

علاقات بدرالدين لؤلؤ وخليفته ابنه الملك الصالح بالمغول

الفصل السادس
علاقة بدرالدين لؤلؤ وخليفته الملك الصالح بالمغول

بدر الدين لؤلؤ والمغول :

تعرّض العالم الأسلامي[1] للغزو المغولي في بداية القرن السابع الهجري اي في سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م حيث اخذت جيوش جنكيز خان تعبر نهر سيحون لتهدد الدولة الخوارزمية[2] التي كانت تضم بلاد ما وراء النهر وأكثر بلاد ايران وقد بات من المحتم اخضاعها ، وذلك نتيجة لسياسة المغول التي كانت تستهدف اقامة امبراطورية مغولية عالمية من جهة ، ورغبتهم في اجتياح دولة خوارزم شاه محمد بن تكش ٥٩٦ – ٦١٧هـ / ١١٩٩ – ١٢٢٠م الذي بدأ يستثيرهم في الظاهر من جهة أخرى .

ويمكن القول في ضوء ما توفر لدينا من الحقائق والمعلومات التاريخية ان الأنحلال الذي كان يسود العالم الاسلامي الشرقي بأجمعه وتفكك دوله ومظاهر التناحر السياسي والعسكري بينها قد مهد لانتشار الجيوش المغولية في الأقاليم الاسلامية الشرقية واستباحتها وابادة سكانها[3] . فبينما كان ملوك الدولة الخوارزمية يسعون لتوسيع نفوذهم في المناطق الواقعة الى شمال أو الى جنوب دولتهم[4] ويعملون على تهديد حاضرة الخلافة العباسية

---

(١) اهم الدول التي كانت تمثل العالم الاسلامي في هذه الفترة تقوم في ايران والجزيرة والعراق والشام ومصر .

(٢) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص١٢٣ ، ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص١٦١ ، ياقوت ، معجم البلدان جـ٣ ص٨٥٨ .

(٣) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص١١٣ .

(٤) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص٩٣ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٦٠٩ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٤٦٨ .

بغداد[1] ، كان الخطر المغولي يتعاظم ويشتد فيما وراء النهر ويتهيأ للزحف نحو الغرب ، في الوقت الذي كان فيه جنكيز خان يمهد لهذا الزحف بسعيه غير المخلص في ابرام اتفاق تجاري مع الخوارزميين[2] الذين لم يكونوا ليدركوا قوة جنكيز خان الحقيقية فقتلوا رسله الذين ارسلهم لهذا الغرض ومثلّوا فيهم[3] مما اثار حفيظة قائد المغول حيث امر جيوشه ان تبدأ بغزو أقاليم الدولة الخوارزمية .

وقد استطاعت هذه الجيوش بالفعل ان تتقدم بفتوحاتها في بلاد ايران سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م مما اضطرت السلطان الخوارزمي الى الفرار الى احدى الجهات الشمالية من بلاده ومات هناك . وبعد عودة جنكيز خان سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م الى بلاده مات هو الآخر بعد اربع سنوات فانصرف المغول الى معالجة شؤونهم الداخلية . وقد هيأ ذلك لجلال‌الدين منكبرتي الذي خلف اباه في عرش الدولة الخوارزمية فجمع فلول جيشه وشرع يعيد سيطرته على جنوب بلاده وغربها مستغلاً انشغال المغول وانسحاب قواتهم الرئيسة من معظم أقاليم دولة خوارزم غير انه بدلاً من توجيه ضرباته الماحقة للجنود المغولية وتتبع اثارهم انصرف الى محاربة امراء المسلمين

---

(١) سيرة السلطان جلال‌الدين منكبرتي ص٤٩ ، مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٩٥٨ ـ ٥٩٩ .

(٢) ابن العبرى مختصر الدول ص٤٠٠ ـ ٤٠١ ، ابن كثير البداية جـ١٣ ص٨٢ ـ ٨٣ .

(٣) ان معظم المؤرخين المعاصرين عزوا أقدام جنكيز خان على غزو دولة خوارزم هو قتل التجار الذين ارسلهم جنكيز خان للمتاجرة من قبل غايرخان حاكم مدينة (أترار) فيما وراء النهر بعد استئذانهم (محمد بن تكش) سلطان الدولة الخوارزمية . انظر ن.م نفس الصفحات .

والخليفة العباسي[1] مما اضطرهم الى الرد عليه بالمثل •

ومن هذه الامارات التي بدأ الخوارزميون الأغارة عليها امارة بدر الدين لؤلؤ[2] حيث كانوا يطمعون في الحصول على ما فيها من ثروات وفيرة وممتلكات غنية ، لذلك لم تكن تهمهم الجيوش المغولية التي أخذت تطاردهم بقدر ما يتعلق الأمر بالحصول على الثروات ، وقد وصف الذهبي عساكرهم بأنها (مجمّعة لا أخباز لهم بل يعيشون على النهب والأغارة)[3]•

وحتى بعد مقتل جلال الدين منكبرتي في ٦٢٨هـ/١٢٣٠م استمر اتباعه من الخوارزميين بالتعرض للموصل وأعمالها ، وبطبيعة الحال فان الجيوش التي كانت تطارد فلولهم أخذت تتعرض في طريقها لهذه الامارات فتلحق اضراراً جسيمة فيها احياناً ، واصبحت اطراف الموصل معرضة لعبث الجنود المغولية ، بالأضافة الى الخوارزميين •

ونتيجة لذلك فان بدرالدين لؤلؤ انصرف الى دفع الأخطار التي كان يسببها له المغول عن اطراف امارته مما اضطره في نهاية الامر الى التعاون مع مظفر الدين كوكبرى في هذا الشأن ، ومثال ذلك في ٦١٧هـ/١٢٢٠م حيث اتجهت قطعات من الجيش المغولي نحو اربل لاحتلالها فاجتمعت بعض عساكر العراق والموصل للوقوف ضدهم فاضطروا عندئذ الى الفرار الى قواعدهم في همدان[4] • وفي ٦١٨هـ/١٢٢١م استأنف المغول محاولتهم

---

(١) وقام بسلسلة من التحرشات والمخاطرات ضدهم وقد احتواها كتاب (سيرة السلطان جلالالدين منكبرتي) للمنشيء النسوي محمد بن أحمد الذي عمل كاتباً للأنشاء ثم وزيراً لدى السلطان جلالالدين منكبرتي •

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص٣٠٤ ، انظ رايضاً الدكتور جعفر خصباك العراق في عهد المغول الايلخانين ص٦ •

(٣) دول الاسلام جـ٢ ص١٠١ •

(٤) الذهبي ، تاريخ الاسلام الورقة ١٣٣ •

غزو اربل فكتب مظفر الدين كوكبرى الى بدرالدين لؤلؤ يطلب منه نجدة من العساكر وبالرغم من ان بدرالدين لؤلؤ كان مختلفاً معه لموقفه المؤازر لعمادالدين زنكي صاحب قلعتي العقر والشموش ضده فأنه استجاب لنجدته فأرسل اليه (جمعاً صالحاً من عسكره)(٥) • كما ان النجدات الأخرى قد وصلته من الخليفة الناصر لدين الله ايضاً ؛ وقد اجتمعت هذه العساكر في (داقوقا)(٢) وكان المقدم على الجميع مظفر الدين كوكبرى • ورجع الجيش المغولي القهقرى ظناً منه ان عسكر المسلمين يتبعهم(٣) • وبعد عشر سنوات من هذه الحادثة قام الجيش المغولي متوجهاً الى نواحي نصيبين والجزيرة فأجتازها ونهب زروعها وقراها ثم مضى الى مناطق جبلية بالقرب من سنجار فنهبها وتعقبت طائفة منهم طريق الموصل حيث وصلت الى قرية (المؤنسة)(٤) فنهبوها وقتلوا أهلها(٥) وهددت بعد ذلك اعمال اربل فنهبت قراها وارتكبت اعمالاً شنيعة(٦) فنشط مظفر الدين كوكبرى في الدفاع عن امارته وطلب نجدة من بدرالدين لؤلؤ فاستجاب له ، ولكن انسحاب جند المغول عن حصار اربل وانحسار الأخطار عنها صرف ذهن بدرالدين لؤلؤ عن مواصلة انجاد مظفر الدين كوكبري(٧) • وفي ٦٢٩هـ / ١٢٣١م اتجه المغول نحو اذربيجان فوصلوا الى شهرزور وكانت بلدة كبيرة من

---

(١) ابن الأثير جـ١٢ ص١٥٩ ، العسجد المسبوك جـ٢ الورقة ١٣٢ •

(٢) مدينة بين بغداد واربل (ياقوت معجم البلدان جـ٢ ص٥٦١) •

(٣) الكامل جـ١٢ ص١٥٩ ، العسجد جـ٢ الورقة ١٣٢ •

(٤) قرية على مرحلة من نصيبين للقاصد الى الموصل ياقوت (معجم البلدان جـ٥ ص٢٢٨) •

(٥) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ ص٢٠٦ •

(٦) العسجد المسبوك جـ٢ الورقة ١٤٦ •

(٣) ابن الأثير ، الكامل جـ١٢ الورقة ١٤٦ •

اعمال اربل فاستنجد صاحبها بالخليفة المستنصر بالله فجهز هذا العساكر وانضمت الى جنود صاحب اربل وبالرغم من ان المغول لم يتقدموا لمحاربتهم فان بدرالدين لؤلؤ كان يتوجس خيفة من الجنود المغولية ان تقصد اعمال الموصل فتفسد فيها[(١)] . وفي **٦٣٢هـ/١٢٣٤م** جاء التتر الى اربل فلاقاهم عسكرها وأضطرهم الى التراجع نحو اعمال الموصل[(٢)] وفي السنة التالية غزا المغول اربل فلاقاهم عسكرها ايضاً فتركوها الى اعمال الموصل[(٣)] . وبالرغم من ان معلوماتنا عن موقف بدرالدين لؤلؤ من المغول في هذه الفترة قليلة وغير واضحة، فان التحذير الذي وجهه الى الملك الأشرف موسى صاحب ديار الجزيرة وخلاط في **٦٣٣هـ/١٢٣٥م** يوضح الى حد ما موقفه الذي كان يتسم بالخوف والحذر منهم ، ومما جاء في هذا التحذير على لسان المؤرخ سبط بن الجوزي بان التتر قد قطعوا دجلة في مائة طلب كل طلب خمسمائة فارس ووصلوا الى سنجار[(٤)] مما جعل الملك الأشرف الذي كان في حينها مشغولاً باسترداد مدنه التي أخذت منه يتصدى للجيوش المغولية الأمر الذي أدى الى انحسار اخطارها موقتاً[(٥)] .

ويبدو موقفه جلياً عندما راح يطلب معونة الخليفة المستنصر بالله سنة **٦٣٣هـ/١٢٣٥م** لدفع خطر المغول عن الموصل حيث اجتازت عساكرهم

---

(١) ن٠م٠ ص٢٠٧ ـ ٢٠٨ ٠

(٣) الذهبي ، دول الاسلام جـ٢ ص١٠٣ ٠

(٣) الحوادث الجامعة ص٨٥ ، ابن العبرى مختصر الدول ص٢٤٩ ٠

(٤) مرآة الزمان جـ٨ قسم٢ ص٥٩٥ ، انظر ايضاً الذهبي تاريخ الاسلام الورقة ١٩٠ ، ابن كثير البداية جـ١٣ ص١٤٤ ، المقريزى السلوك جـ١ ق١ ص٢٥١ ، ابن تغرى بردى النجوم جـ٦ ص٢٩٣ ٠

(٥) مرآة الزمان جـ٦ ق٢ ص٦٩٥ ٠

مدينة اربل في طريقها الى الموصل وقد تصدى لها جيش اربل بدون ان يؤخرها عن الوصول الى اعمال الموصل مما جعل الخليفة يظهر بمظهر المساند لبدر الدين لؤلؤ وتخليصه مما عسى أن يناله من المغول ، فأرسل العساكر وقام باستنفار الأعراب من البوادي والرجالة من جميع الأعمال ووزعت عليهم الأموال والسلاح ولكن المغول عادوا الى بلادهم[١] .

ولعلّ حادثة استباحة المغول لمدينة اربل في ٦٣٤هـ/١٣٢٦م وما نجم عنها من تخريب شامل للمدينة وقتل سكانها وابادتهم وطلب حاكمها من المغول المصالحة بمال يؤديه لهم[٢] وحادثة غزو المغول لأطراف العراق سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ووصولهم الى (خانقين) حيث لقوا جيوش الخليفة وكسروها وغنموا منها غنائم عظيمة[٣] وحصار القائد المغولي (جرماغون) مدينة أرزن الروم سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م والاستيلاء عليها بعد ذلك وقتل

---

(١) الحوادث الجامعة ص٨٤ ـ ٨٥ ، ابن العبرى مختصر الدول ص٢٤٩ .

(٢) يذكر عز الدين ابن ابي الحديد ان (المغول نزلوا على اربل في ٦٣٤هـ وكان اميرها يؤمئذ هو مملوك الخليفة الأمير باتكين الرومي ويقدر جيشهم بحوالي ثلاثين الف فارس بقيادة (بحتكاى) وقد ارسلهم (جرماغون) ووقعت معركة شديدة قتل من الفريقين خلق كثير وعندما دخل المغول الى المدينة هرب الناس الى القلعة فأعتصموا بها فحاصرها المغول حصاراً طويلاً مما اضطر باتكين الى طلب الصلح بمال يؤديه اليهم وبعد ان استلم المغول الاموال غدروا بهم وحملوا على القلعة حملات عنيفة وزحفوا عليها زحفاً متتابعاً ، فسيّر الخليفة المستنصر بالله جيوشه مع قائده شرف الدين اقبال الشرابي فساروا الى تكريت فلما عرف التتر بذلك رحلوا عن اربل بعد ان استباحوها وقتلوا كل من فيها وسبوا وفضحوا النساء وأخذوا الاموال حتى ان المدينة نتنت من كثرة الجيف ، شرح نهج البلاغة (مطبعة دار الكتب ـ مصر) جـ٢ ص٣٦٩ .

(٣) ابن العبرى، مختصر الدول ص٤٣٨ الحوادث الجامعة ص١١٢ ـ ١٣٣ ، العسجد المسبوك جـ٢ الورقة ١٥٣ ، ١٥٤ .

الكثير من اهلها • وانتصار المغول على جيش سلطان الروم السلاجقة غياث الدين كيخسرو في ٦٤٠هـ/١٢٤٢م وانتشارهم في نواحي آسيا الصغرى يقتلون وينهبون مما أضطر هـذا السلطان الى مصـالحتهم على مال وخيل يقدمها اليهم كل سنة[١] • وغزو القائد المغولي (ياورنويان) اطراف بلاد الشام ووصوله بالقرب من حلب واجتيازه (ملطيه) وتخريبها ونهبها[٢] ، لعل كل ذلك مضافاً اليه تهديدات بعض امراء الأطراف وحكامها المستمرة باحتلال الموصل وانتزاع السلطة منه قد خلق لديه شعوراً بالخوف من نوايا المغول وأخذ ذلك يشغل معظم تفكيره مما جعله يقدم على اتباع سياسة معينة تجاه المغول تؤدى مهمتها في المحافظة على امارته وممتلكاته وابقائهـا سليمة بدون ان يتعرضها المغول او اية قوة أخرى في المنطقة •

لقد اتضح فيما بعد ان بدرالدين لؤلؤ بعد سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م كان يضع في حسابه تعاظم الخطر المغولي واستفحاله ، وكان يرى حكام البلاد الاسلامية وهم منشغلون بمنازعاتهم لم يبدُ عليهم ما يدل على اهتمام جدي أو ادراك عميق لطبيعة الخطر المغولي العظيم كما انه ليس هناك ما يدل على وضعهم سياسة واضحة لمعالجته[٣] يضـاف الى انه في هـذه السنة توفى الملك الاشرف موسى صاحب دمشق وهو من انشط حلفائه وأعمهم فائدة له لذلك ففي سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م بدأنا نسمع ما يشير الى انه اتبع سياسـة استرضاء المغول ومهادنتهم وعدم اثارتهم وتقديم الاموال لهم •

ويبدو ان سياسة الاسترضاء التي سار عليها بدرالدين لؤلؤ مع المغول كانت تضطره للتدخل في شؤون البلاد الاسلامية الأخرى وتبيح له فرض

---

(١) ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ص٢٥١ •

(٢) ن•م• ص٢٥٥ •

(٣) انظر حول موقف هؤلاء الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الأيلخانين ص١٢ ـ ٢١ •

قطيعة للتتر مقابل استرضائهم • وقد اشير الى ان بدرالدين لؤلؤ ارسل الى الشام اي دمشق كتاباً يتضمن فرض مقادير من الأموال يجمعونها في كل سنة (وعلى الغني عشرة دراهم وعلى الوسط خمسة وعلى الفقير درهم) ، وقد قرأ الكتاب على الناس رسول بدرالدين لؤلؤ القاضي زكي بن محيي الدين بن يحيى ابو الفضل[1] فشرعوا في جباية الأموال وجمعها[2] ومن المحتمل جداً ان بدرالدين لؤلؤ كان يفعل ذلك في بلدان اسلامية اخرى مبرراً عمله هذا بتخليصها من الغزو المغولي لعدم استطاعتها الدفاع عن نفسها ضد عدوها القوي الذي ذاعت فظائعه واهواله وأخذ يتربص لها • ومما ضاعف خوف بدرالدين لؤلؤ وزاد في هلعه احتمال غزو المغول لا للموصل واعمالها فحسب وانما لكل المنطقة لان جميعها اصبحت معرضة ومهددة في كل لحظة من جيوشهم التي كانت تجوس خلالها ، لذلك فانه كما يبدو استغل استرضائهم لحماية امارته اولاً وحماية ما يجاورها من البلاد مقابل تقديمه مبالغ من الأموال للمغول[3] ليجعل بذلك خطوط دفاع مستديمة لممتلكاته •

---

(١) ابن شداد الاعلاق الخطيرة (تحقيق الدكتور سامي الدهان) ص٣١٩ •

(٢) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان جـ١ قسم٢ ص٧٤٥ •

(٣) ذكر ابن شداد ، ان في سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م وصلت رسل (بايجونوين) المغولي ومعهم تجار من المغول يحملون حوالات تتضمن فرض الأموال على سائر ملوك المنطقة واماراتهم ومنهم : الملك الناصر صاحب دمشق وعليه ان يدفع (٢٠٠ الف دينار) والسلطان عزالدين صاحب الروم السلاجقة (٢٠٠ الف دينار) وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (١٠٠ الف دينار) والملك السعيد صاحب ماردين (١٠٠ الف دينار) والملك الكامل (١٠٠ الف دينار) وصاحب الجزيرة (١٠٠ الف دينار) وصاحب حصن كيفا (٥٠ الف دينار) الاعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ـ مخطوطة ، الورقة ٦٢ ب •

وقد ذكر الذهبي في حوادث سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م ان ارسال بدرالدين لؤلؤ كتاباً الى اهل الشام لجمع الأموال كان لغرض تقديمها للمغول وذلك مصالحة معهم[١] • ويبدو من قول هذا المؤرخ ان بدرالدين لؤلؤ لم يكن يسعى للمصالحة مع المغول من جانبه فقط وانما من جانب حكام الامارات والمدن القريبة منه لان تعرض جيوش المغول بلدانهم قد يمس مصالحه هو فيعرّض ممتلكاته الى مخاطر الغزو ايضاً • ويبدو ان بدرالدين لؤلؤ كان متردداً احياناً في تطبيق سياسة المصالحة مع المغول لأقصى ما يمكن[٢] لئلا يتهم بكونه يستعدي هؤلاء الغزاة الوثنين على استباحة ديار المسلمين والاستهانة بحرماتهم في الوقت الذي كان هو احد حكام المسلمين في هذه المنطقة ، ولكن تطور الأحداث وتعاظم شدة الخطر الناجم عن تهديدات

---

(١) تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٠٧ •

(٢) لقد احضر بدر الدين لؤلؤ رسل المغول الذين جلبوا معهم الحوالة بأدعائهم عليه بمائة الف دينار فامتنع عن اعطائهم هذا المبلغ وقال بأنه تابع للملك الناصر صاحب دمشق فاذا اعطى الأخير ما عليه للمغول يكون هو ملزماً بتسديد ما عليه ايضاً ، فقال رسول الملك الناصر وقد حضر لدى بدرالدين لؤلؤ بأن صاحب دمشق لا يقبل الحوالة ولا ينجد بعسكر • لهذا خاطب رسل المغول بدرالدين لؤلؤ بما لا يليق ، فما كان منه الا ان عنفّهم فخرج رسل المغول منه شاكين ثم دخلوا في ارض اربل فسير بدرالدين لؤلؤ في السر جماعة فقتلوهم وأخذوا ما معهم من القماش والآلات • فلما بلغ ذلك (بايجونوين) حضر عند بدرالدين لؤلؤ وعنفه على ذلك فقال بدرالدين لؤلؤ : ان الرسل لم يقتلوا بأرضي ، على انني لابد ان ابحث عمن فعل هذا الامر ثم احضر جماعة محكومين بالقتل فأمر بشنقهم ودفع الى (بايجونوين) ما كان معهم من القماش والآلات • وقال هؤلاء تعدوا على الرسل وهذا ما أخذوه منهم ، فأعجب نوين بأخلاص بدرالدين لؤلؤ ورضى به • ثم قال بدرالدين لؤلؤ لرسول الملك الناصر ارأيت هذا الأمر ؟ ايحسن السلطان الملك الناصر العمل مثله ؟ (ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ـ قسم الجزيرة ـ مخطوطة ـ الورقة ٦٤أ ـ ٦٤ ب) •

المغول في المنطقة جعلته يسعى الى توطيد علاقاته مع هولاكو لتحقيق سياسته التي كان ينبغي له ترسمها ، وقد اشار ابن الطقطقى الى هذه العلاقات من خلال التعاون في المجالات العسكرية فذكر ان بدرالدين لؤلؤ كان يقدم آلات الحرب والسلاح الى هولاكو[1] . ولذلك يمكن القول ان بداية التفاهم بين بدرالدين لؤلؤ والمغول كان في سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م[2] وهي السنة التي اشارت اليها معظم المصادر ، ففي هذه السنة ازداد التعاون بينهما الى درجة كبيرة بحيث ان بدرالدين لؤلؤ كان يرسل آلات الحرب والسلاح الى المغول وبناء على اوامر يتلقاها من هولاكو في هذا الشأن ، كما انه كان يهيء الأقامات لرسل المغول ويكرمهم غاية الأكرام[3] .

ومع ذلك يجب علينا ان لا نبالغ في مدى خطورة علاقة بدرالدين لؤلؤ بالمغول ، اذ لم يبدُ عليه ما يدل على قيامه بدور كان يشكل خطورة حقيقية على بلدان هذه المنطقة أو حكامها بل كان يسعى في هذه الفترة الى القيام بدور الوسيط بينهم وبين المغول ودفع اخطار الجيوش المغولية عن هذه البلاد باسترضاء هولاكو أو بالأمتثال لأوامره . اما بالنسبة للخليفة فقد بذل بدرالدين لؤلؤ من جانبه عدة محاولات في ان يجعله في وضع يستطيع معه مجابهة المغول في حالة عدم الأذعان لهم ، فكاتبه سراً محذراً اياه من هذا الخطر كما ان صاحب الموصل كان على علم بقدوم هولاكو الى اذربيجان بقصد فتح العراق فكاتب الخليفة يستنهضه في الباطن[4] .

---

(١) الفخري الأداب السلطانية ص٤٧ .

(٢) Th Encyclopeadia of Islam Vol. 111. P. 610.

(٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٨٧ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام الورقة ٢٤٧ السبكي ، طبقات الشافعية جـ٥ ص٨١٤ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٤٨ .

(٤) ن٠م نفس الصفحات .

اما قبيل سقوط بغداد بأيدي المغول فان الامر قد تغير تماماً فقد اوشك نذير الخطر العظيم يهدد سلامة المنطقة باسرها ، وكان بدرالدين لؤلؤ على علم تام بان الخليفة اصبح في وضع لا يستطيع معه مجابهة هذا الخطر أو التوقي منه لذلك كان يرى ان عليه ان ينحاز كلياً الى جانب المغول حتى أن جيوشهم التي جاءت من بلاد الروم عبرت جسر الموصل في طريقها لفتح بغداد لم تتعرض للموصل وأعمالها بأي أذى[١] كما انه ارسل ابنه الأمير ركن الدين اسماعيل في الف فارس لنجدة هولاكو في اسقاط بغداد[٢] •

سقوط بغداد بأيدي المغول عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م :

لابدّ لنا عند دراسة العوامل التي أدت الى سقوط بغداد بيد هولاكو ان نستعرض بايجاز الأحوال العامة التي كانت عليها الدولة العباسية والدول الاسلامية الأخرى وما نشأ من علاقات بينها ونوعيتها لانها كما نرى مسؤولة الى حد كبير لا عن سقوط بغداد فحسب وانما عن افساح المجال امام الزحف المغولي للتوغل في البلاد الاسلامية بأسرها • فلم يبد الخلفاء ولا حكام الدول الاسلامية الأخرى ما يدل على تفهم واقعي لطبيعة الخطر المحدق بهم ، فبلادهم كانت تسودها الفوضى ومظاهر الانحلال السياسي والأجتماعي وانشغالهم بالمنازعات كان يصرفهم عن توحيد صفوفهم وتكوين جبهة موحدة ربما تستطيع ايقاف عدوهم •

ومع ان مسؤولية سقوط بغداد كانت مسؤولية عامة تقع على الخلفاء الأربعة المتأخرين وحكام البلاد الاسلامية الأخرى ، فان الخليفة المستعصم بالله وهو آخر خلفاء بني العباس كان بأمكانه السعي لتكوين وتوحيد الجبهة الداخلية الاسلامية والأنصراف التام للتعبئة العسكرية وزج كل القوى

---

(١) رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٢٨١ •

(٢) ابن العبرى ، تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص ١٣٥ •

المعاديـة للمغول في المعركـة بأعتبـاره يمثل أعلى سـلطة معنوية في العالم الاسلامي• وكان المغول في ذلك الوقت يشتغلون بترتيب الجيوش وتجهيزها للزحف نحو بغداد[1] • والظاهر ان بدرالدين لؤلؤ كان يبلغه ذلك • وبالرغم من انه كان حليفاً للمغول وفي طاعتهم ، فكان يخشاهم ايضا وكان يبدو له ان مصير امارته معلّق بمصير بغداد ولعلّ ما اشار اليه قطبالدين اليونيني ان بدرالدين لؤلؤ كاتب الخليفة محذراً اياه من المغول وانه يستعد لحربهم[2] يلقي ضوء على مدى الجهود التي كان يبذلها صاحب الموصـل لتحذير الخليفة ودفعه لحشد طاقاته وامكاناته للوقوف بوجه الخطر المغولي الذي بات يهدده• ومما يذكر بهذا الصدد ان لوم أغلب المؤرخين كان يوجّه الى الخليفة المستعصم بالله لانه (لا يتحرك ولا يستيقظ)[3] وانه (كان مستبداً في الرأي ومنكود الطالع لعدم اتعاظه بنصح الناصحين)[4] ، وانه (كان غافلاً لا يجدى فيه التحذير ولا يوقظه التنبيه)[5] ، لذلك فان بدرالدين لؤلؤ أخذ يكف عن الأتصال بالخليفة ويهزأ به احياناً[6] • وايقن ان استعدادات الخليفة والدول الاسلامية الأخرى لا تقوى على رد الخطر

---

(١) رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٢٧٧ ــ ٢٨٠ •

(٢) ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٨٧ •

(٣) السبكي ، طبقات الشافعية جـ٥ ص١١٤ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٤٧ •

(٤) رشيد الدين فضل‌الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٢٩٠ •

(٥) اليونينـي ، ذيل مرآة الزمـان جـ١ ص٨٧ ، الذهبـي تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٤٧ •

(٦) ابن الطقطقى ، الفخري في الآداب السلطانية ص٤٧ • امـا ما يقال عن دور وزير الخليفة مؤيد الدين محمد بن احمد العلقمي بانـه السبب في اهمال مراسلات بدرالدين لؤلؤ للخليفة فيما يتعلق بالغـزو

والوقوف بوجهه وخاصة في السنين التي تلت سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م ٠

عندئذ راح بدرالدين لؤلؤ يتقرب من المغـول ويعمل عـلى تحقيق سياسته في ابعاد الأخطار المحتملة على امارته وممتلكاته ٠ فعندما عزم هولاكو عـلى فتح بغـداد عهـد الى (ارقيونويان) احد قواده بأحتلال قلعة اربل الحصينة المشيدة على مرتفع عال ٠ وقد عجز الجنود المغولية في تحقيق ذلك بالرغم من استسلام اميرها تاج الدين محمد بن صلايا العلوي فطلب القائد المغولي نَجدةً عسكَرية من بدرالدين لؤلؤ فأرسل اليه عدداً من جنوده غير انهم مع ذلك لم يتمكنوا من احتلالها ففوضّوا أمرها الى بدرالدين لؤلؤ حيث عمد الى تهديم اسوارها والأستيلاء عليها[١] ٠ ويشير رشيد الدين فضل الله الى علاقات بدرالدين لؤلؤ الوطيدة مع المغول فيذكر ان هولاكو قد امر جيشه المرابط في بلاد الروم في ٦٥٥هـ/١٢٥٧م بالتحرك الى الموصل عن طريق اربل فيعبر جسر الموصل ويرابط فيالجانب الغربي من بغداد[٢]، وهذا دليل على ان الموصل وأعمالها كانت مناطق نفوذ مغولية اذ لم يرد ما يشير الى تعرض الكتائب المغولية اليها باي أذى ٠ ولما حوصـرت بغداد بالجيوش المغولية اسرع بدرالدين لؤلؤ الى ارسال ابنه الملكالصالح ركنالدين

المغولي امر لم يقم عليه دليل واننا نشك فيما اورده الذهبي من ان الوزير كان يوصل مكاتبات صاحب الموصل الى الخليفة ، فالوزير لم يكن له دور يذكر كما اتضح من سير الأحداث قبل الغزو المغولي ٠ (تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٤٧) انظر حول اتهام الوزير ابن العلقمي بالخيانة ـ الدكتور جعفر خصباك ، تاريخ العراق في عهد المغول الأيلخانين ص٢٦ ـ ٤٣ ٠

(١) لقد اشار بدر الدين لؤلؤ على المغول بالأنسحاب من محاصرة قلعة اربل حتى حلول فصل الصيف حيث يلجأ سكانها الأكراد الى الجبال وبهذا يمكن احتلالها ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٨٧ ، الذهبي ، تاريخ الأسلام ، الورقة ٢٤٧ ٠

(٢) جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٢٨١ ٠

اسماعيل على رأس جيش ليلتحق بجيش هولاكو[1] .

وقد تحدثت المصادر عن مساعدات وامدادات بدرالدين لؤلؤ للمغول فذكر ابن العبري ان بدرالدين لؤلؤ ارسل ابنه علـى رأس جماعـة من عسكره لنجدة هولاكو عندما قرر هـذا الأخير اخضـاع الدولة العباسـية لنفوذه[2] . ويمضـي هـذا المؤرخ في كتابـه الآخر الذي وضعه باللغـة السريانية قائلاً ان لدي اطلاع بدرالدين لؤلؤ على نوايا هولاكو بأحتلال بغداد وجه اليه ابنه الملك الصالح ركن الدين اسماعيل في الف فارس نجدة له [3] . وقال ابن كثير فيما يتعلق بهذه الامدادات أيضاً انها شملت الميرة والهدايا والتحف وذكر بالنص ان هذه الأمدادات (جاءت للمغول من صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة)[4] .

ويبدو ان امدادات بدرالدين لؤلؤ للمغول قد جاءت متأخرة وقد دل على ذلك ما أورده ابن العبرى في ان هولاكو لم يقابل الملك الصالح ركن الدين اسماعيل قائد نجدة العساكر الموصلية مقابلة حسنة بل اظهر لـه هولاكو عبسة وقال له : (أتيتم بعد شك من امرنا ومطلتم نفوسكم يوماً بعد يوم وقدمتم رجلاً وأخرتم أخرى لتنظروا من الظافر بصاحبه ، فلو انتصر

---

(١) ابن العبرى ، تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق المجلد ٥٠) ص١٣٥ ، تاريخ مختصر الدول ص٢٧٦ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٨٧ ، الذهبي تاريخ الاسلام الورقة ٢٤٧ ، ابن كثير ، البدايـة والنهاية جـ١٣ ص٢٠٠ .

(٢) مختصر الدول ص٢٧٦ .

(٣) تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص١٣٥ .

(٤) البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٠٠ .

الخليفة وخذلنا لكان مجيئكم اليه لا الينا)[1] ويبدو ان هذه الرسالة الزاجرة التي تلقاها بدرالدين لؤلؤ كانت نتيجة لسياسة التردد التي كان يسير عليها في مصالحته المغول والانعطاف الكلي لمحالفتهم كما ان هولاكو اراد ان يكتشف القوى الأخرى التي قد تقف وراء الخلافة العباسية وتؤيدها بعد ان ركزّ اقدامه في بغداد المركز المهم في العالم الاسلامي لكي يتلقى رد فعلها ، ولذلك نراه يرسل كتباً مشابهة الى ملوك الشام ومصر والى حكام الامارات والأقاليم الأخرى يعرّفها بسقوط حاضرة الخلافة العباسية •

وقد عزز هولاكو تهديداته هذه بنشر الرعب والهلع فأرسل الى بدرالدين لؤلؤ رؤوس بعض القتلى من عظماء بغداد مع ابنه الملك الصالح ركن‌الدين اسماعيل لتعلق في الموصل[2] •

---

(١) ومما جاء في رسالة هولاكو الى بدر الدين لؤلؤ ما يلي : قل لابيك لقد عجبنا منك تعجباً كيف ذهب عليك الصواب وعدل ذهنك عن سواء السبيل واتخذت اليقين ظناً وقد لاح لك الصبح فلم تستصبح (مختصر الدول ص٢٧٦) وجاء في تاريخ الدول السرياني ، ان هولاكو لم يقابل الملك الصالح ركن‌الدين اسماعيل مقابلة حسنة بل قال له : انكم انتظرتم ريثما تقفون على من يكون المنتصر ، فلو انتصر الخليفة تبعتموه دوننا (مجلة المشرق مجلد ٥) ص١٣٥ •

(٢) ومن هؤلاء الذين قتلوا ، الدويدار الكبير مجاهد الدين وابنه الامير تاج الدين سليمان شاه ابن برجم مقدم الطائفة الايوائية التركمانية في جيش الخليفة والذي كان صديقاً حميماً لبدرالدين لؤلؤ • وقد تأثر عليهم بدر الدين لؤلؤ وبكى ولكنه علقّ رؤوسهم خوفاً على حياته (رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٢٩٠ ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة جـ٢ ص٣٧٠) وذكر ابن الفوطي ان مجاهد الدين حسام‌الدين ابو الميامن ايبك بن عبدالله الجركسي الذي كان (دواتي) للأمير المستنصر بالله وقد زوجه من ابنة بدرالدين لؤلؤ سنة ٦٣٢هـ ، أخذ الأموال والجواهر واراد ان ينحدر في سفينة عندما نزل هولاكو على بغداد ولكن الجنود المغولية قبضوا عليه في الجانب الغربي وقتلوه وانفذ رأسه الى الموصل ايضاً (تلخيص مجمع الآداب جـ٥)

العدد ١ ص٦٩ •

وعندما أبلغ الملك الصالح اباه ما حمله هولاكو من رسالته التي انطوت على التهديد والزجر ايقن ان المنايا قد كشرت له عن أنيابها وان سياسة المهادنة والاسترضاء التي اتبعها مع هولاكو لم تنفعه في ازمته فراح يفتش عن مخرج لها بعد ان ذلت نفسه وهلع هلعاً شديداً فأسرع الى اخراج ما في خزائنه من تحف واموال ولاليء وجواهر وقصد الى هولاكو لتقديم الطاعة والولاء بنفسه[1] .

غير ان رشيد الدين فضل الله ذكر ان بدرالدين لؤلؤ توجه الى بلاد المغول بناء على الاوامر الصادرة اليه من هولاكو . وكان ذلك في التاسع والعشرين من رجب سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م اي بعد سقوط بغداد بقليل حيث كان هولاكو يقضي وقته في همدان على ساحل بحيرة اورمية فأحسن

---

(١) وقال ابن العبري ايضاً (وكاد يخسف بدره ويكسف نوره فانتبه من غفلته وأخرج جميع ما في خزائنه من الأموال واللاليء والمحرمات من الثياب وصادر ذوى الثروة من رعاياه وأخذ حتي حلي حظاياه والدرر من حلق اولاده وسار الى طاعة هولاكو بجبال همدان فاحسن هولاكو قبوله واحترمه لكبر سنه ورق له ثم وضع بيده في أذنيه حلقتين . كانتا معه فيهما درتان يتيمتان واقام في خدمته اياماً ثم عاد الى الموصل مسروراً مبروراً بل مذعوراً مما شاهده من عظمة هولاكو وهيبته ودهائه (تاريخ مختصر الدول ص٢٧٦) وجاء في تاريخ الدول السرياني ان بدرالدين لؤلؤ تخوف ونهض من ساعته وأخذ كمية وافرة من الأموال وانطلق بذاته فزار هولاكو واسترضاه وعاد مطمئناً بعد ما لحقه من الخوف واستأمن الى هولاكو حتى انه صعد الى تخته الملكي ووضع في اذنه حلقة فيها درة غالية الثمن (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص١٣٥ . وانظر ايضاً اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٩١ ، ابن الفوطي ، تلخيص جـ٤ قسم٢ ص٨٢٥ ، الحوادث الجامعة ص٣٧٧ ، ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر جـ٦ ص١٠٤ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٤٩ الصفدي ، الوافي بالوفيات (مخطوطة رقم ٥٣٢٠) الورقة ٩٨ .

استقباله لكبر سنه وأقره على امارته وعاد في السادس من شعبان من تلك السنة[١] .

ويمكن القول ان العلاقات بين هولاكو وبدرالدين لؤلؤ قد ازدادت توطداً بعد الزيارة التي قام بها الأخير الى بلاد المغول وامتثاله فيما بعد لأوامر هولاكو بارسال ابنه الملك الصالح ركن الدين اسماعيل على رأس جيش لمعاونة الجيش المغولي في فتح ديار الشام ومصر وجاء في الرسالة التي بعثها اليه هولاكو (ان سنك قد جاوزت التسعين ولذلك اعفيناك من السير معنا . ولكن عليك ان تبعث بابنك الملك الصالح مع الرايات الغازية لفتح ديار الشام ومصر)[٢] ولم تشر المصادر الى الدور الذي قام به الملك الصالح في هذه الحروب كما اننا لم نقف على اية معلومات تشير الى قيام بدرالدين لؤلؤ بأي اجراء آخر لمساندة هولاكو في حروبه ضد هذه البلدان . ولكن يفهم مما اورده رشيد الدين فضل الله ان هولاكو قد بدا مرتاحاً من الملك الصالح عند حضوره في ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م بين يديه فمنحه (تركان خاتون)[٣] ابنة السلطان جلال الدين منكبرتي ليتزوجها[٤] . وقد جلبها معه الى الموصل وتزوجها فاقامت لديه بزي النساء المغوليات[٥] .

وأشار عطا ملك جويني الى المكانة العالية التي كان يتمتع بها بدرالدين

---

(١) جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٠٠ .

(٢) ن٠م٠ ص٣٠٥ .

(٣) وقد اسرها القائد المغولي (جرماغون) عند مطاردته لجلال الدين منكبرتي في بلاد ايران وقد تزوجت حسب عادات المغول التي تسمى (شارياتس) وكان مهرها الكثير من الأموال :
History of The World Conqueror Vol. 2. P. 268

(٤) رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ١ قسم١ ص٣٠٥ .

(٥) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص١٢٩ .

لؤلؤ لدى المغول لانه امضى سنوات عديدة في خدمتهم وكان هولاكو يفضله على غيره من الملوك(١) • ولعل هذه الاشارة كانت تشمل الفترة الواقعة بين ٦٤٢ - ٦٥٧هـ / ١٢٤٤ - ١٢٥٨م •

حيث كان بدرالدين لؤلؤ قد ادرك خلالها ما تنطوي عليه شخصية هولاكو من حب للسيطرة والسلطان مما جعله يتخذ سياسة معينة تجاهه تتمشى مع مصالحه بالدرجة الأولى فأرسل السلاح والرجال والأموال واسهم في الأحتفالات الكبرى والأجتماعات التي كانت تقام في بلاد المغول احتفالاً بالأنتصارات التي كانوا يحرزونها في غزواتهم وحروبهم فأوفد الرسل والمندوبين لهذا الغرض(٢) •

والحق ان بدرالدين لؤلؤ قد حقق النجاح في سياسته مع المغول ، فطيلة الفترة التي كان يواصل فيها توطيد علاقاته معهم لم تهاجم جيوشهم الموصل وأعمالها ، لذلك يمكن القول ان امارة الموصل في هذه الفترة تركت لتكون في حمايتهم •

الملك الصالح ركن الدين اسماعيل والمغول :

وفاة بدر الدين لؤلؤ :

خلف الملك الصالح ركن الدين اسماعيل اباه بدرالدين لؤلؤ في حكم امارة الموصل • وقد اختلفت المصادر في تعيين سنة وفاة بدرالدين لؤلؤ ، فاشار ابن خلكان الى ان وفاة بدرالدين لؤلؤ قد حدثت يوم الجمعة ثالث

---

(١) History of The World Conqueror Vol. 2. P. 268

(٢) وكانت الوفود تحضر من الشرق والغرب لتقديم فروض الطاعة. وكان للأنتصارات التي يحرزها المغول اثر واضح على مدى الحماس الذي تثيره هذه الوفود لدى مثولها امام الانبراطور الأيلخاني (مانغوخان) وكان من بين هذه الوفود رسل بدرالدين لؤلؤ الذين جلبوا معهم الهدايا والأمتعة والمواد الضرورية اللائقة وقد اجتمعوا مع المحتفلين في احتفالهم الذي لم يشهد له انسان قبل مثيلاً في التاريخ :
History of World Conqueror, 2, P. 468

شعبان سنة سبع وخمسين وستمائة بقلعة الموصل[1] وذكر ابن العبري وفاته سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م وقد تولى بعده ابنه الملك الصالح في هذه السنة[2] •

ونقرأ في الكتاب الموسوم بالحوادث الجامعة ما يشير الى وفاته في سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م بعد حادثة سقوط بغداد بزمن قصير[3] • وقال مصدر آخر ان وفاته كانت في سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م بعد رجوعه من مقابلة هولاكو بزمن قصير[4] • وذكر ابن الوردي ان وفاته في سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م[5] والذهبي في سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م[6] ، اما ابن كثير فقد اشار الى حدوثها في شعبان بعد واقعة بغداد في سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، وابن تغرى بردى[8] والمقريزي[9] في سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م • غير ان اغلب هذه المصادر تؤكد حدوثها سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م كما اشار الأستاذ Zettersteen مؤكداً وفاة بدرالدين لؤلؤ في ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٨م بعد اعترافه بسيادة هولاكو[10] •

ان تحديد سنة وفاة بدرالدين لؤلؤ مهمة في تعيين بداية فترة ابنه وخليفه الملك الصالح ركن الدين اسماعيل • وتبعاً لما اجمعت عليه المصادر

---

(١) وفيات الاعيان جـ١ ص٥٩ •

(٢) مختصر الدول ص٢٧٩ •

(٣) الحوادث الجامعة ٣٣٧ •

(٤) ابو الفدا ، المختصر اخبار البشر جـ٦ ص١٠٤ •

(٥) تتمة المختصر جـ٢ ص٢٠١ •

(٦) دول الاسلام جـ٢ ص١٢٢ ، العبر في اخبار من غبر جـ٥ ص ٢٤٠ •

(٧) البداية والنهاية جـ١٣ ص٢١٤ •

(٨) النجوم الزاهرة جـ٧ ص٧٠

(٩) السلوك لمعرفة دول الملوك جـ١ قسم٢ ص٤١٠ •

(١٠) The Encyclopeadia of Islam Vol. 111, P. 40.

في وفاته سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م يمكن اعتبار بدء فترة ابنه الملك الصالح في هذه السنة ، حيث فوضه هولاكو حكم امارة الموصل خلفاً لأبيه . وبالرغم من ان رشيد الدين فضل الله لم يكن مصيباً في تحديد سنة وفاة بدرالدين لؤلؤ الا انه يلقي ضوءاً على تفويض هولاكو للملك الصالح حكم امارة الموصل[١] ان تولى الملك الصالح امارة الموصل يمثل بداية لمرحلة جديدة في العلاقات المغولية فبالرغم من انه اتبع في باديء الأمر نفس السياسة التي سار عليها ابوه مع المغول ، غير انه لم يلبث ان اتخذ لنفسه سياسة مغايرة أدت بطبيعة الحال الى تقليص فترة حكمه للموصل وانهائها بعد ثلاث سنين من توليه السلطة .

ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان تطور الأحداث في المنطقة قد جعله في مفترق الطرق فأخوانه الملك المظفر علاءالدين صاحب سنجار والملك المجاهد سيفالدين اسحق صاحب جزيرة ابن عمر اعلنا ثورتهما على المغول مما أضطرهما الى ترك بلادهما ورحلا مع عيالهما واموالهما وقسم من اهل البلاد ومن كانت له قدرة على السفر الى دمشق في طريقهما الى مصر سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م[٢] فأنتشر الجنود المغولية في سنجار وجزيرة ابن عمر وفي المناطق القريبة من الموصل . وعندما أقدم (بايجونوين) على احتلال مدينة الموصل منعه هولاكو وامره بالتجول في هذه المناطق لتفويت الفرصة على الملك الصالح فيما اذا كانت لديه رغبة في مصاحبة اخوانه في السفر الى مصر[٣] .

---

(١) جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٧ .

(٢) ابو شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص٢١٢ .

(٣) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص١٢٩ كما اشار هذا المؤرخ الى ان هولاكو لم يكن يحبذ اقدام جنوده على التحرشات في ضواحي الموصل ولذلك فانهم لم يسببوا لها من الاذى شيئا كما سببوا لسنجار وجزيرة ابن عمر واربل خلال هذه الفترة .

ومما يذكره اليونيني في هذا الشأن ، ان الملك المجاهد سيف الدين اسحق صاحب جزيرة ابن عمر والملك المظفر علاء الدين صاحب سنجار خرجا من سنجار عندما احتل الجيش المغولي الموصل عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م[١] غير ان المؤرخ يشير هنا الى محاولتهم الخائبة في انتزاع ممتلكاتهم من المغول بعد ان زودهما ملك مصر الظاهر بيبرس البندقداري بقوة لتمكينهم من ذلك في ٦٥٩هـ/١٢٦٠م[٢] .

وكان لهذه الأحداث تأثيرها في نفس الملك الصالح ، ففي ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م اي بعد سنتين من توليه الامارة في طاعة المغول بدأ يعيد النظر في موقفه ازاءهم محاولا الاستقلال في امارته وعدم الخضوع للشحنة المغولي الذي نصبه هولاكو في الموصل ، كما ان ملوك وحكام البلاد الاسلامية الذين لا تزال ممالكهم بايديهم كانوا يحثونه على الاستقلال وقتل الشحنة المغولي يضاف الى ان رسالة اخيه الملك المظفر كانت محفزاً آخراً له على الثورة ضد المغول[٣] .

وبالرغم من اننا نسمع في بعض النصوص بوجود ما يشير الى بقاء الملك الصالح مخلصاً الى هولاكو فان هناك ما يؤكد لنا انه لم يعد كذلك في الخفاء — حيث ورد — ما يشير الى انه كان يساند ويعاضد الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ضد المغول وذلك قبل اقدام هولاكو على انتزاعها منه سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م[٤] .

ولابد من الأشارة هنا الى انه بالنظر لقصر فترة الملك الصالح فقد نشأت صعوبات في دراسة الأحوال الثقافية والأدارية والأقتصادية وذلك

---

(١) ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٣٧٠ .

(٢) ابن الوردي ، تتمة المختصر جـ٢ ص٢٠٩ .

(٣) انظر ص٢٦٣ ، ٢٦٤ من هذا الفصل .

(٤) ابن العبرى مختصر الدول ص٢٨٠ .

لعدم توفر معلومات كافية عنها في هـذا الصـدد سـوى ما يتعلق بالأمور العسكرية وخصوصاً علاقاته مع المغول والملك الظاهر بيبرس ملك مصر ٠

الملك الصالح ركن الدين اسماعيل والظاهر بيبرس ملك مصر :

لقد نجت مصر من هجمات الجيوش المغولية حيث لم يتسن لهذه الجيوش التوغل الى هناك وكان الظاهر بيبرس يلعب دوراً بارزاً في ابعاد الخطر عنها لما اكتسب من خبرة باساليب المغول العسكرية وقد ادرك طبيعة خطرهم فاستعد استعداداً كافياً لصـده ٠ وكان موقف الظـاهر بيبرس من المغول يجلب انتباه بعض ملوك البلاد الاسلامية وامرائها الذين استولى المغـول على بلدانهم سواء في العراق او الشام أو الجزيرة ٠ فقد وجدوا ان هنـاك جبهة للقوى المعادية للمغول قد أحرزت انتصارات مشجعة مما جعل اغلبهم يطلبون الحماية من ملك مصر ٠ وكان من بين هؤلاء الامراء الملك المظفر علاء الدين بن بدرالدين لؤلؤ صاحب سنجار(١) الذي التجأ الى مصر طالباً الحماية فولاه الظاهر بيبرس حلب سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م(٢) اما سيف الدين اسحق صاحب جزيرة ابن عمر فقد ظل خاضعاً لحكم الفرقة المغولية التي كان يقودهـا (تورين) ثم التحق بعـد ذلك بأخيـه سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م(٣) ٠ وأشـارت المعلومات ان الظـاهر بيبرس قد انعم عـلى اولاد

---

(١) ابن العبرى ، تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق مجلد ٥٠) ص ١٤٠ ٠

(٢) ن٠م٠ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ج١ ص٣٧٠ ، ابن الوردى تتمة المختصر جـ٢ ص٢٠٩ ، المقريزي ، السلوك جـ١ قسم٢ ص٤١٠ ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ص٩٧ ومما ذكرته هذه المصادر ايضاً ان علاء الدين قد اساء السيرة مع اهل حلب في اخذ اموالهم والاحتيال عليهم فثاروا وهددوه بالقتل ان لم يدلهم على اموالهم ولما استحصلوا منه الأموال اطلقوه فرجع الى الموصل ٠

(٣)ابن العبرى ، تاريخ الدول السرياني ص١٤١ ٠

بدرالدين لؤلؤ وأقطعهم الأقطاعات الجليلة[1] وأكرمهم وأقر لهم على ما بأيديهم من الممالك التي في الشرق[2] • ويذكر انهم عادوا بمساعدته سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م لاسترداد اماراتهم[3] التي احتلتها الجيوش المغولية التي كان يقودها (بايجونوين)[4] •

ويبدو ان الملك المظفر علاء الدين والملك المجاهد اسحق ابنا بدر الدين لؤلؤ لم يتمكنا بالرغم من المساعدات التي حصلا عليها من الظاهر بيبرس[5] أن يستردا امارتيهما من الجنود المغولية فعادا الى مصر وعملا على تأليب أخيهما الملك الصالح ركن الدين اسماعيل صاحب الموصل ضد المغول • فكتب الملك المظفر علاء الدين رسالة وهو في مصر الى اخيه ركن الدين اسماعيل يوقفه على قوة المصريين وباسهم ويشير عليه ان يترك الموصل ويتوجه الى مصر ، ويمضي في رسالته ، ان الظاهر بيبرس سيفوض اليه (أي الملك الصالح) بالأضافة الى حكم الموصل حكم بلاد المشرق كلها[6] • ولكن الرسالة لم تكن مشجعة له على تنفيذ مقترحات اخيه الرامية الى الاشتباك الفعلي مع القوات المغولية والخروج على القاعدة التي وضعها ابوه بدرالدين لؤلؤ ويبدو انه اهملها ، غير انها وقعت في يد شمس

---

(١) ابن الوردي ، تتمة المختصر جـ٢ ص٢١٣ •

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ص١٠٣ •

(٣) الذهبي ، دول الاسلام جـ٢ ص٢٦٩ •

(٤) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني ص١٢٩ ونقل عنه ابن خلدون ، العبر والمبتدأ والخبر جـ٥ قسم٣ ص٦١٠ •

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٣٣ •

(٦) ابن العبرى ، تاريخ الدول السرياني ص١٤٠ مختصر الدول ص ٢٨٢ •

الدين محمد بن يونس الباعشيقي وهو احد كبار المعتمدين وقائد بدرالدين لؤلؤ[1] حيث تفادى خطر هجوم الجيوش المغولية على الموصل بعد ان ينحاز الملك الصالح الى جانب اخوانه ويقف ضد المغول ، ولذلك فقد تجنب وقوع الكارثة واسرع لايصال الرسالة الى هولاكو لاطلاعه على النوايا الجديدة للملك الصالح ازاءهم • وافتقد الملك الصالح الرسالة ونشط في الحصول عليها لئلا تقع في ايدى المغول فتسبب له المكاره ولكنه لم يحصل عليها[2] • وقد ذكر ابن العبرى ان الملك الصالح كان يخشى من بطش هولاكو حينما يطلع على مضمون الرسالة•وقد تأكد لديه ان ابن يونس سيوصلها الى هولاكو ولذلك فليس امام الملك الصالح طريق للنجاة سوى الرحيل مع حاشيته وجنوده الى مصر[3] فسار اليها عن طريق الشام وهناك في دمشق التقى مع الظاهر بيبرس الذي كان يقضي فيها بعض الأوقات فزوده بجماعة من العسكر وعهد قيادتهم الى علم الدين سنجر احد قادة بدرالدين لؤلؤ[4] • ولما عاد الى الموصل أخفق في بادىء الأمر بالدخول حيث اغلق السكان الأبواب

---

(١) وهو من امراء بدرالدين لؤلؤ وشغل وظيفة نائب في بلد نينوى القريب من الموصل – مختصر الدول ص٢٨٢ •

(٢) جاء ان محمد بن يونس الباعشيقي قد غافل الملك الصالح ومد يده تحت فراشه وسرق الرسالة ثم سار الى بعشيقة • وفتش الملك الصالح عليها فعرف انها في حوزة الباعشيقي فارسل حالاً عبدين من عبيده للقبض عليه ولما وصلا اليه اعطى العبدين جائزة ثمينة واشغلهما بالشرب حتى ناما ، فهرب منهما ليلاً مع اهله • وقد تبادر الى ذهن العبدين عند الصباح ان ابن يونس قد سبقهما الى الموصل فعادا وأخبرا الملك الصالح بذلك (ابن العبرى مختصر الدول ، ص٢٨٢ ، تاريخ الدول السرياني ص١٤٠)•

(٣) ذكر انه سار الى سورية في طريقه الى مصر بعد اصطحابه حاشيته ، ن•م• نفس الصفحات •

(٤) الحوادث الجامعة ٣٤٥ •

دونــه[1] •

وكانت تركان خاتون زوجة الملك الصالح التي وهبها له هولاكو قد اثرت البقاء في الموصل[2] وامتنعت عن السفر مع زوجها ولم تقر له خروجه على المغول ثم اتفقت مع (ياسان) الشحنه المغولي للوقوف بوجه رجـال الملك الصالح الذين بقوا يهددون الموصل بالأحتلال • ولكن بالرغم من محاولاتهم هذه فانهم لم يستطيعوا الدخول الا بمساعدة محيي الدين بن زبلاق[3] الذي اتفق مع جماعة من اهل الموصل على فتح الابواب[4] • وذكر في الحوادث الجامعة ان محيي الدين بن زبلاق وثب مع جماعة من العوام وفتحوا لعلم الدين سنجر باب الجسر فدخل منه[5] وعندما دخل علم الدين سنجر وجماعته لاذ شحنة المغول مع تركان خاتون بالفرار حيث عولا بالأحتماء في القلعة[6] واشار ابن العبرى الى ان علم الدين سنجر كان

---

(١) تاريخ الدول السرياني ص١٤٠ •

(٢) ابن العبرى ، مختصر الدول ص٢٨٣ ، الدول السرياني ص١٤٠، كما ذكر رشيد الدين فضل الله ان تركان خاتون بعثت برسالة الى هولاكو تخبره بمسير زوجها الى بلاد الشام ومنها الى مصر فأوفد هولاكو في اثره صدر الدين التبريزي مع عشرة آلاف من الجند العرب (جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٢٢٧) •

(٣) وهو العالم محيي الدين أبو المحاسن يوسف بن سلامة الهاشمي العباسي ، الكاتب للأنشـاء بالموصـل في عهد بدرالدين لؤلؤ وكان سيداً كبيراً من الفضلاء والشعراء المجيدين حسن الكتابة ، انظر اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٥١٤ •

(٤) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني ص١٤٠ ، مختصر الدول ص٢٨٣ •

(٥) الحوادث الجامعة ص٣٤٥ •

(٦) الدول السرياني ص١٤٠ ، مختصر الدول ص١٨٣ •

ضد النصارى[1] فقد اضطهدهم اضطهاداً شديداً في هذه الأضطرابات[2] مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بان النصارى ساندوا الشحنة المغولي « وتركان خاتون » لانهم توجسوا خيفة من هجوم الجيوش المغولية التي باتت على مقربة منهم • يضاف الى انهم ربما استهدفوا من ذلك تحويل انظار المغول عن احتلال الموصل فيما اذا حقق شحنتهم انتصاراً على جنود علم الدين سنجر •

وأكدت المصادر ان الملك الصالح طلب من الظاهر بيبرس البندقداری جيشاً كافياً ليستطيع به الوقوف ضد الجيوش المغولية التي راحت تتجه نحو الموصل ، وقد زود بعساكر غير قليلة توجه بها هو الآخر نحو المدينة لتثبيت اقدامه فيها[3] •

الأحتلال المغولي للموصل سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م :

لقد قام جيش المغول بحركتي غزو للموصل ، الأولى عندما استنجد الملك الصالح ركن الدين اسماعيل ببعض طوائف الأكراد للدفاع عن

---

(١) يذكر ابن العبري ان اتباع علم الدين سنجر نهبوا بيوت النصارى وأجهزوا على كل من لم يُسلم (الدول السرياني ص١٤٠) وزعم ايضاً ان اهل الموصل قد ثاروا على النصارى من العوام ونهبوهم وقتلوا كل من وقع بأيديهم وسلم من دخل في دين الاسلام (مختصر الدول ص ٢٨٣) •

(٢) وذهب ابن العبرى الى انه نتيجة لاعمال العنف التي قام بها اصحاب علم الدين سنجر جحد كثير من القسوس والشماسة والشعب ايمانهم سوى القليلين من آل (سويدكات) و (كوكي) و (فنيس الصائغ) وهم بعض طوائف النصارى في الموصل (الدول السرياني ص١٤٠) •

(٣) مختصر الدول ص٢٨٤ ، الدول السرياني ص١٤١ ، ابو شامة ، تراجم ص٢١٢ ، الحوادث الجامعة ص٣٤٥ ، ابن كثير ، البداية جـ١٣ ص٢٢٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص١١٥ •

المدينة ضد اي غزو محتمل قد يقوم بـه المغول حينذاك ففي أواخر سـنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م تحركت الفرقـة المغولية التي كان يقودهـا « تورين » وكانت آنذاك مرابطة في ديار الجزيرة وسنجار لانجاد شحنتهم (ياسان) وتركان خاتون زوجة الملك الصالح عندما وصلت الاخبار برحيل الأخير الى مصر وقد اشتبك العسكر الموصلي الذي كان يقوده علم الدين سنجر مع هده الفرقة فسببت اندحاره وقضت عليه بقتله[١] • وقد جاء في الحوادث الجامعة ان علم الدين سنجر خرج من الموصل عندما وصل الخبر بتحرك الجيش المغولي • وكان معه الف فارس وسار نحو نصيبين فالتقى به عسكر المغول فقتلوه[٢] واستطاع عندئذ فرسان المغول الدخول الى المدينة والانتشار فيها وأعلان (تورين شـحنة) للمغول اي حاكمـاً عسـكرياً لها[٣] • وكانت طوائف الأكراد الذين استنجد بهم الملك الصالح قصدت المدينـة هي الأخرى غير انها لم تستطع اللحاق بالجنود المغولية الذين سبقوهم في

---

(١) ابن العبري ، مختصر الدول ص٢٨٣، الدول السرياني ص١٤١ •

(٢) ص ٣٤٥ •

(٣) عندما بلغ سيف‌الدين اسحق بن بدرالدين لؤلؤ صـاحب جزيرة ابن عمر ان أخاه الملك الصالح قد غادر الموصل الى مصر تأهب هو كذلك للفرار وذلك بعد عودته للمرة الثانية فأقبل تورين ليقبض عليـه فاحتشد اهالي المدينة وحالوا دون ان يفتك به المغول • ويزعم ابن العبرى ان سيف الدين هذا طالب النصارى بالفي دينار ذهباً يوم عيد (الصعود) ولم يعطوه فحبسهم ثم وزع ذهباً وافراً على الجنود وأجتمع اليه نحو سبعين الف من الأكراد ومضوا الى سورية ثم قام جنديان بالأستيلاء على الجزيرة وأطلقا النصارى من الحبس ولم يفتكا الابرجلين يختلفان الى معسكر المغول (مختصر الدول ص٢٨٣) ولعل سيف الدين كان يطالب بالأموال للوقوف بوجه المغول فيمنعه النصارى مما يدل على ان هؤلاء كانوا مطمئنين الى (تورين) اكثر من اطمئنانهم لسيف الدين اسحق •

الدخول اليهـا • لذلك رابطوا عند اسـوارها[1] • وفي تلك الاثناء قام عزالدين ايباغ صاحب العمادية واحد قادة بدرالدين لؤلؤ القدامى بتحشيد عسكره للقيام بمحاولة اخضاع جزيرة ابن عمر اليه منتهزاً بذلك فرصة خلوها من الجنود المغولية غير ان (تورين) زحف اليه بجيشه المرابط في الموصل فمنعه[2] • وكان الملك الصالح قد عاد لتوه من مصر مزوداً بجيش للوقوف ضد المغول فانتهز فرصة انسحاب جيش تورين من الموصل ودخل فيها واحتلها ورتب اموره سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م • وقد ذكر رشيد الدين فضل‌الله بهذا الصدد ان الملك الصالح قد عاد من مصر في هذه السنة مـع الف فارس[3] •

ويعلل هذا المؤرخ سبب تقديم الظاهر بيبرس مساعداته العسـكرية للملك الصالح بمحاولة الحصول على الخزائن والدفائن القديمة والجديدة التي كانت لبدرالدين لؤلؤ وجلبها الى مصر[4] ، ولكن هـذا المؤرخ لم يوفق للصـواب فيما ذهب اليه حيث ان الملك الصـالح قد حصـل على المساعدات من الظاهر بيبرس لغرض استرداد امارته من الجنود المغوليـة والبقاء فيها وحمايتها • وقد ذكر الذهبي ان الملك الصالح كتب الى اهل

---

(١) يبدو ان نصارى الموصل لم يشتركوا في اسناد الملك الصالح ضد المغول لهذا عمد الأكراد الى سبيهم وقتلهم واحتلوا دير الراهبات في بيت (خديدا) وهي المعروفة اليوم قرقوش من اكبر قرى الموصل والكلمة من الآرامية ، تعني بيت الالهة • وأجهزوا فيها على جماعة غفيرة ثم ساروا الى دير (متيّ) وقاتلوا الرهبان مدة أربعة أشهر • ولما بلغ الاكراد ان المغول قادمون حالاً كمـا يزعم ابن العبري وافقوا الرهبان وأخذوا الف دينار ذهباً منهم وتركوهم (ن•م•) •

(٢) تاريخ الدول السرياني ص١٤٢ •

(٣) جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٧ •

(٤) ن•م• ص٣٢٧ •

الموصل يستشيرهم فاشاروا عليه بالمجيء لانقاذهم من خطر المغول فقدم عليهم في العشرين من ذي الحجة لسنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م[١] .

ويفهم من اشارة رشيد الدين فضل الله حول قيام الملك الصالح بتوزيع الدراهم والدنانير على جيش الموصل المكون من الأكراد والتركمان وتحريضه اياهم على القتال[٢] ان الملك الصالح كان يبذل جهوداً في استعادة امارته باية وسيلة كانت وليس فقط للحصول على الخزائن والأموال[٣] .

ومما يذكره ابن العبري حول هذا الموضوع ، ان المغول عندما ايقنوا بمجيء الملك الصالح من الشام تأخروا عن المدينة ليمهدوا له الدخول اليها وذلك لكي يقوموا بمحاصرته والقضاء عليه[٤] . ان دخول الملك الصالح المدينة يعد من الانتصارات الكبيرة التي احرزها في معركته ضد الجيوش المغولية في بادىء الأمر[٥] ، ويوضح اليونيني انه كان مع الملك الصالح ركن الدين اسماعيل عند دخوله المدينة سبعمائة فارس يحاربون المغول[٦]

---

(١) ذكر ان الملك الصالح كان مزوداً بثلثمائة فارس وكان في الموصل اربعمائة فارس وهذا يتناقض مع ما أورده رشيد الدين فضل الله . انظر الذهبي ، دول الاسلام جـ٢ ص٢٧٠ .

(٢) جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٧ .

(٣) ذكر رشيد الدين فضل الله ان الملك الصالح عمد الى خدعة المغول بالأتفاق مع الأهالي بقرع الطبول ونفخ الابواق الذهبية كاشارة للبدء بفتح الابواب لكي يتسنى له الدخول مع جنوده فيسبق المغول اليها ، وقد استطاع الدخول الى المدينة بكل يسر (ن٠م ص٣٢٧) وهذا يدل على ان ما ذهب اليه الذهبي في ان الملك الصالح استشار اهل الموصل بالمجيء اليهم كان صحيحاً .

(٤) مختصر الدول ص٢٨٤ ، اننا نشك في ذلك ، لأن جنود المغول كانوا مزودين بتعليمات تخولهم الاشتباك مع جيش الملك الصالح في أية منطقة من الشام او الجزيرة .

(٥) جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٧ .

(٦) ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٩٢ .

وايد ابن كثير ذلك وقال بان عدد المقاتلين الذين كانوا في صحبة الملك الصالح داخل المدينة هم سبعمائة فارس[١] • مما يجعل المرء يشعر بعدم الاطمئنان الى الاخبار التي كان يسوقها رشيد الدين فضل الله فيما يتعلق بمساعدات الظاهر بيبرس للملك الصالح والأهداف التي كان يتوخاها من وراء ذلك •

وقد بالغت المصادر المعاصرة في تقدير المساعدات التي قدمها ملك مصر لاولاد صاحب الموصل وبصورة خاصة للملك الصالح ركن الدين اسماعيل في استعادة اماراتهم[٢] غير ان هذه المصادر لم تقدم تفاصيل كافية عن الاساليب والطرق التي تم بموجبها تقديم هذه المساعدات ولا نوعيتها الا فيما يتعلق بالنجدات العسكرية •

الأحتلال المغولي الثاني للموصل سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م :

ان سحب (تورين) لحاميته العسكرية من الموصل الى جزيرة ابن عمر للحيلولة دون استيلاء عز الدين ايباغ عليها في ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م ودخول الملك الصالح اليها يعد في الواقع انتهاءاً للأحتلال المغولي العسكري الأول عليها • ومنذ ذلك الوقت ظل هولاكو على اطلاع تام بتطورات الأحداث في الموصل وخاصة بعد وقوفه على محتويات رسالة علاء الدين بن بدرالدين لؤلؤ لأخيه الملك الصالح • وكان هولاكو يبدو مهتماً في تعزيز قواته التي يقودها (سنداغونويان)[٣] ، وقد حدد ابن العبري وصول

---

(١) البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٣٠ •

(٢) ابو شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص٢١٢ ، الذهبي ، دول الاسلام جـ٢ ص٢٧٠ ، ابن كثير ، البداية جـ١٣ ص٢٣٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص١١٥ •

(٣) رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٨ • وقال ابن العبري ان المغول قد وصلوا بغتة وعلى رأسهم سمد اغوويعني به

هذه القوات الى اسوار الموصل في مساء الثلاثاء السابع من كانون الأول سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م[١] لترابط هناك[٢] .

ومنذ ذلك التاريخ راحت الكتائب المغولية تحاصر المدينة وتقوم بمحاولات مستميتة لتخريب الأسوار ولكن بدون جدوى ، لذلك أبقوا الحصار مضروباً حولها ثم نصبوا المجانيق واقاموا المتاريس وتسلقوا الأسوار وقاموا بأعمال عسكرية مدة اثنى عشر شهراً[٣] . ويخبرنا اليونيني ، ان المغول نصبوا على اسوار المدينة اربعة وعشرين منجنيقاً فضايقوها اشد مضايقة[٤] . وكان قره ارسلان مظفر الدين بن الملك السعيد صاحب ماردين يقاتل بجانب المغول بعد أن نصبوا عليها المجانيق وضايقوها[٥] . وكتب ابن العبري يقول ان المغول ابتنوا سوراً خارجياً وجعلوا يقاتلون قتالاً

(سنداغونويان) المغولي المسيحي الفتى المجيد (تاريخ الدول السرياني ص١٤٣) ثم قال ايضاً : ان عسكر المغول أحاط بالموصل وعلى رأس العسكر امير كبير اسمه سمداغو محب للنصارى (مختصر الدول ص٢٨٤) .

(١) الدول السرياني ص١٤٣ ، مختصر الدول ص٢٨٤ .

(٢) اورد رشيد الدين فضل الله ان (سنداغونويان) اوقف هولاكو على صمود اهل الموصل ، فأرسل هذا الاخير جيشاً آخر لأمداده (جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٨) .

(٣) ن٠م كما يذكر ابن العبرى ان المغول قاموا ببناء (السيبا) حول الموصل في ليلة واحدة ولعل السيبا ، هي منخفضات وخنادق يختبيء فيها فرسان المغول توقياً من سهام وحجارة المحاربين فيما وراء الاسوار (مختصر الدول ص٢٨٤) .

(٤) ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٩٢ .

(٥) ن٠م الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧٠ . وقال رشيد الدين فضل الله ان مظفر الدين هذا قتل اباه وسلم القلعة للمغول فانعم عليه هولاكو بتنصيبه بدلاً من ابيه (جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٥) .

عنيفاً[١] ، واستمرت المناوشات بين الطرفين الى ما يقرب من شهر حيث اضطر بعض جند المغول الى تسلق السور في محاولة للتسلل وفتح ثغرة من الداخل فيه غير انهم لم يحققوا ذلك فقتلوا[٢] • واستجمع الملك الصالح قواه لمجابهة الجيش المغولي الذي راح يطرق الاسوار من الخارج وابلى اهل الموصل بلاء حسناً في القتال ، وقد وجه قائدهم نداء للمحاربين والسكان حثهم فيه على الصمود ومقاتلة العدو ومواجهته بشجاعة[٣] ثم نصب حيال مجانيق المغول بباب الميدان[٤] وبباب الجصاصين[٥] ثلاثين منجنيقاً ترمى ليلاً ونهاراً[٦] •

وكان الملك الصالح كما يبدو يعلق أمالاً كبيرة على مساعدات الظاهر بيبرس ملك مصر فكان يقول للمقاتلين (ان البندقدار سيمدنا بجيش من مصر حينما يعلم بالامر)[٧] • والظاهر ان الملك الصالح قد ارسل من يخبر الظاهر بيبرس بحراجة موقفه اثناء الحصار الذي ضربته الجيوش المغولية حول المدينة طالباً منه النجدة[٨] •

---

(١) تاريخ الدول السرياني ص١٤٣ •

(٢) ذكر رشيد فضل الله انه ذات يوم تسلق الأسوار ثمانون من شجعان المغول فقضى عليهم اهل الموصل جميعاً ورموا برؤوسهم الى جيش المغول من اعلى الأبراج وتشجعوا بهذا الأنتصار (جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٨) •

(٣) ن•م• ص٣٢٨ •

(٤) وتسمى باب سنجار وهي اقدم ابواب سور مدينة الموصل وتقع في القسم الغربي منها •

(٥) وهي من ابواب سور المدينة وتقع في الجنوب الغربي منها •

(٦) الحوادث الجامعة ص٣٤٧ •

(٧) رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٧ •

(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٣٠ •

وأشار صاحب الحوادث الجامعة الى ان الملك الصالح كان قد قصد الظاهر بيبرس وهو بدمشق وطلب منه جيشاً يمنع به العساكر المغولية عن قصد الموصل فعين له جماعة من العسكر وعهد بقيادتهم الى علم الدين سنجر وكان ذلك في سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م[١] .

غير ان المصادر ذكرت بوضوح ما يشير الى ان الملك الصالح ارسل يستنجد بالأمير شمس الدين البرلي صاحب حلب[٢] وان البرلي خرج اليه من حلب وسار الى ان وصل الى سنجار[٣] . وجاء في الحوادث الجامعة ان الملك الصالح كاتب سلطان الشام يسأله مساعدته فأرسل لنصرته اميراً اسمه (ايلبرلك)[٤] في جماعة من العسكر وقد وصل الى سنجار[٥] .

ولما علم المغول بأمر هذه النجدة العسكرية[٦] وقرروا الأنسحاب من

---

(١) انظر ص٢٦٣ _ ٢٦٦ من هذا الفصل .

(٢) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٩٢ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧٠ .

(٣) ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٩٢ .

(٤) وهو شمس الدين البرلي صاحب حلب الذي ذكرته المصادر الأخرى .

(٥) الحوادث الجامعة ص٣٤٧ .

(٦) عندما وصلت النجدات الى سنجار كتب الأمير البرلي رسالة الى الملك الصالح يخبره بوصوله وربطها في جناح حمامة واتفق ان حطت هذه الحمامة بعد اطلاقها على احد مناجيق المغول فأمسكها المنجنيقي وحمل الرسالة الى (سنداغونويان) فلما قرأها ارسل على الفور عشرة آلاف فارس وبالقرب من سنجار انقسموا الى ثلاث فرق وأعدوا كميناً وطاردوا الشاميين ولكنهم ثبتوا وقاوموا المغول وفجأة هبت ريح كانت تلقي الحصى والرمال في عيون الشاميين فعجزوا عن القتال فدهمهم المغول وقتلوا اكثرهم وفرّ الباقون كما قتلوا كثيراً من اهل سنجار وأسروا النساء والأطفال (رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم ١ ص٣٢٩) .

مواقعهم لئلا تطوقهم ولكن في هذه الأثناء وصلت اوامر هولاكو التي تقضي بالأشتباك مع الجيش الذي جاء لنجدة الملك الصالح قبل وصوله الى اطراف الموصل مما جعل (سنداغونويان) يسرع الى ارسال عشرة آلاف فارس لمجابهة الأمير شمس الدين البرلي في سنجار[١] • وتباينت الأرقام التي اوردتها المصادر فيما يتعلق بالنجدة التي قدمت للملك الصالح فاليونيني يصرح انه كان مع الأمير شمس الدين البرلي سبعمائة فارس (غزاً) واربعمائة من (التركمان) ومائة من (العرب)[٢] • اما الذهبي فيشير الى ان التتر سارت اليهم وهم في عشرة آلاف والبرلي في الف من (التركمان والعرب)[٣] •

ويقرر رشيد الدين فضل الله ان هذه النجدة انما ارسلت في الحقيقة من الظاهر بيبرس ملك مصر عندما علم بموقف الملك الصالح • وقال : ان الظاهر بيبرس ارسل (اغوش أزبولو)[٤] على رأس جيش لامداده ، ولم يذكر عدة هذا الجيش ، غير انه اورد تفصيلات مهمة تتعلق بأخفاق هذه الجيوش وانكسارها وهزيمتها على يد الجيش المغولي حتى ان الأمير شمس الدين البرلي صاحب حلب جرح في المعركة وفرّ مع بعض الجند الى الشام[٥] ، واشار الذهبي الى ان هولاكو ارسل يطلب اليه الحضور فلم يجبه[٦] • ولم يوضح هذا المصدر هل ان هولاكو طلب من البرلي الحضور

(١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٩٢ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام الورقة ٢٧٠ •

(٢) ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٩٢ •

(٣) تاريخ الاسلام الورقة ٢٧٠ •

(٤) ويعني به الأمير شمس الدين البرلي صاحب حلب (جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٨) •

(٥) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧٠ •

(٦) ان شمس الدين البرلي برز للمغول في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٦٦٠هـ وقد هزم الى بلاد الشام ، ابن كثير ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٣٠ •

قبل نشوب المعركة ام بعدها ؟

ويبدو مما اورده ابن العبري ان هناك اتفاقاً سابقاً بين الملك الصالح ركن الدين اسماعيل صاحب الموصل والشاميين على ارسال نجدة عسكرية اذا اقتضت الحال ، فقد ذكر ان عسكراً من الشام ومقدمهم امير اسمه (برلوا)[١] ارسل نجدة للملك الصالح الذي كان قد وعد به[٢] • ويبدو ان جيش المغول اندفع بقوة اكثر من السابق لاحتلال المدينة ، وذلك بعد انتصاره على العساكر الشامية التي جاءت لنجدة الموصليين ، ولكن بالرغم من ان المغول ضاعفوا قوتهم وشنوا هجوماً على اسوار المدينة الا انهم يئسوا من احتلالها ، وجاء في المصادر ان جند المغول عزموا على الهرب ووصلت اليهم الأوامر من هولاكو فقوت عزائمهم[٣] ، فعاودت تشديد حصارها على المدينة واصدر قائد المغول (سنداغونويان) اوامره بمضاعفة الهجوم وتخريب الأسوار ولكن ظهر ان ذلك لم ينفع ايضاً ، واستمر الحصار لمدة ستة اشهر بدون ان يحقق المغول اية نتائج تذكر فلما رأى قائد المغول صعوبة فتح المدينة امسك عن القتال وأمر جيوشه بالمرابطة على الأسوار[٤] وفرض حولها حصاراً اقتصادياً •

وقد اعترف مؤرخ المغول رشيد الدين فضل الله بهذا العجز ، واشار

---

(١) وهو شمس الدين البرلي •

(٢) مختصر الدول ص٢٨٤ •

(٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٢٩٢ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧٠ •

(٤) رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم ١ ص٣٢٩ ، ابن العبري مختصر الدول ص٢٨٤ الدول السرياني ص١٤٣ • وذكر الذهبي ان الحصار استمر تسعة أشهر (تاريخ الاسلام الورقة ٢٧٠ ، دول الاسلام جـ٢ ، ص٢١٦) •

اليه بصراحة[١] • وهذا مما يجعلنا لا نثق فيما اشار اليه هذا المؤرخ وخاصة ما يتعلق بالخطة العسكرية التي طبقها المغول ونجحوا في خدع جنود الملك الصالح وسكان المدينة بفتح الأبواب[٢] فقد كان يبالغ الى حد يجعل القارىء يعتقد ان جيش الملك الصالح وسكان الموصل حينذاك كانوا بلهاء فاقدي الرشد ، في حين يعترف هو نفسه بعجز المغول عن التغلب عليهم ، ومن الجدير بالذكر ان المصادر الأخرى المعاصرة والمتوفرة لدينا لا تشير الى تطبيق المغول هذه الخطة مما يجعل التصديق بها امر على غاية من الحذر •

هذا بينما يشير الذهبي الى ان الاسرى من جيش الامير شمس الدين البرلي الذي جاء لنصرة الموصليين اخذهم المغول فأدخلوهم من النقوب الى الموصل ليعرفوهم كسرة البرلي[٣] وذكر اليونيني ان (سنداغونويان) قائد المغول جلب الاسرى من جيش شمس الدين البرلي وأدخلهم من النقوب الى الملك الصالح ليعرفوهم انهزام البرلي ويشيروا عليه بالدخول في طاعتهم[٤] • ولعل هؤلاء الاسرى هم الذين كان يعنيهم رشيد الدين فضل الله فقد جاءت اخباره عنهم على الصورة التي ذكرناها ، اما ابن العبري فلم يشر اليها من قريب أو بعيد ، سوى اننا نقرأ في كتابه ما يجعلنا نعتقد ان (سنداغونويان)

---

(١) جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٩ •

(٢) يزعم المؤرخ ان المغول عند ايقاعهم الهزيمة بجيش الامير شمس الدين البرلي الذي جاء لنجدة الموصليين غنموا الملابس الشامية منهم فارتدوها وأطلقوا شعورهم جريا على عادة الأكراد ثم توجهوا الى الموصل وأخبروا (سنداغونويان) وقالوا له لقد انتصرنا وسنصل بالغنائم الكاملة، فلما اقتربوا من الموصل في اليوم التالي خرج سكان المدينة لاستقبالهم ظانين انهم شاميون جاءوا لامدادهم وأقاموا الافراح بهذه المناسبة فأحدق بهم جنود المغول من كل جانب ولم يتركوا واحداً منهم (ن•م• ص٣٢٩) •

(٣) تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧٠ •

(٤) ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٩٤ •

عمد الى الحيلـة والخداع وأخذ يبعث بكلمات طيبـة ووعود جيدة للملك الصالح ويخاطبه ويطايبه[1] • وقال الذهبي مشيراً الى ذلك ايضاً ان المغول اخذوا الموصل بخديعة[2] ولم يوضح الطريقة التي عمدوا اليها ، وكذلك فعل ابن كثير حيث نوه الى ان المغول استنزلوا صاحبها الملك الصالح اليهم[3] •

ان احتلال المغول للموصل عام ٦٦٠هـ / ١٢٦١م لم يكن يتيسر لهم انجازه لولا عدة عوامل نجملها على الوجه التالي :ـ

١ ـ ان الحصار العسكري الذي فرضه المغول حول المدينة كان حصاراً اقتصادياً ايضاً فقد امسكوا عن القتال حتى فنيت ميرتها وتعذرت عليها الاقوات واكل اهلها الميتة ولحم الكلاب ، وحدث قحط ووباء فتوجه الناس الى الصحراء بسبب الجوع فصاروا طعمة لسيوف المغول[4] ، كما حدث غلاء قاسي وارتخت عزائم المقاتلين وخارت قواهم[5] • وبالأضافة الى قلـة القوت لدى اهل المدينة[6] (فانه لم يكن فيها سلاح يقاتلون به ولا قوت يمسك رمق من فيها فغلا فيها السعر)[7] • واكد الذهبي ذلك بقوله أيضاً : (ان اهل الموصل لم يكن لديهم سلاح ولا قوت فغلا السعر)[8] • وجاء في مصدر آخر ان (سنداغونويان) عندما رأى القتال والزحف لا يجديان نفعاً امسك عن ذلك الى ان فنيت ميرة أهلها وتعذرت الأقوات عليهم واشتد بهم

---

(١) تاريخ الدول السرياني ص١٤٣ ، مختصر الدول ص٢٨٤ •
(٢) دول الاسلام جـ٢ ص١٢٦ •
(٣) البداية والنهاية جـ١٣ ص١٣٠ •
(٤) رشيد الدين فضل الله (جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٩) •
(٥) ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٩٢ •
(٦) مختصر الدول ص٢٨٤ •
(٧) تاريخ الدول السرياني ص١٤٣ •
(٨) تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧٠ •

الأمر حتى اكلوا الميتة ولحوم الكلاب[1] .

٢ ـ تعذر وصول النجدة من حلب[2] التي كان من المقرر لها ان تلعب دوراً مهمساً في تعزيز موقف الملك الصالح تجاه تعزيزات المغول لجيوشهم المحاصرة للموصل ، كما ان الحصار منع اتصالات الملك الصالح وخاصة بالظاهر بيبرس البندقداري ملك مصر الذي كان قد ابدى استعداده لتقديم مساعداته اليه لاسترداد امارته من المغول ان اقتضى الأمر[3] .

٣ ـ اساليب الخداع والتضليل التي اتبعها المغول لايهام الملك الصالح بحسن نواياهم تجاهه والتي اشارت اليها المصادر وفي مقدمتهم ابن العبرى حيث كشف عن هذه الأساليب[4] ثم ان المغول اوهموا الملك الصالح بوصول كتاب من هولاكو يتضمن ان (علاء الملك) وهو ابن الملك الصالح لا ذنب له لدى المغول وقالوا له (اننا وهبنا له ذنب ابيه فسيّره الينا لنصلح امرك معه)[5] . وايد ابن كثير عجز المغول عن اخضاع المدينة بالقوة فاتبعوا اساليب اللين واعطاء الوعود بالأطمئنان والثقة وقال ان المغول عادوا الى الموصل ولم يزالوا حتى استنزلوا صاحبها الملك الصالح اليهم[6] . وقال الذهبي ان الملك الصالح لم يستسلم للمغول الا بعد استشارة الاكابر في الموصل[7] ، ويورد رشيد الدين فضل الله ان الملك الصالح قد اضطر للتسليم واعلن عدم المقاومة وارسل الى (سنداغونويان) يقول (اني نادم على ما فعلت وسأخرج اليك

---

(١) الحوادث الجامعة ص٣٤٧ .
(٢) انظر ص٢٧١ ـ ٢٧٣ من هذا الفصل .
(٣) ابن العبري ، مختصر الدول ص٢٨٤ .
(٤) ن٠م٠ الدول السرياني ص١٤٣ .
(٥) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٩٤ .
(٦) البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٣٠ .
(٧) تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧٠ .

لاتلافي ما فات)[1] . ويستطرد هذا المؤرخ فيشير الى الشروط التي وضعها الملك الصالح لاستسلامه واولها عدم مؤاخذته بأخطائه السابقة والثاني ارساله الى هولاكو والايصاء بعدم هدر دمه[2] .

ولكن يبدو ان شيئاً من ذلك لم يحدث لان المصادر الأخرى لم تشر اليه فيما عدا شمس الدين الذهبي الذي اكد خروج الملك الصالح للمغول بطلب من السكان انفسهم وقد اوضح ان المغول لم يبادروا الى الاحتلال بعد خروج الملك الصالح لوحده الا بعد ان نادوا في الموصل بالامان فاطمأن الناس ، فشرعوا عندئذ في تخريب السور ودخلوا واستباحوها[3] . وكان سور المدينة منيعاً عرقل زحف المغول اليها ، وكان سبباً في تأخير دخول الجيوش وانتشارها في المدينة ، مما جعل امر احتلالها غير ممكن ، وأجمعت المصادر المتوفرة لدينا ان سقوط الموصل بيد المغول كان في رمضان عام ٦٦٠هـ / ١٢٦١م[4] .

ان وصف وقائع الأحتلال المغولي للمدينة قد جاء على لسان المؤرخ رشيد الدين فضل الله حيث اشار الى ان المغول قتلوا بقية سكان المدينة

---

(١) جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٢٩ .

(٢) ان (سنداغونويان) قد أمنه على حياته فخرج الملك الصالح يحمل الطيبات والهدايا ثم تناول (سنداغونويان) هذه الطيبات ولم يسمح له بالمثول امامه وعهد الى بعض الجند بحراسته (ن٠م ص٣٢٩) وذكر ابن العبرى ، ان الملك الصالح فتح ابواب المدينة للمغول وخرج اليهم بالمطربين والأغاني والمساخر (مختصر الدول ص٢٨٤) ويقول ايضاً (وخرج اليه الملك الصالح في دفوف وطبول والمطربون والمشعوذون يغنون ويرقصون امامه وما ان وصل حتى احدق به جنود المغول) (الدول السرياني ص١٤٣)٠

(٣) تاريخ الأسلام ، الورقة ٢٧٠ .

(٤) رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٣٠ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ١ ص٤٩٤ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧٠ ، دول الاسلام جـ٢ ص١٢٦ .

بحد السيف وأسروا بعضاً من ارباب الحرف والصنائع[1] وأجمل ابن العبري وصفه فقال : (ودخل عسكر المغول الموصل وسبوا ونهبوا وقتلوا مدة ثمانية أيام وقتل فيها عالم لا يحصى عددهم الا الله)[2] اما الذهبي فيقول ان المغول عند دخولهم المدينة بذلوا السيف تسعة أيام[3] ونوه ابن كثير الى ان المغول خربوا اسوار الموصل وقتلوا الناس تسعة ايام وتركوها بلاقع ثم كروا راجعين[4] . والواقع ان المؤرخين المعاصرين يبالغون فيما ينتج عنه الفتح المغولي من تخريب وقتل فالاحصائيات الواردة فيما يتعلق بمدينة الموصل لا تخضع الى الواقع التاريخي ولا تستند الى المنطق في أغلب الأحيان نقتل جميع السكان وترك المدينة بلاقع يحتمل التهويل والمبالغة ، والحق اننا لا ننكر التدمير والقتل الذي صاحب عمليات الغزو غير ان الجيوش المغولية لم تتعرض للتخريب المنظم او للتدمير الشامل العمدي لمرافق الحياة الاقتصادية والمؤسسات العلمية والأجتماعية العامة ، فقد أصبح هؤلاء يدركون اهميتها .

وتحدثت المصادر عن مصير الملك الصالح ، فذكر رشيد الدين

---

(١) جامع التواريخ جـ١ ص٣٣٠ . ومن مبالغاته انه قال : لم يبق في الموصل احد .

(٢) مختصر الدول ص٢٨٤ يذكر ان قائد المغول امر بقتل الطفل (علاء الملك) ابن الملك الصالح وقد قطعوه نصفين وعلقوهما على عتبتي باب المدينة وفلقوا هامة محيي الدين بن زبلاق (الدول السرياني ص١٤٣) .

(٣) تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧٠ ، دول الاسلام ، جـ٢ ص١٢٦ . ويشير رشيد الدين فضل الله الى ان المغول أخذوا (علاء الملك) ثم بعثوا به بعد مقتل ابيه الى الموصل ليقدوه نصفين على ساحل دجلة (جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص ٣٣٠) .

(٤) البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٣٠ .

فضل الله بأن المغول حملوه الى هولاكو فقتله هناك[١] وأيد ابن العبري ذلك حيث اشار الى انه ارسل الى هولاكو[٢] • وكذلك الذهبي[٣] • اما ابن كثير[٤] وابن تغرى بردى[٥] فيذكرون قتل المغول للملك الصالح في الموصل بدون ايراد تفصيلات مهمة • وقد اصدر (سنداغونويان) أوامره بتعيين الامير شمس‌الدين محمد بن يونس الباعشيقي حاكماً من قبل المغول على الموصل[٦] •

---

(١) جامع التواريخ جـ٢ قسم١ ص٣٣٠ • وقد افاد ان هولاكو كان غاضبا جدا على الملك الصالح ، فأمر بان يدخلوا جسمه في الدهن (اللية) ويربطوا عليه باللبد والحبال باحكام ويلقوا به في شمس الصيف القائظ فاستحالت اللية بعد اسبوع الى ديدان أخذت تلتهم جسم ذلك التعس ، حتى فاضت روحه الغالية بعد شهر من ذلك البلاء •

وأورد رشيد الدين فضل الله قائلاً :ـ

« لقد تعفّن وتلاشى وسقط من هناك الى اسفل •••

فيا ايها الفلك ••• ألم تشبع من مثل هذا العمل •••

لقـــد ربيت هـــذا العزيـــز بلطف ودلال •••

ولكنك سلمته في النهاية الى اضراس الديدان ••• »

(٢) مختصر الدول ص٢٨٤ ، تاريخ الدول السرياني ص١٤٣ •

(٣) تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧٠ ، (افـاد بان المغول قتلوه في الطريق) •

(٤) البداية والنهاية جـ١٢ ص٢٣٠ •

(٥) النجوم الزاهرة جـ٧ ص٢٠٧ •

(٦) ابن العبرى ، مختصر الدول ص٢٨٤، الدول السرياني ص١٤٣ •

المراجـع

١ ـ المخطوطات

الخزرجي (ت ٨١٢هـ / ١٤٠٩م) ابو الحسن علي بن الحسن بن وهاس

(١) العسجد المسبوك في تاريخ دولة الاسلام وطبقات الخلفاء والملوك (نسخة مصورة موجودة في مكتبة المجمع العلمي العراقي)

ابن الدبيثي (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) ابو عبدالله محمد بن سعيد الواسطي

(٢) التاريخ المذيل به على تاريخ ابن السمعاني جـ١ و٢ (نسخة مصورة غير كاملة في مكتبة كلية الآداب في جامعة بغداد)

الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) شمس الدين ابو عبدالله احمد بن عثمان

(٣) تاريخ الاسلام (نسخة مصورة في مكتبة كلية الآداب في جامعة بغـداد) .

ابن شدّاد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) عزالدين محمد بن ابراهيم

(٤) الاعلاق الخطيرة في امراء الشام والجزيرة ـ قسم الجزيرة

الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) صلاح الدين خليل بن أيبك

(٥) الوافي بالوفيات جـ١ قسم٢ ، جـ٢ قسم١ ، جـ١٢ قسم٢ ، جـ٦ ، جـ١٥ قسم١ (نسخة مصورة في مكتبة جامعة بغـداد المركزية)

العمري (ت ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م) محمد امين خير الله الخطيب الموصلي

(٦) منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء (مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي وهي مقتطف من تاريخ الموصل رقم ١٥٦٤)

الغياثي ، عبدالله بن فتح الله (كان حيّاسة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م)

(٧) التاريخ الغياثي

المنذري (ت ٦٥١هـ / ١٢٥٣م) زكـي الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوى بن عبدالله

(٨) التكملة لوفيات النقله (نسخة مصورة تضمها مكتبة المجمع العلمي العراقي)

ابن النجار (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) محبالدين ابو عبدالله بن محمود

(٩) ذيل تاريخ بغداد أو مدينة السلام (نسخة مصورة في مكتبة كلية الآداب في جامعة بغداد)

مجهول ـــــ

(١٠) انسان العيون في مشاهير سادس القرون (نسـخة مصورة في مكتبة المتحف العراقي رقم ٢٩٥)

٢ ـ المطبوعات

أ ـ العربية

ابن ابي اصيبعه (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) موفق الدين احمد بن القاسم

(١) عيون الانباء في طبقات الاطباء ٣ أجزاء (دار الفكر العربي بيروت ـ ١٩٥٧)

ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) عزالدين محمد بن محمد بن عبدالكريم

(٢) الكامل في التاريخ ١٢ جزء (دار الطباعة ، مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ ١٢٩٠هـ)

(٣) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل (تحقيق عبدالقادر

طليمات ـ نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة)
ابن الأبّار (ت ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي البلنسي

(٤) التكملة لكتاب الصلة (نشر عزة العطار ـ مطبعة السعادة ١٩٥٥)
ابن أياس (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) محمد بن أحمد الحنفي المصري

(٥) بدائع الزهـور في وقائع الدهور (الطبعة الاولى ـ المطبعـة الكبرى الاميرية بولاق)

ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) عزالدين ابو حامد عبدالحميد بن هبة الله المدائني

(٦) شرح نهج البلاغة ٤ أجزاء (مطبعة دار الكتب العربية ـ مصر)
ابن ابي الوفاء (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) محيي الدين عبدالقادر محمد بن محمد القرشي الحنفي المصرلخ

(٧) الجواهر المضيّـة في طبقات الحنفيـة (مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ـ حيدرآباد ، الهند)

ابن بطوطه (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) محمد بن عبدالله بن ابراهيم اللواتي الطنجـي

(٨) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار (دار صادر ـ بيروت ١٩٦٠)
بارتولد المستشرق

(٩) تاريخ الحضارة الاسلامية (ترجمة حمزة طاهر ط٣ ـ دار المعارف ـ مصر)

بيلي ، الدكتور أحمد

(١٠) حياة صلاح الدين الايوبي (المطبعة الرحمانية ط٣ ، مصــر ١٩٢٦)

ابن جبير (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) محمد بن أحمد الكناني الاندلسي

(١١) رحلة ابن جبير (دار صادر ، بيروت ـ ١٩٥٩)

ابن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) أحمد بن علي العسقلاني

(١٢) الدرر الكامنة في اعلام المائة الثامنة ، ٤ أجزاء (حيدرآباد ـ ١٩٥٠م)

ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ابو المحاسن جمال الدين يوسف الاتابكي

(١٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢ جزء (مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ـ ١٩٣٨)

ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) عبدالرحمن بن محمد

(١٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ مجلدات (بيروت ـ ١٩٦١)

ابن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢ م) ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد

(١٥) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٦ أجزاء (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط١ ، نشر مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٣٦٧هـ)

ابن الساعي (ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م) ابو طالب علي بن أنجب تاج الدين

(١٦) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، نشـر الدكتور مصطفى جواد جـ٩ (المطبعة السريانية الكاثوليكية بغداد ١٩٣٤)

ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢ م) محمد بن أحمد

(١٧) فوات الوفيات ، جزءان (مطبعة السعادة مصر ـ ١٩٥١)
ابن الصابوني (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) جمال الدين محمد بن علي
(١٨) تكملة اكمال الاكمال ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد (مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ـ ١٩٥٧)
ابن الطقطقى (ت ٧٠١هـ / ١٣٠١م) محمد بن طباطبا العلوي
(١٩) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، (بيروت ـ ١٩٦٠)
ابن العبري (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣ م) غريغوريوس ابو الفرج المالطي
(٢٠) تاريخ مختصر الدول ط٢ (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ـ ١٩٨٥)
(٢١) تاريخ الدول السرياني (مجلة المشرق بادارة آباء جامعة القدس بيروت ـ ١٩٥٦)
ابن عنبه (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤ م) أحمد بن علي
(٢٢) عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب (النجف ـ ١٩٦١)
ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) ابو الفلاح عبدالحي
(٢٣) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٨ أجزاء (مكتبة القدسي ، القاهرة ـ ١٣٥١هـ) .
ابن العديم (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله
(٢٤) زبدة الحلب من تاريخ حلب ، جزءان ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ـ دمشق
ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) كمال الدين عبدالرزاق
(٢٥) تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب جـ٤ قسم١ ـ ٣ ،

(تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، ١٩٦٢ – ١٩٦٥)
(٢٦) تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب جـ٥ (تصحيح وتعليق الحافظ محمد عبدالقدوس القدسي ١٩٤٠) في مجلة (Oriental College Magazin)

ابن قطلوبغا (ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) ابو العدل زين الدين قاسم

(٢٧) تاج التراجم في طبقات الحنفية (مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٢)
ابن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ م) اسماعيل بن كثير الدمشقي

(٢٨) البداية والنهاية في التاريخ ، ١٤ جزءاً (مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٣٢) .
ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) زين الدين عمر بن مظفر الشافعي

(٢٩) تتمة المختصر في اخبار البشر ، جزءان (المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٢٨٥)
ابو شامة (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦ م) شهاب الدين أبو محمد بن عبدالرحمن ابن اسماعيل المقدسي الدمشقي

(٣٠) تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين (ط١ ، ١٩٤٧)

(٣١) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق الدكتور محمد حلمي احمد ، ١٩٥٦
ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) عمادالدين اسماعيل صاحب حماه

(٣٢) المختصر في اخبار البشر (دار الكتاب اللبناني – بيروت)
(٣٣) تقويم البلدان (طبعة باريس ١٨٤٠)
ابن يوسف (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩ م) ابو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي

(٣٤) كفايـة الطالب في منـاقب امير المؤمنين علي بن ابي طـالب (مطبعة الغري ، النجف ـ ١٩٣٧)

بابو اسحق ، (رفائيل)

(٣٥) احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية (مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٠)

(٣٦) تاريخ نصارى العراق (مطبعة المنصور ، بغداد ١٩٤٨)

البغدادي (ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٢) زين الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين احمد

(٣٧) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ، جزءان (مطبعة السنة المحمدية)

جواد ، الدكتور مصطفى والدكتور احمد سوسه

(٣٨) دليل خارطة بغداد (مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٨)

الجراري ، عبدالله بن عباس

(٣٩) تقدم العرب في العلوم والصناعات واستاذيتهم لاوربا ، ط١ ، ١٩٦١

الحسيني الدكتور محمد باقر

(٤٠) العملة الاسـلامية في العهد الاتابكي (مطبعـة دار الجاحظ بغداد ، ١٩٦٦)

حسن ، الدكتور حسن ابراهيم

(٤١) تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافيوالأجتماعي ٤ أجزاء (مكتبة النضهة المصرية)

حسن ، الدكتور علي ابراهيم

(٤٢) تاريخ الممالك البحرية (مكتبة النهضة المصرية ــ ١٩٦٧)
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، المنسوب الى عبدالرزاق
ابن الفوطي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد (بغداد ١٣٥١هـ)
خصباك ، الدكتور جعفر
(٤٣) العراق في عهد المغول الأيلخانين ط١ (مطبعة العاني ــ بغداد ١٩٦٨)
ابن الخياط (ت ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨ م) أحمد الموصلي
(٤٤) « ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء » ، تحقيق سعيد الديوهجي (مطبعة الجمهورية الموصل ــ ١٩٦٦)
الديار بكرى (ت ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م) حسين بن محمد بن الحسن
(٤٥) تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس جزاءان (المطبعة الوهبية ــ القاهرة ١٢٨٣٥هـ)
الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) الحافظ شمس‌الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز
(٤٦) « دول الاسلام » ، جزءان (مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٦٤هـ)
درّاج ، الدكتور أحمد :
(٤٧) المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي ، نشر دار الفكر العربي ١٩٦١)
الديوهجي ، سعيد
(٤٨) الموصل في العهد الآتابكي (مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٥٨)

الزبيدي ، محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي
(٤٩) تاج العروس من جواهر القاموس ، عشرة أجزاء (المطبعة الخيرية بجمالية مصر ، ١٣٠٦هـ)
زيدان ، جرجي (ت ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م)
(٥٠) تاريخ التمدن الأسلامي ٥ أجزاء (دار الهلال ، القاهرة)
زامباور ، المستشرق
(٥١) معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، جزءان (مطبعة جامعة فؤاد الأول ترجمة الدكتور زكي محمد حسن وزملائه ، 1951)
زكي ، محمد أمين
(٥٢) تاريخ الأمارات الكردية في العهد الاسلامي (مطبعة السعادة ـ ١٩٤٨)
سبط بن الجوزي (ت ٦٤٥هـ / ١٢٥٧م) شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبدالله البغدادي
(٥٣) مرآة الزمان ، جـ١ (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ـ ١٣٧٠هـ)
السبكي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) ابو نصر عبدالوهاب بن تقي الدين
(٥٤) طبقات الشافعية الكبرى ، ٥ أجزاء (المطبعة الحسينية ط١ ـ القاهرة ـ ١٣٢٤هـ)
السلامي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) محمد بن رافع
(٥٥) تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار (تصحيح وتعليق عباس العزاوي ، مطبعة الأهالي بغداد ـ ١٩٣٨)

سعداوي ، الدكتور نظير حسان
(٥٦) التاريخ المصري الحربي في عهد صلاح الدين الأيوبي (مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٧)
السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) جلال‌الدين عبدالرحمن بن ابي بكر
(٥٧) تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط ٢ (مطبعة السعادة ، مصر ١٣٧٨هـ)
(٥٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ط١ (مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ)
(٥٩) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة (مطبعة الموسوعات مصـــر)
سرور ، الدكتور محمد جمال الدين
(٦٠) « دولة الظاهر بيبرس في مصر » (دار الفكر العربي - ١٩٦٠)
عرنوس ، محمد بن محمود
(٦١) « تاريخ القضاء في الاسلام » (المطبعة امصرية الأهلية الحديثة، القاهرة)
ابن شداد (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) يوسف بن رافع بهاء الدين
(٦٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيّال ط١ (الدار المصـــرية للتأليف والنشر ١٩٦٤)
ابن الشحنه ابو الفضل محب الدين الحلبي
(٦٣) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب (مطبعة يوسف بن الياس سركيس الدمشقي ، المطبعـــة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٩)

شلبي ، الدكتور أحمد
(٦٤) تاريخ التربية الأسلامية ط٢ ، ١٩٦٠
شيخو ، الأب لويس اليسوعي
(٦٥) شعراء النصرانية بعد الأسلام ط٢ (دار المشرق - بيروت)
ابن واصل (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) جمال الدين محمد بن سالم
(٦٦) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ٣ أجزاء ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، الجمهورية العربية المتحدة
الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٢٦٥م) صلاح الدين خليل بن ايوب
(٦٧) الوافي بالوفيات ٤ أجزاء (استنابول ، مطبعة وزارة المعارف ١٩٤٩ النشريات الأسلامية)
(٦٨) نكت الهميان في نكت العميان (المطبعة الجمالية ، نشر أحمد زكي بك - مصر ١٩١١)
الصياد ، الدكتور فؤاد عبدالمعطي
(٦٩) « المغول في التاريخ » (دار القلم - المكتبة التاريخية)
الصائغ ، القس سليمان
(٧٠) تاريخ الموصل جزءان جـ١ (المطبعة السلفية مصر - ١٩٢٣) جـ٢ (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت)
كتاب المكتبة العربية الصقلية (وهو نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ، تحقيق ميخائيل أمارى - ليبسك ١٨٥٧م) (طبع مكتبة المثنى ببغداد)
ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م)
(٧٢) رسائل ابن الأثير ، تحقيق انيس المقدسي (دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٩)

ابن طولون (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) محمد بن علي الصالحي

(٧٣) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، القسم الأول (مكتبة الدراسات الاسلامية في دمشق ، تحقيق محمد احمد دهمان ١٩٤٩)

طليمات ، عبدالقادر أحمد

(٧٤) مظفر الدين كوكبرى امير اربل (سلسلة اعلام العرب رقم٣٢)

طوقان ، قدري حافظ

(٧٥) « تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك » (الطبعة الثالثة ١٩٦٣)

العمري (ت ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م) ياسين بن خير الله الخطيب

(٧٦) منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء ، تحقيق سعيد الديوهجي (مطبعة الهدف الموصل ١٩٥٥)

عاشور ، الدكتور سعيد عبدالفتاح

(٧٧) « دولة الظاهر بيبرس » (سلسلة اعلام العرب رقم ١٤)

(٧٨) مصر في عصر دولة المماليك البحرية (نشر مكتبة النهضة المصرية)

عواد ، كوركيس

(٧٩) خزائن الكتب القديمة في العراق (مطبعة المعارف بغداد ـ ١٩٤٨)

عباس ، الدكتور احسان

(٨٠) العرب في صقلية (دار المعارف بمصر)

العزاوي ، عباس

(٨١) التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان (بغداد ، ١٩٥٧)
(٨٢) تاريخ العراق بين احتلالين جـ١ (حكومة المغول بغداد ١٩٣٥)
(٨٣) تاريخ الادب العربي في العراق ، جزءان (مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٦١ - ١٩٦٢)

غنيمه ، محمد عبدالرحيم

(٨٤) « تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى » (دار الطباعة المغربية بتطوان ١٩٥٣)

فضل الله الهمداني (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨) رشيد الدين

(٨٥) جامع التواريخ مجلد ٢ ، جـ١ حـ٢ ، ترجمة محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي وفؤاد عبدالمعطي ، القاهرة

الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م) مجدالدين محمد بن يعقوب

(٨٦) « القاموس المحيط » ، ٤ أجزاء (مطبعة شركة فن الطباعة - القاهرة ١٩١٣)

القلقشندى (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أحمد بن علي بن ابي اليمن القاهري الشافعي

(٨٧) صبح الأعشى في صناعة الأنشاء ١٤ جزء (المطبعة الاميرية القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٧)

القزويني (ت ٨٦٢هـ / ٢١٨٣م) زكريا بن محمد بن محمود

(٨٨) « آثار البلاد واخبار العباد » (دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٠)

القفطي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف

(٨٩) تاريخ الحكماء (ليبسك ١٩٠٣) نشر مكتبة المثنى ومؤسسة الخانجي بمصر

(٩٠) انباه الرواة علـــى انباه النحاة ٣ اجـزاء (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٠)

استرنج ، غي ، المستشرق

(٩١) « بغداد في عهد الخلافة العباسية » ، ترجمه عن الأنكليزيـة وعلق عليه بشير يوسف فرنسيس • (المطبعة العربية ، بغداد ١٩٣٦)

(٩٢) « بلدان الخلافة الشرقية » ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٤)

الدوميلي ، المستشرق الايطالي

(٩٣) العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي (ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى ، الطبعـة الاولى ١٩٦٢)

المقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) تقي الدين احمد بن علي

(٩٤) المواعظ والأعتبار في ذكر الخطط والآثار ، جزءان (مطبعة بولاق ١٢٧٠هـ)

(٩٥) « السلوك لمعرفـة دول الملوك » ، ٦ أجزاء ، تحقيق محمد مصطفى زيادة (دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٦)

المنشيء النسوي (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) محمد بن احمد

(٩٦) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حافظ أحمد حمدي ، دار الفكر العربي (مطبعة الاعتماد بمصر ـ ١٩٥٣)

المنجد ، الدكتور صلاح الدين

(٩٧) « بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي » (دار الحياة بيروت ١٩٥٧)

معروف ، ناجي

(٩٨) تاريخ علماء المستنصرية ، الطبعة الثانية

(٩٩) حياة اقبال الشرابي (مطبعة الأرشاد ، بغداد ، **١٩٦٦**)

ماجد ، الدكتور عبدالمنعم

(١٠٠) نظم الفاطميين ورسومهم في مصر جـ١ (نشر مكتبة الانجلو ـ مصرية **١٩٥٣**)

M. M. Sharif المستشرق

(١٠١) الفكر الاسلامي منابعه وآثاره ، ترجمة الدكتور أحمد شلبي (مكتبة الانجلو المصرية ، **١٩٦٢**)

مشرفه ، الدكتور عطيه

(١٠٢) القضاء في الأسلام (الطبعة الثانية **١٩٦٦**)

ماري بن سليمان

(١٠٣) اخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل (روما **١٨٩٩**)

ابن المقرب (ت ٦٣١هـ / ١٢٣٣م) جمال الدين علي بن المقرب بن علي العيوني الأحسائي الشاعر

(١٠٤) « ديوان ابن المقرب » ، تحقيق وشرح عبدالفتاح محمد الحلو (الطبعة الاولى **١٩٣٦**)

ابن المعمار (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) ابو عبدالله محمد بن ابي المكارم البغدادي الحنبلي

(١٠٥) « كتاب الفتوة » : تحقيق الدكتور مصطفى جواد وزملائه (مطبعة شفيق **١٩٦٠** ـ نشر مكتبة المثنى ، بغداد)

النقشبندي ، ناصر

(١٠٦) الدينار الأسلامي في المتحف العراقي (مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٣)

النعيمي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) عبدالقادر محمد الدمشقي

(١٠٧) « الدارس في تاريخ المدارس » جزءان : تحقيق جعفر الحسني مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق (مطبعة الترقي ١٩٤٨)

اليونيني (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن احمد

(١٠٨) « ذيل مرآة الزمان » ٤ أجزء ط١ (مطبعة مجلس دائرة المعارف حيدر آباد الهند ١٩٥٤)

ياقوت الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨) شهاب الدين ابو عبدالله الرومي البغدادي

(١٠٩) معجم البلدان ، ليبسك ١٨٦٦ (منشورات مكتبة الاسدي طهران)

(١١٠) ارشاد الاريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء

ب ـ الكتب الفارسية

٦ أجزاء ، تحقيق مرجليوث ط٢ ، مصر

خوندمير ، غياث الدين بن همام الدين ، دستور الوزراء بتصحيح ومقدمة سعيد نفيسي (تهران ، ١٣١٧هـ)

الشيرازي (ت ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م) شهاب الدين عبدالله بن فضل الله ، وصاف الحضرة ، تجزية الأنصار وتزجية الأعصار (طبعة بومبي ١٢٤٩ هـ)

جـ ـ الكتب الاجنبية

D'Ohsson, M. Le Baron C., Historie Des Mongols, Depuis Tchinguiz-

(1) Khan Jusqu'A Timoar Bey ou Tamerlam, 4 vols (La Haye at Amsterdad, 1934 1935).

(2) The Encyclopaedia of Islam, lst and 2nd Editions. 4 vols (Cambridge at the University Press, 1951—1953).

H. Pognon

(3) Incriptions Semiliques de La Syrie, de La Mesopotamie et de La rougion de Mossoul, Paris, 1907.

(4) Komoroff, Manuel, Editor, The Travels of Marco Polo (The Modern Library, New York).

(5) Juvaini, Ata - Malik, " The Histody of the World Conqueror" 2 vols, Translated by J. A. Boyle (Manchester University Press, 1958).

J. M. Fiey (O. P.).

(6) Mossoul Chretienne vol. XII Collection Recherches, Lainstitut de lettres Orientales de Beyrouth, 1959.

(7) Assyrie Chretienne, vol XXII. Collection Recherches, Lainstitut de lettres orientales de. Beyrouth, 1965.

(8) Lane - Poole Stanly :

History of Egypt in the Middle Ages. (London, 1912).

G. Sarton

(9) Introduction to the History of Seience (Washington) vol. 11, 1931, vol 111, 1947.

المجلات

أ ـ العربية :

مجلة بغداد ، العدد ٢٢ ، ١٩٦٥ ، العدد ٢٤ ، ١٩٦٥ .

مجلة سومر ، مجلد ٢ ، ١٩٤٦ ، مجلد ١٣ ، ١٩٥٧ ، مجلد ١٤ ، ١٩٥٨، مجلد ٢٠ ، ١٩٦٤ .

مجلة المشرق ، مجلة شرقية كاثوليكية ، بيروت مجلد ٤٧ ، ١٩٥٣ ، مجلد ٤٨ ، ١٩٥٤ ، مجلد ٤٩ ، ١٩٥٥ ، مجلد ٥٠ ، ١٩٥٦ .

مجلة لسان المشرق ، مجلد ١ ، ١٩٤٩ .

ب ـ الاجنبية :

Bulletin of the " School of Oriental And African Studies vol XVI ", Xv. (David Ayolon : Studies on the Structure of the Mamluk Army).

فهرس لأهم المدن والأعلام والمصطلحات

(أ)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

محتويات الكتاب

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٧٨ لسنة ١٩٧١

٥٨/١٠٠٠/٢٠/٣/١٩٧١

The Reign

OF BADDR AL-DIN LULU IN MOSUL

(1209-1261)

By

Swadi Abid. M.
Al-Ryashdi

Baghdad
1971
Al-Irshad Press